سلسلة الكتب العزمية

كشـــــف الارتيـــــاب
فـــى إمامـــة
ابن سعود وابن عبد الوهاب

(الكتاب الأول)

لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل
محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى
شوال ١٤٢٥ هـ - نوفمبر ٢٠٠٤م

رقم الإيداع
١٨٨٥٣ / ٢٠٠٤

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين، نزل الذكر وحفظه فينا بالأئمة الورثة الأمناء المجددين، من أهل بيت سيد الأنبياء والمرسلين، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

والصلاة والسلام على نور النشأة الأولى حقيقة، وشمس الأفق المبين فى النشأة الآخرة هداية.. سيدنا ومولانا محمد، اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله وأمدنا وأهلنا وأولادنا وإخواننا بأمداد الفضل العظيم.

أما بعد:

الإمامة نيابة عن رسول الله ﷺ فى حفظ شريعته، وهى واجبة بعد النبوة، إذ ليس من الممكن المعقول أن يترك الله عباده المنتشرين فى البقاع مع علمه بما هم عليه من حب المال والجاه واختلاف الطباع والأهواء والميول والاتجاهات، تأخذ فى شعاب الجهل، والضلال، وتسلك أودية الحيرة بلا إمام يحسم مادة الفتن بينهم، ويهديهم إلى سبيل الرشاد . . فكيف يا ترى يجوز أن يترك الناس فى حيرة الضلالة يحكم فيهم سلطان الهوى، ويسوسهم الجهل والعمى، وكتاب الله يقول : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

لَلْهُدَى﴾ (الليل: ١٢)، وبعث الإمام من الهدى.

لكل قرن من الزمان إمام:

لكل أناس فى كل عصر من العصور إمام يدعون به سر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مقام من الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧).

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)، هذه آيات الكتاب.

أما السنة فقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[١].

والإمامة كالنبوة من المناصب الإلهية التى تحتاج الإقامة من الله تعالى، فكما أن الله تعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة، ويؤيده بالمعجزة تصديقا لدعوته، فكذلك يختار من يشاء للإمامة ويؤيده بالكرامة، وكتاب الله يدلنا على ذلك فى قوله: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ (القصص: ٥)، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

---

١) رواه أبو داود فى سننه، والحاكم فى مستدركه، والسيوطى فى جمع الجوامع، وابن حجر فى فتح البارى.

إِمَاماً﴾ (البقرة: ١٢٤)، فقد أسند الله تعالى جعل الأئمة وإقامتهم فى هذه الآيات إلى ذاته المقدسة، ولم يعط صلاحية شئ من ذلك إلى غيره مطلقا.

وليست الإمامة بالاختيار أو الانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصبوه، وإذا شاءوا أن يعينوا إماماً لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوا تعيينه تركوه.

فالإمامة المعقودة من بعض الناس إنما يفرضها الناس بعضهم على بعض، وأين ما يفرضه الرسول ﷺ عن الجليل تعالى مما يفرضه الناس أنفسهم؟! فما فرضه الناس لم ينزل فيه كتاب ولا وردت فيه سنة.

التعرف على الإمام أصل من أصول الإسلام:

فوجود الإمام فى كل زمان، ووجوب التعرف عليه والرجوع إليه، أصل من أصول الإسلام لا من فروعه المتعلقة بأعمال المكلفين، لأنه رتب على التخلف عنه أكبر محذور وهو الميتة الجاهلية، قال ﷺ: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) وقال ﷺ: (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)[1]، والميتة الجاهلية، أى: ميتة الكفر، وهى لا تكون إلا لترك أصل

---

١) رواه أحمد، والهيثمى فى مجمع الزوائد، والطبرانى فى الكبير، والمتقى الهندى فى كنز العمال، وأبو نعيم فى حلية الأولياء.

من أصوله.

والقرآن الكريم فى حديثه عن الأئمة قسمهم إلى أئمة هــدى وأئمة ضلال، حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها، فقال تعالى عن أئمة الهدى:

١) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّــةً يَهْــدُونَ بِأَمْرِنَــا وَأَوْحَيْنَــا إِلَــيْهِمْ فِعْــلَ الخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَــانُوا لَنَــا عَابِــدِينَ﴾ (الأنبياء:٧٣).

٢) ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُــمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

٣) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَــا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).

٤) ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ (الفرقان: ٧٤).

وقال تعالى عن أئمة الضلال:

١) ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢).

٢) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يُنــصَرُونَ﴾ (القصص: ٤١).

أئمة الهدى:

أئمة الهدى هم الذين يظهرهم الله بتجدد الأزمنة كالأنجم المضيئة فى المجتمع الإسلامى، إما بقول وعمل كالعلماء، وإما بعمل وحال كالعباد الزهاد، وإما بحال ومجاهدة جامعة وبيان كورثة رسول الله ﷺ، وليس برجل من لم يكن منهم أو معهم.

ومعلوم أن الرسل صلوات الله عليهم لم يورثوا درهما ولا دينارا ولا كنوزا ولا عقارا، وإنما ورثوا هدى ونورا وبيانا وأخلاقا طاهرة ومعاملة لله خالصة ورحمة على الخلق وحنانا، ولما كانت النفوس تتفاوت جواهرها استعدادا وقبولا، وكان نيل هذا الفضل العظيم إنما هو بفضل الله تعالى، وكان من أعظم الفضل ظهور وارث لرسول الله ﷺ، ومتى تفضل الله تعالى على العالم بوارث دل ذلك على عميم إحسانه على أهل عصره، ولكن لابد هنا من الميزان الذى يزن به السالك نفسه ويزن به غيره.

ومعلوم أن الاتصال بالوارث المحمدى سبب لفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وتزكية النفس، وتعليم ما لم يعلمه الإنسان بالدراية وطول الدرس والمذاكرة كما قال الله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١)، فما من سالك مع الوارث إلا

ويهبه الله قسطا من تلك المعانى، وتلك العظمة تمنح بفضل الله وتحفظ، ويحصل النفع بها بأمرين عظيمين:

الأمر الأول: الأدب مع من جعله الله سببا لهذا الخير.

الأمر الثانى: شكر الله على تلك النعمة الذى به المزيد، مع مجاهدة النفس خوفا من الغرور بنسيان المرشد.

العلماء الربانيون والراسخون فى العلم هم النور المشرق المبين لمناهج القرآن وأحوال رسول الله ﷺ، يكشف الله تعالى لهم غوامض أسرار القرآن ويمنحهم الحكمة والبيان، ويلهمهم الصواب فى القول والعمل والحكم، ويمدهم بروحانية رسول الله ﷺ، وهم الذين اشتاق إليهم رسول الله ﷺ فى الحديث الطويل، واشتاق إليهم سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى حديث كميل فى قوله: (وا شوقاه إليهم) وهم الذين أثنى الله عليهم وأخبر أنهم أولو الأمر من المسلمين بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣). ولو كانوا مجهولين أخفياء لا يعرفهم أحد فإنهم معروفون لله، معروفون للملأ الأعلى وكل واحد منهم شمس يضىء لأهل السماء كما تضىء الشمس لأهل الأرض، وهم العرائس ضنائن الله تعالى فى أرضه، لا يوصل الله تعالى إليهم إلا من سبقت لهم الحسنى، وقدر الله لهم الوصول إليه

سبحانه وتعالى باتصاله بهؤلاء الأخيار، أولئك والله الأئمة الهداة يرحم الله بهم، وينظر إلى من شاء من عباده فى قلوبهم، ذرة من أعمال قلوبهم خير من أعمال الجوارح الدهر كله.. وهم الذين أكرمهم الله تعالى.. فكان معهم وجعلهم معه سبحانه، أرضاهم عنه ورضى عنهم، لا تفى عباراتنا بأحوالهم، ولا تكشف إشاراتنا مبادئ شهودهم فى وجودهم- قال تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

ومن صفاتهم إخفاء حالهم وستر مقاماتهم، فلا يقهرهم ولا يشغلهم مقام ولا يغضبهم مؤلم، يغضبون لله ويرضون لله، تراهم منقبضين على بساط المؤانسة، وخائفين وهم فى حصن ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)، وفى خشية وهم على موائد إكرام الله تعالى لهم بالاستجابة- قال ﷺ: (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[١]. كمل والله توحيدهم شهودا فأفردوا ربهم بالعزة والجلال، والعظمة والكبرياء، والعطاء والمنع والضر والنفع، فذلوا للحق ولأهل الحق ذلاً للحق، وعزوا على الباطل وعلى أهل الباطل كراهة لما كره الله

---

١) أخرجه مسلم والطبرانى والترمذى والحافظ الدمياطى فى المتجر الرابح.

وحبا لما أحب الله. ذلوا للمؤمنين كما أمر الله تعالى، وعزوا على الكافرين إعزازا للحق، صغرت الدنيا فى أعينهم عن أن تشغلهم عن الآخرة نفساً.. فكيف تشغلهم عن الله تعالى؟! إذا رُءوا ذكر الله، مجالستهم تجذب النفوس إلى حضرة القدوس، ومحبتهم تحبب فى الله، والقرب منهم تقريب من الله تعالى- قال ﷺ: (اللهم إنى أسألك حبك وحب من حبه يحببنى فيك) وكلام رسول الله ﷺ هنا يوقظ قلوب المؤمنين إلى محبة أهل المعرفة بالله تعالى، المقبلين على الله تعالى بكليتهم، وهم الحياة لأهل عصرهم، والنور لمن والاهم، والنجاة لمن اقتدى بهم رضى الله عنهم.

أئمة الضلال:

هم العلماء عند أنفسهم، الجهلاء عند الله، وعند رسوله، وعند العارفين بالله.

وعلامتهم المسارعة إلى الحكام والأغنياء ولو كانوا من أعداء الله، والمنافسة فى المال والجاه والمناصب، ودوام الجدل والخصومة مع النظراء، واتخاذ العصبة ممن يواليهم لإبطال الحق وإحقاق الباطل، والجرأة على الكتاب والسنة، فيؤولون الصريح، ويقيسون مع وجود النص، كما قاس إبليس بقوله: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء: ٦١)، فخالف أمر الله

تعالى، قياسا على أن السجود لا ينبغى إلا لله وهو المتكبر فى نفسه، الذى أراد الباطل فصبغه بصبغة الحق عناداً لله ومخالفة لأمره، وكذلك أئمة الضلال.

أمثلة من أعمال أئمة الضلال

(أ) تضييق رسالة المسجد :

كان رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون بعده يبينون للأمة على المنابر ما لابد لهم منه من يقظة، ومن احتفاظ واحتياط، ومن جهاد العدو وكشف الستار عن نواياه وقصوده، وما يجب على كل مسلم أن يقوم به، وإنما جعلت المنابر فى المساجد لتعليم المسلمين ما لا يعلمون من محاب الله ومراضيه، والغيرة له على أعدائه وعلى المجاهرين بالمعاصى، فحكم أئمة الضلال بتحريم الكلام فى المساجد، إلا فيما يتعلق بالموت والعذاب، وترك الدنيا والآخرة، وترك الواجب على المسلم لله تعالى، من النصرة لله ولرسوله ﷺ، والمدافعة عن المسلمين، وهذا أنكى الأمراض.

(ب) تعظيم الحكام من أهل الكفر والنفاق وإطاعتهم:

ترى أئمة الضلال يعظمون الحكام ويطيعونهم ولو كانوا كفارا أو عصاة، وينفذون أوامرهم بما لهم من السلطة الدينية،

وهذا العمل موجب للكفر بالله تعالى أو مثبت للنفاق.

أما كونه موجبا للكفر فقوله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وأما إثباته للنفاق فقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ (المائدة: ٥٢).

(ج) محاربة أهل الحق :

ترى العالم يبغض فقراء الطريق، أو يبغض عالما مثله، فيقوم مشنعا بالباطل عليه، ويكتب الكتب المشحونة باللعن والقذف والسباب مما لا يعمله الجاهل مع الجاهل، ولا يكفيه ذلك حتى يحكم على مخالفيه بالكفر، ويعتزل الجمعة والجماعة إلا مع معتنق مذهبه فقط، ويبتدع فى دين الله ما ليس منه، ويجعل له شيعة يفرق بها بين المسلمين، حتى يقع الرجل فى أخيه، ويعتقد كل واحد منهم أن أخاه كافر لأنه خالف هذا العالم المفرق للجماعات، ويا ليت هذا الاختلاف نصرة لله فى دفع كبيرة أو ترك رذيلة، لا وحقك إنما ذلك يكون لترك عمل لم يكن من السنة فى شئ، أو لعمل استحسنه المسلمون، ويترك هذا العالم أبواب الحانات مفتحة للمسلمين، وبيوت البغايا مزدحمة

بالرجال المسلمين، ومحال الربا غاصة، والمساجد مهجورة، ووسائل الفساد منتشرة بين العامة، وهو موجه وجهه إلى عناد أعدائه من أشباهه. وقد شنع الله على هؤلاء العلماء عند أنفسهم بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢).

ويقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ المُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ (التوبة: ١٦).

(د) فتح أبواب الفتن على الأمة:

ترى الرجل يتعلم حتى يُحصل أمثال الجبال من العلم، الذى ينال به أغراضه وشهواته، فيقوم معينا للظالم على المظلوم بأكاذيب يجعلها دينا، ويحل المرأة المحرمة شرعا، بأقاويل ينتحلها لا يؤيدها الكتاب والسنة ولا عمل الأئمة، أو يفتح أبواب الفتن المضلة على الأمة فينكر الإسراء بالجسم، وعذاب القبر، وآداب الطريق إلى الله تعالى، ومجاهدة النفس فى ذات الله تعالى، واتخاذ مرشد يسلك به طريق الله تعالى، ويكون ثرثارا فى كل واد يخطب. وهذا العالم تجرد قلبه من خشية الله ومن مراقبته سبحانه.

وقلب خرب من خشية الله ومن مراقبته سبحانه، أضر على

المسلمين من الشيطان خصوصا إذا كان معتقدا عند الناس بالعلم.

(هـ) نشر دعوة كل ذى سلطة:

ترى العالم يقوم فينتسب لكل ذى سلطة وينشر دعوتهم ويؤيدها بشقشقة لسانه لا يقصد إلا العاجلة، فتراه وهو فى صلاته يدبر المكائد لمخالفيه من المسلمين نصرة لمن اتحد بهم ولو كانوا عصاة أو كافرين.

تلك الأمراض لم تكن فى سلفنا الصالح، بل كان العالم من أئمة الهدى يقول الحق ولو كان السيف مسلولا على عنقه، وكم ضرب العلماء وسجنوا وقتلوا ذودا عن الحق لا تأخذهم فى الله لومة لائم، وها هى بطون الكتب محملة بتراجمهم التى يهتز العرش لها رضاء بمواقفهم، ولكن صدق الله العظيم قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ (مريم: ٥٩-٦٠).

نتائج أمراض أئمة الضلال

١) أهمها تسليط الأعداء على الأمة وعلماء الدنيا عبيد الدنيا.

٢) تولية أهل الجهالة الظلمة على الأمة بوراثة أو بعصبة.

٣) تحصيل مالا ينفع من العلم وحصر التعليم فى علوم اللسان وعلوم الدنيا، كالمنطق والحساب والجبر والكيمياء والطبيعة والهندسة والجغرافيا والمساحة وغيرها فى معاهد الدين، مما تقوى به الرغبة فى الدنيا وتزول به الخشية من القلوب.

* * *

تلك هى أوصاف أئمة الهدى وأئمة الضلال، لتحكم أيها القارئ الكريم على أفعال من يدعون الإمامة، ونصرة السنة والتوحيد من أهل نجد (ابن سعود – إمام الوحدة، وابن عبد الوهاب – إمام التوحيد) من أى نوع من الأئمة يكونان، بعد ما دعوا إلى كراهية وتكفير واستحلال دم المسلم وماله ونسائه، مع التزمت والتشدد، وتطبيق آيات الكفار على أهل الشهادتين، وكراهية النبى وأهل بيته وأصحابه والصالحين، وشغل الأمة بفروع لتضييع الأصول، وأخيراً الولاء التام للصهيونية والصليبية.. وهذا ما ستراه جليا بين دفتى هذا الكتاب الهام الخطير.

واعلم أخى المسلم أن الإسلام لا يعذر مسلما جهل الواجب عليه، لأن كل مسلم مكلف أن يتعلم ما لابد منه، وأن يزن بميزان الشريعة الأمور كلها، فلا يقدم إلا إذا تبين له الحق، فإذا تبين له الباطل وجب عليه أن يغيره بيده.. أو لسانه.. أو قلبه.

فإن لم يستطع بيده.. فبلسانه وهو عمل ضعفاء الإيمان.

فإن لم يستطع بلسانه.. فبقلبه وهو أقل الإيمان.

فإذا لم ينكر المسلم المنكر، ويعرف المعروف فدعواه الإسلام مردودة عليه. إذن لم يأمرنا الإسلام أن نتأسى إلا برسول الله ﷺ، ولا نقتدى إلا بأئمة الهدى، ولا أن نعمل إلا بكتاب الله تعالى، ورسول الله ﷺ لم يغب عن مسلم رغب فى الدار الآخرة، لأن الرسالة لا تزال بين ظهرانينا وهى القرآن والسنة، قال رسول الله ﷺ: (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، وإن حمى الله فى أرضه محارمه) (رواه البخارى عن النعمان بن بشر).

فأثبت ﷺ بأن الحلال ظاهر جلى، وأن الحرام بين علنى، وأن أحداً من المسلمين لا يجهلهما، وكيف لا والحلال والحرام تفهمهما البهائم..؟ فإن القط إذا اختطف قطعة لحم فر بها على الجدران.. وإذا ناوله الإنسان شيئا أكله بجواره لعلمه أنه حلال.

فإذا اقتدى مسلم بغيره من غير بصيرة لا يعذر شرعا، فإن المسلم مكلف أن يقتدى بالعالم العارف الورع، والعالم فى

الحقيقة هو من يخشى الله تعالى.

وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى، وهـــدانا إلـــى صـــراطه المستقيم.

غرة شوال ١٤٢٥هـــ لجنة البحوث والدراسات

١٤ نوفمبر ٢٠٠٤م. بالطريقة العزمية

تمهيد

فصـــل الخصومات

الاتفاق على المعيار:

إذا آمنت بفكرة أنها صواب مئة بالمئة، وعارضك معارض، وقال: بل هى خطأ مئة بالمئة، أو وقف منها موقــف المــشكك المتردد، فماذا تصنع؟ هل تصر على رأيك بدون حجة ودليــل، ويصر هو على قوله كذلك؟ إذن، يبقى النزاع قائما، والمــشكلة بدون حل، مادام كل منكما يفقد قوة الإقناع، ولا ينحسم النــزاع إلا بعد أن تتفقا على مبدأ ترجعان إليه يكون هو الحجة، والحكم الفصل.

مثلا: إذا قلت: إن علاج المصاب بداء الرئة هــو الفــصد، وقال آخر: إن الفصد يضر بصحته، ويعجل بوفاته، كان الحكم بينكما الطبيب المختص بهذا الداء، ومحال أن يقتنع أحدكما بقول الآخر، أو تلزمه الحجة إذا لم تتفقا مسبقا على وجــود المعيــار والمقياس الذى يجيز الصواب من الخطأ، والحق من الباطل.

الرد إلى الله والرسول:

اتفق المسلمون جميعا على أن أى نزاع يقع بين الفئــات أو

الأفراد فعليهم أن يتحاكموا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله، لأن المفروض أن النزاع حصل فيما قال الله والرسول ﷺ، وقد أمر الله بالرد إليه وإلى رسوله فى مثل هذه الحال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩).

ولكن كثيرا ما يحصل النزاع فى تفسير آية تحتمل معنيين، أو أكثر أو فى صحة حديث، أو فيما يفهم منه، ومن أمثلة الأول قوله تعالى فى سورة الطلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (الطلاق: ٢). حيث فهم الشيعة من الآية الكريمة وجوب الإشهاد على الطلاق، وفهم السنة وجوبه على الزواج لا على الطلاق[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: ١٥٧).. اتفق الجميع على أن الخبائث محرمة، واختلفوا فى أكل الدود والذباب والفأر والضفدع والسرطان، فقال مالك: يحل أكلها، لأنها ليست من الخبائث، وقالت بقية المذاهب: يحرم أكلها، لأنها من الخبائث.

ومن أمثلة الثانى اختلافهم فيما نسب إلى الرسول، وهو:

---

١) قال الشيخ محمد أبو زهرة فى كتاب الأحوال الشخصية: لو كان لنا أن نختار للمعمول به لاخترنا رأى الشيعة، وصوبه أستاذه الشيخ الخفيف، ومال إليه الدكتور محمد موسى فى كتاب الأحوال الشخصية.

(من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سنته) فقد ضعفه السيوطى والعقيلى وابن حجر وغيرهم[1].

واتفق السنة والشيعة على أن النبى ﷺ قال: (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعادى من عاداه).

ولكنهم اختلفوا فى المراد من الولاية، فذهب السنة إلى أن المراد منها الحب والمودة، وقال الشيعة: (بل الحكم والسلطان بقرينة السياق).

ما هو الحل؟

وهذا النوع كثير، وهو من أهم الأسباب لاختلاف المذاهب الإسلامية بين بعضها البعض، وبين علماء المذهب الواحد، ورغم أن هذا الاختلاف يرجع فى حقيقته ومعناه إلى الخلاف فى أن الكتاب والسنة: هل تعرضتا إلى هذه القضية المتنازع فيها، أو لا؟ ومع هذا النزاع لا يمكن الرجوع إلى إحداهما كما يبدو، لعدم الاتفاق على وجود نص قطعى لا مجال فيه للاجتهاد يفصل بين الطرفين، رغم ذلك كله فإن المرجع فى هذا الخلاف هو الرسول الأعظم، حيث اتفق الجميع على أنه ﷺ قال: (إذا

---

١) اللآلئ المصنوعة للسيوطى ج٢ ص ١١١.

اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)[1].

فكل عالم بحث وتحرى، وأدى به البحث إلى العلم بشيء تحتم عليه العمل بعلمه، مصيبا كان أو مخطئا، مادام غافلا عن خطئه، وليس لأحد أن ينهاه عن اتباع العلم، كيف؟ ومتى حصل له العلم بشيء لا يسعه إلا اتباع علمه، ومن خالفه فهو مذموم فى الشرع والعقل. أجل، لك أن تحاول إقناعه بالدليل والمنطق، فإن ظهر له الخطأ، وأيقن به، ومع ذلك أصر عليه كان معانداً للحق، مخالفا عن عمد، واستحق الذم والعقاب، كما هو شأن الذين عاندوا نبوة سيدنا محمد ﷺ بعد ما ظهرت جلية كالشمس، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواًّ﴾ (النمل: ١٤).

والخلاصة: أن كل من قامت عليه من الله الحجة القطعية المجمع عليها فليس له أن يخالفها، ويجتهد ضدها، لأن اجتهاده، والحال هذه يكون ردا على الله ورسوله، ولا تقوم هذه الحجة إلا إذا كانت كوضح النهار بحيث لا يسوغ الاعتذار معها بالجهل، مادام طريق العلم بها ميسرا وواضحا، لا غموض فيه، ولا التباس، وإذا لم تبلغ هذه المرتبة من الوضوح، وكان للاجتهاد فيها مجال يكون معذورا لو خالف الواقع، على شريطة

---

١) الصحاح الستة: البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة.

أن يعقد العزم على أنه إذا استبان الخطأ رجع عنه.. والعقل هو الحاكم ينفى المسؤولية عن المخطئ غير المقصر، والشرع من باب الرفق والتسامح، لأن سير الإنسان بموجب فهمه شئ طبيعى، لا يستطيع التخلص منه، بل هو مصدر الحركة والحياة.

ومن هنا رأينا سيرة العقلاء فى كل عصر ومصر على نفى المسؤولية عن المخطئ إذا تحقق وتدقق، سواء أكان فقيهاً، أم طبيباً أم مهندساً، أم بناءً، وما إليه، لأن الإنسان- أى إنسان- يعمل بما يعتقد أنه الحق، لا بما هو حق فى علم الله.. كذلك اتفقت جميع الشرائع السماوية والوضعية على أن مجرد المخالفة فى الرأى لا تستتبع العقوبة والمسؤولية، والاختلاف فى الرأى ملازم لطابع البشر، وكثيرا ما يكون سببا للتصفية والتمحيص، وتمييز الأصيل من الدخيل، والعارف من الزائف، ولكن هذه المخالفة تقسم بجريمة البدعة والضلالة عند الوهابيين حتى ولو كان من خالفهم أعلم العلماء، وأبر الأتقياء، لا لشئ إلا أنه لم يترك ما يعتقد، ويتبع ما هم عليه، وإن اعتقد فساده وضلاله.

وقال ابن تيمية فى كتاب (نقض المنطق) ص ٧١ طبعة ١٩٥١، وهو إمام الوهابيين، والمعتمد الأول لمذهبهم، قال ما

نصه بالحرف: (فإنهم- أى: هو ومن قال بمقالته- أشد النـــاس نظرا وقياسا ورأيا، وأصدق الناس رؤيا وكشفا، أفلا يعلم من له أدنى عقل ودين أن هؤلاء أحـــق بالـــصدق والعلـــم والإيمـــان والتحقيق ممن يخالفهم، وأن عندهم من العلوم ما ينكرها الجاهل والمبتدع، وأن الذى عندهم هو الحـــق المبـــين، وأن الجاهـــل بأمرهم والمخالف لهم هو الذى معه من الحشو ما معه، ومـــن الضلال كذلك).

فالذى عندهم علم الإيمان، وصدق وحق مبين، أما الذى عند غيرهم فجهل وكفر وكذب وبدعة وضلالة، ذلك أن ابن تيميـــة وقبيله معصومون من الخطأ دون غيرهم، مـــع أنـــه لا يـــؤمن بعصمة إنسان..

وسنستشهد من كتبهم المعتبرة بكلام أدل وأوضح.

البناء على القبور:

جميع شيوخ الوهابية يعتقدون بأن البناء على القبور شـــرك وإلحاد، وأن القصد وشد الرحال لزيارة روضة الرسول الأعظم ﷺ من أكبر الكبائر، وبذلك صرح الأمير فيصل بن عبد العزيز فى الخطاب الذى ألقاه بمكة المكرمة، وأكد أن بنـــاء المـــسجد على روضة الرسول حرام، وهو طريقة اليهـــود والنـــصارى، وقال ما نصه بالحرف الواحد:

(قال رسول الله: قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجد، لا تتخذوا قبرى هذا من بعد مسجدا، فما معنى ذلك؟ ربنا يقول: ادعونى استجب لكم، ما قال: ادعوا الأنبياء، ولا ادعوا الملائكة، ولا ادعوا الأولياء والصالحين)[1].

ومن قبل ذهب أخوه الملك سعود إلى إيران، وطالبه العلماء أن يسمح بإعادة البناء على روضات أئمة البقيع فجابههم بهذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤). أى أن هؤلاء الشيوخ كافرون، لأنهم طالبوا بغير ما أنزل الله.. وإذا عطفنا قول فيصل على قول أخيه سعود تكون النتيجة أن الحاكم فى السعودية هو وهابى قبل كل شئ، وأن الوهابية فوق كل شئ حتى الشعب والناس أجمعين.

ومن قرأ كتبهم ظهرت له هذه الحقيقة بأجلى معانيها ، فقد قال عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ فى كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) ص ٤٨١: إن تعلية القبور من ذرائع الشرك ووسائله.. وفى ص ٣٢، ٤٨٣: أن تخصيص القبور والصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها.

وجاء فى كتاب (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد) للصنعانى ص ٣٨: هؤلاء القبوريون سلكوا مسالك المشركين

---

١) جريدة المكية عدد السبت ٦ ذى الحجة سنة ١٣٨٣هـ.

حذو القذة بالقذة. وفى ص ٣٢: أن تسمية القبر مشهدا، ومن فيه وليا لا يخرجه من اسم الصنم والوثن.. وفى ص ٣٤: فإن قلت: هل الذين يعتقدون بالقبور والأولياء مشركون كالذين يعتقدون بالأصنام؟. قلت: نعم، قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم فى ذلك، بل ازدادوا فى الاعتقاد والانقياد والاستعباد، فلا فرق بينهم).

وإذا كان التعمير على القبور شركا، والاعتقاد بالأولياء أكبر من الشرك وأعظم، فهل يبقى مجال للسعى، أو أمل فى إقناع الوهابيين؟.

ونرى لزاماً أن تهدى بعض كتب الطريقة العزمية لعلماء الوهابية ومكتباتهم العامة بمكة والمدينة والرياض، ولأساتذة المعاهد والكليات رغم علمنا ويقيننا أن للوهابية مبدأ لا تحيد عنه، وهو أن كل من عاداهم مشرك، وإن نطق بكلمة التوحيد، وصام وصلى، وحج وزكى وقال بالثواب والعقاب، وأن المشرك على نوعين مشرك لا ينطق بكلمة التوحيد، ولا يصوم ولايصلى، ولا يحج ولا يزكى، ولا يقول بالثواب والعقاب. ومشرك ينطق بكلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصوم ويصلى ويحج ويزكى، ويقول بالثواب والعقاب..

وتظهر لك هذه الحقيقة من الفصول التالية.

الفصل الأول

المسلم والكافر

معنى الإسلام فى اللغة: الانقياد والاستسلام، أما الشرع فقد استعمله فى معان شتى، منها: المسلم والأخلاقى السلبى الذى أشار إليه النبى ﷺ بقوله: (المسلم مَنْ سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده) فإن فى غير المسلمين من يكف أذاه عن الناس أجمعين، لا عن المسلمين فقط، وقد سمعنا وقرأنا عن أفراد من الهندوس بلغوا الغاية فى المسالمة، حتى لمن اعتدى عليهم.. ومهما يكن فإن المسلم الكامل فى خلقه هو من أدى حقوق الناس إلى جانب قيامه بحقوق الله عز وجل.

ومنها المسلم العامل الإيجابى[1] قال الرسول الأعظم ﷺ فى جواب من سأله أى الإسلام خير؟: (إطعام الطعام وإفشاء السلام). وقال: (ثلاث من كن فيه فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام، والإنفاق من الإقتار).

وإطعام الطعام كناية عن العمل النافع، بخاصة ما كان منه لسد العوز، ودفع الفقر عن المحتاجين، أما السلم والسلام فهو

---

١) إن الإسلام كما يطلب من الإنسان أن لا يجرم، يطلب منه أن يحارب المجرمين.

قوام الحياة، قال بعض شراح الحديث: وإنما خص النبى هـاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما.

ومنها المسلم الذى يجرى عليه أحكام الإسلام من المناكحة والتوارث، وعصمة الدم والمال، وتغسيله وتكفينه، والصلاة عليه ميتاً، ودفنه فى مقابر المسلمين.

والخلاصة: أن نلتزم دينا بأن له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، تاركين ما عدا ذلك لجزائه فى الآخرة، فعذابه فى نار جهنم، بل خلوده فيها لا يمنع أبدا من أن نجرى عليه حكم الإسلام، فإن أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه قاتل أهل الجمل، ولم يجز تقسيم أموالهم، وسبى نسائهم، ولا من الفىء.

أما قوله فى أهل الشام الذين تجمعوا لقتله وقتاله فى صفين: (إنما أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام).

أما قوله فى أعدى أعدائه أو لُدَّ خصومه فقد بلغ الغاية فى إنصاف الخصوم والأعداء.

وهذا المسلم هو المقصود من هذا الفصل، ومن قول الفقهاء: (الإسلام الظاهر) وقد جاء تحديده فى كتاب الله، وسنة الرسول واضحا جليا.

قال تعالى فى سورة التوبة: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا

الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ (التوبة: ٦) وفى الآية ١١ من هذه السورة: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وعن ابن عباس أن هذه الآية حرمت دماء أهل القبلة. وفى الآية ٩٤ من سورة النساء: ﴿فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾ وقد دلت الآية على أن من أظهر أية علامة من علامات الإسلام، كالتحية جرت عليه جميع أحكامه، قال البخارى: (إن رجلا كان فى غنيمة له، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه، وأخذوا غنمه، فأنزل الله هذه الآية).

وفى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله).

وفى الحديث دلالة صريحة على الاكتفاء بظاهر الإسلام، وترتب الأحكام بمقتضاه، بخاصة قوله ﷺ: (وحسابهم على الله).

قال ابن حجر فى فتح البارى: (ويؤخذ منه- الضمير عائد على هذا الحديث- ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين بالشرائع، وقبول توبة الكافر من كفره، بدون تفضيل بين كفر ظاهر أو باطن).

وأيضا فى البخارى عن النبى ﷺ: (أتدرون ما الإيمان بالله

وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة ألا إلـــه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصـــيام شـــهر رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس).

وأيضا فى البخارى ومسلم، وعن الترمذى وابن حنبـــل أن النبى قال: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنـــة). وأيضا عن البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود وابن حنبل أن النبى ﷺ قال: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخـــل الجنـــة وإن ارتكب الكبائر). وأيضا عن ابن حنبل عن النبى ﷺ: (ماذا يجـــد من قال: لا إله إلا الله عند حضرة الموت). وأيضا فى البخارى ومسلم وعن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وابن حنبل عن الرسول الأعظم: (من قال لا إله إلا الله فقد عـــصم مالـــه ونفسه).

أما الحديث بنى الإسلام على خمس: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكـــاة، وصـــوم رمضان، وحج البيت) فقد تجاوز التواتر عند جميـــع الطوائـــف الإسلامية، ومن راجع كتب التـــاريخ والـــسير، وكتـــب الفقـــه والتفسير يرى أن علماء المسلمين مجمعون قولاً وعمـــلاً منـــذ حدوث الاختلاف فيما بينهم إلى يومنا هذا على أن يعاملوا مـــن نطق بالشهادتين معاملة المسلمين، من الزواج والإرث واحترام

الدماء، فمن أقوالهم فى باب الجنائز: (تجب الصلاة على أهل القبلة) وفى باب الإرث: (المسلمون يتوارثون على اختلاف مناهجهم) وفى باب الحدود: (لا يقام الحد على أحد إلا إذا سلم من الشبهة). وقالوا: إذا قال الكافر: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقد دخل فى الإسلام، وأن المرتد إذا كانت ردته بالشرك فإن توبته بالشهادتين. وفى كتاب المغنى لابن قدامه ج٧ ص ١٢٧، ١٤١ وما بعدها ما نصه بالحرف: (أن رجلا أستأذن رسول الله بقتل رجل من المسلمين، فقال الرسول: أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن لا شهادة له، قال الرسول: أليس يصلى؟ قال: بلى، ولكن لا صلاة له. قال النبى: أولئك الذين نهانى الله عن قتلهم). ثم قال صاحب المغنى: وإذا ثبتت ردته بالبينة أو غيرها، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لم يكشف عن صحة ما شهد عليه به، وخلى سبيله.

وهذا الكتاب فى الفقه على مذهب الحنابلة، وهو المعتمد عند الوهابية، هذا، إلى أن المعهود من طريقة الشارع التشدد والاحتياط فى أمر التكفير، وهو من الموارد التى يتغلب فيها الضعيف على القوى، فلو وجد ٩٩ وجها للتكفير، ووجد وجه واحد لعدمه تغلب الواحد على التسعة والتسعين.

وعلى الرغم من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التى

جاءت فى الصحاح الستة وغيرها، وعلى الرغم من قيام الإجماع من يوم الإسلام الأول إلى آخر يوم، وعلى الرغم من أن التسامح من فضل الرحمن، والتعصب من لغة الشيطان، على الرغم من ذلك وغير ذلك فقد جزم ابن تيمية بأن النطق بالشهادتين لا يكفى، والعلم بهما لا يجدى، والصوم والصلاة والحج لا ينفع إلا من آمن بآراء ابن تيمية، وكفر بغيرها.

ولا شئ أدل على ذلك من أنه قسم المشركين إلى نوعين: نوع لا ينطق بالشهادتين، ولا يصوم ولا يصلى ولا يحج ولا يزكى ولا يؤمن بالحساب والعقاب، ونوع ينطق بالشهادتين، ويصوم ويصلى ويحج ويزكى، ويؤمن بالحساب والعقاب، وهذا النوع هم المارقون عن الإسلام، لا لشئ إلا أنهم لا يعتقدون كل ما يعتقده ابن تيمية[١] وهكذا بلغ به التشدد أن لا يرضى إلا عمن وافقه فيما هو عليه.

من أقوال ابن تيمية:

قال ابن تيمية واضع حجر الأساس لمذهب الوهابية فى كتاب (الرسالة التدميرية) ص ٦٢ ما نصه بالحرف: (فإن عامة

---

١) إذا صح هذا التقسيم فإنما يصح بصدق على من قسم المشركين إليهما، قال النبى الأعظم ﷺ: من كفر أخيه بغير تأويل فهو كما قال، أى: كافر (صحيح البخارى).

الذين يقرون بالتوحيد فى كتب الكلام والنظر، غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد بذاته، ولا قسيم له، وواحد فى صفاته، لا شبيه له، وواحد فى أفعاله، لا شريك له). وقال فى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) ص ٤٥٩: (وقد غلط فى مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر والكلام، ومن من أهل الإرادة والعبادة، حتى قلبوا الحقيقة فى نفوسهم)، وفى ص ٤٥٦: (فسوى بين المؤمنين والمشركين). ومعنى هذا أن جميع علماء الكلام مشركون، وكذلك العابدون المتعبدون لا ينفعهم إيمانهم بأن الله واحد بذاته. واحد بصفاته واحد بأفعاله.. فيقول الله ورسوله: إن المسلمين هم الذين لا يستكبرون على كلمة التوحيد، ويقول ابن تيمية: كلا إنهم مشركون وإن لم يستكبروا عليها.

وأراد الله والرسول أن يجمعا صفوف المسلمين بالقصد إلى بيت الله الحرام، والصلاة إلى قبلة واحدة، ويأبى ابن تيمية إلا أن يشتت، ويفرق ويعنت، وإن نطقوا بالشهادة، وصلوا جميعا إلى قبلة واحدة، وحجوا إلى بيت واحد.

علماء الكلام الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا بعد سيدنا محمد نبيا آخر، علماء الكلام الذين ذبوا عن الإسلام ودفعوا عنه الشبهات، وناضلوا أهل البدع، وأحسنوا كل الإحسان فى نصرة

الكتاب والسنة، علماء الكلام هؤلاء مشركون عند ابن تيمية إمام الوهابيين، لا لشئ إلا لأنهم نزهوا الله عن المثيل والشبيه والشريك.

والآن تعال معى لنقرأ رد ابن تيمية على المتكلمين، قال فى ص ٦٤ من (الرسالة التدمرية): (يريدون من هذا اللفظ- أى نفى المثيل والشبيه والشريك- نفى علو الله على عرشه، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من المعانى المستلزمة لنفيه وتعطيله).

وتوضيح كلامه هذا: أن الله فى واقعه لا يمتاز عن خلقه، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، ولكن المتكلمين يجعلونه مبايناً وممتازاً عن الخلق، وهذا الامتياز والتباين يستلزم تعطيل الله، وبالتالى نفيه وتعطيله من الأساس، والنفى والتعطيل جحود وشرك، فالمتكلمون إذن، مشركون.

أرأيت إلى هذا التفكير وهذا المنطق؟ كيف يستخرج الشرك من التوحيد، والكفر من الإسلام، والإلحاد من الإيمان؟.

لقد قال علماء البيان: إن الكلام يحتمل الصدق والكذب، ولكن حيث يكون كل من الصدق والكذب ممكنا، والكلام يتحملهما معا، أما حيث لا يمكن إلا الكذب، بحيث لا يتأتى الصدق بحال، مثل الموجود معدوم، والعلم جهل، والظلم عدل،

والليل نهار، والحب بغض، والأمانة خيانة، أما هذا الكلام، وما إليه فهو لغو وهذيان.

وأيضا قال ابن تيمية فى كتاب (نقض المنطق) ص ٤٦: (لو يقال هم- أى المتكلمون- لما فيهم من العلم عبد الله بن سرح الذى كان كاتب الوحى، فارتد وألحق بالمشركين، فأهدر النبى دمه عام الفتح). وقال فى ص ٨٨: (وكذلك المتكلمون المخلطون الذين يكونون تارة مع المسلمين، وإن كان مبتدعين- يريد بالمبتدعين من لم يقولوا بقوله- وتارة مع الفلاسفة الصابئين، وتارة مع المشركين) فأبو الحسن وأتباعه من المسلمين الذين يعدون بالملايين، والغزالى النوبختى ومحمد بن كرام، والباقلانى وواصل بن عطاء، والنظام الرازى والأيجى والجرجانى كل هؤلاء وأشياعهم، ومن إليهم من أقطاب المسلمين مشركون مرتدون مبتدعون صابئون، لا لشئ إلا أنهم خالفوا ابن تيمية فى رأى من آرائه، وقول من أقواله.

إن علم الكلام هو المعرفة العقلية التى يبتنى عليها الدين والعقيدة الإسلامية، فإذا كانت هذه المعرفة كفر وشرك، وبدعة وضلالة فماذا يكون الدين والإسلام؟ وإذا كان العلماء الكبار كالأشعرى والغزالى، وأضرابهما مشركون، فمن هو المسلم- يا ترى-؟!!.

ولا يقتصر ولا ينحصر تكفير ابن تيمية فى العلماء، فإن كلامه صريح بتكفير كل من يعظم الرسول ويصلى عنده، ويقصده للزيارة ، قال فى كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم ص ٤٥٧: (قد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم، واستزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك، فيقصدون بالسفر والزيارة رضى غير رضى الله ، والرغبة إلى غيره، ويَشدُّون الرحال إلى قبر نبى، أو صاحب، أو صالح، أو من يظنون أنه كذلك) فزيارة روضة الرسول عند ابن تيمية غواية من الشيطان، وضرب من الشرك، حتى لو قصد بها مرضاة الله وثوابه.

وقال فى ص ٣٣٣: (إن اللات –وهى صنم– كان سبب عبادتها تعظيم روضة رجل صالح) أى أن تعظيم روضة الرسول يستتبع جعله صنما، تماما كاللات والعزى.

وقال فى ص ٣٣٤: (إما إذا قصد الرجل الصلاة عند بعض قبور الأنبياء أو بعض الصالحين متبركا بالصلاة فى تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن الله به) فالصلاة عند روضة النبى بقصد التبرك بدعة ومحادة لله والرسل، وبديهة أن المسلمين أجمعين يتبركون بالصلاة فى البقعة المقدسة التى فيها الجسد الشريف.

وقال فى ص ٤٠١: (الأحاديث المروية فى قبر النبى ﷺ كقوله: من زارنى وزار أبى إبراهيم الخليل فى عام ضمنت له الجنة. ومن زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن حج ولم يزرنى فقد جفانى، ونحو هذه الأحاديث كلها مكذوبة موضوعة)[١].

فتعظيم روضة سيدنا محمد ﷺ يؤدى إلى الشرك، والصلاة عنده للتبريك بدعة، وأحاديث زيارته مكذوبة وموضوعة.. فهل هذا من ابن تيمية تسامح ومحبة للمسلمين، أو تحقيق وتدقيق، أو احتياط وتورع؟ وهل فى تكفيره الأمة الإسلامية دعوة إنسانية، وأخوة شاملة؟ ولماذا كل هذه اللهفة والتعطش للتكفير والتفسيق؟ أحباً بغرس الاحتقان والأحقاد وإثارة الفتن والإحن؟ إن المصلح المفكر يهتم بإسعاد الإنسان وتخفيف آلامه وويلاته، ويهتم ابن تيمية بتكفير الناس، ورميهم بالشرك والزندقة، حتى كأن التكفير والتفسيق مبدأه ومنهجه فيما يكتب ويحكم.. ولا ندرى أى شئ يهدف من وراء هذا التعصب والتشدد؟

هل يريد أن توجد فئة تعظمه وتقدسه عن هذا الطريق؟ الله أعلم.

---

١) روى أبو داود، وهو أحد أصحاب الصحاح الستة عن النبى ﷺ أنه دعا الناس لزيارة روضته والسلام عليه.

الفصل الثانى

المسلم والدولة الإسلامية

الدولة الإسلامية:

يتمنى كل مسلم يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله أن تقوم دولة إسلامية قوية فى بقعة من الأرض، أية بقعة تحكم باسم الإسلام، وتأخذ بمبادئه وتعاليمه فى جميع شؤونها، غير خاضعة فى شئ من تصرفاتها السياسية والثقافية والاقتصادية لآية سلطة من الخارج أو الداخل.

كل مسلم- عربيا كان أو عجميا- يتمنى قيام هذه الدولة، ويشعر من الأعماق بالحاجة إليها.. ولو استطاع أن يخلقها خلقا، ويدفع عنها من دمه وأهله لفعل وضحى بكل عزيز، لا لغاية اقتصادية، ولا للمضاهاة والمباهاة، لا لشىء إلا لإعزاز كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وآله.

السعودية:

ورب قائل يقول: إن هذه الدولة موجودة، وهى السعودية التى رسمت على علمها بالخط الطويل العريض كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأعلنت على الملأ أن دستورها الوحيد الشريعة الإسلامية، مع أن المسلمين فى شرق الأرض وغربها

يتجاهلون وجودها، ولا يشعرون نحوها بشيء مما ذكرنا، بل إن المسلمين كلهم أوجلهم يتمنون زوالها، قال الشيخ محمد أبو زهرة فى كتاب (المذاهب الإسلامية): إن أكثر المسلمين ينفرون من الوهابية أشد النفور.

الجواب:

اعتقد أن هذا القائل- لو وجد- فهو غير جاد فى قوله إلا أن يكون أعمى القلب والعينين، لأن العبرة بالتنفيذ، والعمل بما تمليه الشعارات، لا بالشعارات ذاتها، فكثيرا ما تأتى الشعارات للتغطية والتخليل، وكلمة لا إله إلا الله عظيمة وقوية، وحية نامية، فيجب أن تستعمل فيما وضعت له، وفيما ينسجم معها حقيقيا، حيث التقدم والازدهار، والعدل والحرية والمساواة واجتناب المحرمات، لا حيث البؤس والتراكم إلى جانب الفسق والفجور، والسهرات الحمر مع السمراوات والشقراوات.

وإذا نظرنا إلى المملكة السعودية فلا نجد جهة إلا وفيها الضعف والهزال، والتأخر والانحطاط، فأول ما يبدو للناظر فى هذه المملكة التفاوت بين الناس، وتفوق بعضهم على بعض بالمال والثراء، وتحالف الأقوياء مع الرأس مالية الأجنبية، لاحتكار الخيرات والموارد واستغلال المستضعفين، وكبت الحرية والقضاء على ما يسمونه الديمقراطية، هذا، إلى الأمية

المتفشية والأمراض المنتشرة والفقر الذى بلغ الغاية، مع العلم أنه قد مضى على قيام دولة الوهابية الثالثة حوالى تسعين سنة، وأنها تسيطر على منابع البترول، ومناجم الذهب وسائر المعادن، وعلى الأرباح من الحجاج وغير الحجاج، ومع ذلك فقد انخفض دخل الفرد القومى فى السعودية من ٢٨٦٠٠ دولا عام ١٩٨١م إلى ٦٨٠٠ دولار فى عام ٢٠٠١م، فى حين أن الملك فهد وحاشيته يصرفون (٥) ملايين دولار فى اليوم الواحد خلال زيارته لقصره فى ماربيلا على الشاطئ الأسبانى، ووصل الحال ببعض المواطنين أن يبيعوا بعض ممتلكاتهم ليقتاتوا، وفى بعض المجتمعات الفقيرة تستخدم المرأة عرضها لتأكل ولكن بشكل خفى!! ولو أخذت السعودية بتعاليم الإسلام حقا، وعملت بأحكامه، لما وجد فى أرضها مريض ولا جاهل ولا بائس ولا عاطل، وعمت العدالة والحرية والرفاهية، وكانت المثل الأعلى للحضارة والتقدم، وكلنا يعلم أن الله سبحانه حين قيض للإسلام حكاما مخلصين التزموا بتعاليمه وساروا على هديه تغير مجرى التاريخ، وخرج العالم من ظلمة الجهل والظلم إلى نور العلم والعدل، وأعطى الإسلام بفضل القائمين عليه أصدق مثال، وأبلغ حجة على أن الدين هو المصدر الأول لخير الإنسانية وسعادتها، والعلاج الناجع لآمالها وآلامها.

والخلاصة: إن الإسلام ثورة على الجمود والانحطاط،

والظلم والمحاباة والطمع والجشع، فإذا ما سادت الأوضاع الفاسدة فى بقعة الأرض ورأى حكامها أنهم أولى الناس بالمال والجاه والسلطان تأكد أنه لا عين ولا أثر لمعنى الإسلام، حتى لو تستر سادتها ومترفوها بمظاهره وشعائره، تماما كما هى الحال فى المملكة العربية السعودية، حيث تتسرب الملايين إلى جيوب المسؤولين والشعب غارق فى جهله ومرضه وفقره، ولو كان الإسلام دين الدولة حقا، ودستورها الشريعة الإسلامية حقا، لكان هذا الدين وهذه الشريعة موضوع الرعاية والتطبيق على رجال الدولة قبل غيرهم. وهناك مفاجأة فى خاتمة هذا الكتاب أن السعودية دولة علمانية (تفصل الدين عن الدولة) ، وليست السعودية دولة إسلامية كما يتوهم البعض!!.

وإذا ربح السعوديون المال والسلطان فإنهم قد خسروا ثقة المسلمين بهم فى شرق الأرض وغربها ومكانتهم الأدبية بين الأمم، والنتيجة الحتمية لهذه الخسارة هى نتيجة النازية والفاشية بالذات.

الوهابية والخوارج:

كان الخوارج أكثر المسلمين عبادة، ومحافظة على الصلاة، حتى عرفوا بأهل الجباة السود من كثرة السجود، ومع ذلك كانوا لا يتورعون عن سفك الدماء، ونهب الأموال، والإخلال

بالأمن.. سمع الصحابى عبادة بن قرط الأذان، فقصده يريد الصلاة، وإذا هو بالخوارج. فقالوا: ما جاء بك يا عدو الله؟ قال: أنتم إخوتى. قالوا: أنت أخو الشيطان، لنقتلنك. قال: ألا ترضون بما رضى به رسول الله؟ قالوا: وأى شئ رضى به منك؟ قال: أتيته وأنا كافر فشهدت أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله فخل عنى، فأخذوه فقتلوه.

وقطع الخوارج الطريق على واصل بن عطاء، ورفقة معه، ولما أرادوا قتلهم لا لشئ إلا لأنهم مسلمون، قال لهم واصل: نحن مشركون ممن قال فيهم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة: ٦)، فنجوا، ولكن بعد أن اعترفوا على أنفسهم بالشرك، ولو قالوا للخوارج: نحن مسلمون، وإخوتكم فى الدين لقتلوهم كما قتلوا الصحابى عبادة.

ولا يختلف الوهابية عن الخوارج فى هذا الصعيد، أجل، إن الوهابية يكفرون بعض الصحابة ويستحلون دماءهم كما هى الحال عند الخوارج، ومهما يكن، فإن الإسلام فى مفهوم الوهابية ضيق جداً، بخاصة يتعلق بالتوحيد، فإنهم يفسرونه تفسيرا لا ينطبق إلا عليهم وحدهم، حيث يربطون به هدم القبور، وما بنى عليها من المساجد، حتى روضة النبى، والتبغ والتصوير الفوتوغرافى، وقول المسلم: سيدنا محمد، وحق

محمد، ويا محمد فبدعة وضلالة..

هذا هو الإسلام فى مفهومهم، أما العلم وانتشار المعرفة، والقضاء على الفقر والجهل، أما عمارة الأرض، وصلاح المستضعفين فيها، والنضال فى مرافق الحياة للتخلص من الضعف وآثاره، والتضامن والتعاون لإيجاد وسائل العيش والهناء للجميع، أما تجنب أسباب العداء والبغضاء، وشعور الإنسان تجاه أخيه الإنسان، أما هذه، وما إليها فأمر ثانوى، وشئ عرضى عند الوهابية!!.

وليس من شك أن الإسلام لو وقف عند فهم الوهابية وتفكيرهم، لما تقدم خطوة إلى الأمام، ولما كان للمسلمين هذا التاريخ الخطير الشهير الذى أرغم الأجانب والأباعد على الاعتراف بأن رسالة سيدنا محمد ﷺ هى أم الحضارة الحديثة، لقد استيقظ العالم كله على مثل أعلى جديد، وثار على القيود والتقاليد، وآمن بأن الإنسان لا يجوز أن يكون أداة لنجاح إنسان آخر إلا فى السعودية حيث يعيش حكامها فى قصور أسست على الشقاء والجهل والانحطاط.

الوهابية والحشوية:

الحشوية هم فرقة من المسلمين لها فهم خاص، تخالف فيه المعتزلة والأشاعرة والإمامية والمرجئة، وهذا المنهج هو حصر

العلم والمعرفة بظواهر الكتاب والسنة بنصهما الحرفى، حتى لو خالفت العقل ولم تتفق مع عظمة الله وجلاله، وتنزيهه وكماله، فالله سبحانه فى عقيدة الحشوية، له يدان ورجلان وعينان وأذنان، ويقف ويجلس ويمشى، ويضحك ويبكى، ويصافح ويعانق.

والخلاصة: إن الحشوية يرون أن العلم والمعرفة بالنقل والرواية، لا بالعقل والدراية، وهم أشد الناس تعصباً، فكل ما يرونه صوابا هو الصواب، ومن خالفهم رموه بالكفر والزندقة.. قال سليمان بن عبد الوهاب أخو محمد عبد الوهاب فى كتاب (الصواعق الإلهية) ص ٢٧ طبعة ١٣٠٦هـ: (والله ما لعباد الله إلا أنهم لم يتبعوكم- الخطاب للوهابيين- على تكفير من شهدت النصوص الصحيحة بإسلامه، وأجمع المسلمون على إسلامه).

والوهابية هم الفرد الأكمل، والنموذج الأمثل للفئة القائلة بأن الآيات والروايات على دلالتها الحرفية، وإن خالفت العقل وما تقتضيه أصول الدين..

قال الشيخ محمد عبده فى كتاب (الإسلام والنصرانية): ص ٩٧ الطبعة الثامنة: (إن هذه الفئة أضيق عطنا، وأحرج صدرا من المقلدين، وأنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من اللفظ الوارد

والتقليد به بدون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التى قام عليهـــا الدين).

وعلق رشيد رضا على هذا الكلام بقوله: (يعنى بهذه الفئـــة أهل الحديث ومن يسمونهم بالوهابية).

وفى الفصل الآتى يجد القارئ عرضا مفصلا لعقيدة الوهابية كما هى فى الكتب المعتبرة عندهم، ومنه يعلم جمـــودهم علـــى الظاهر، وقد اعتبروا التأويل كفرا، لأنه يفضى إلى تكـــذيب الله ورسوله.

الفصل الثالث

عقيـــدة الوهـــابية

قلنا: إن الوهابية حشوية أو شبه بالحشوية الذين يتمـــسكون بحرفية الألفاظ، وإن قام ألف دليل من العقــل علـــى المجـــاز والتأويل، وأنهم يضيقون معنى الإسلام، ويتوسعون فى مفهـــوم الشرك بحيث لا يصدق التوحيد إلا عليهم، وإليك الدليل.

التوحيد والشرك:

يرى الوهابية أن جميع المسلمين – غيرهم – قـــد فـــسروا التوحيد تفسير خاطئاً، وفهموه فهماً لا ينطبق علـــى الواقـــع ولا يخرجه عن حقيقة الشرك، وعملوا بما فهموا..

إذن، جميع المسلمين مشركون، من حيـــث لا يريـــدون ولا يشعرون.

فالإنسان عندهم لا يصير موحداً بمجرد أن يشهد ويعتقد بلا إله إلا الله محمد رسول الله (وبأن الله هو الخالق المالك الرازق وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يدبر الأمـــر إلا هو، وأن جميع السموات والأرض، ومن فيهن، كلهـــم عبيـــد، وتحت تصرفه.. وكل ذلك لا يفيد، ولا يجعل الإنـــسان موحـــداً ولا مسلماً.

وكما لا تنفع كلمة الشهادة، كذلك لا تنفع كثرة العبـــادة، ولا الإيمان بأن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، ولا قول الإنسان: أنا مذنب، والأنبياء لهم جاه عند الله، وأتوسل بهم إليه تعالى، كـــى يعفو ويصفح) [١].

كل ذلك، وغير ذلك لا يجعل الإنسان موحداً ولا مـــسلماً إلا أن يترك أموراً معينة:

(منها): أن لا يتوسل إلى الله بأحد أنبيائه وأوليائه، فإن فعل، وقال – مثلاً – : يا الله أتوسل إليك بنبيك محمد أن ترحمنى فقد سلك مسلك المشركين، واعتقد ما اعتقدوا[٢].

(ومنها): أن لا يقصد روضة النبى للزيـــارة، ويـــشد إليـــه الرحال، وأن لا يتمسح به، ولا يمسه، ولا يدعو الله ويصلى لله عنده، ولا يقيم عليه بناء ولا مسجداً ولا ينذر له[٣]. وفى صفحة

---

١) رسالة التوحيد، ورسالة هذه أربع قواعد، ورسالة كشف الشبهات لمحمد ابن عبد الوهاب، وفتح المجيد لحفيده، وتطهيـــر الاعتقـــاد مـــن أدران الإلحاد للصنعانى، وهو من أصح الكتب وأوثقها عند الوهابية، ومن غير هذه الرسائل والمؤلفات من كتبهم المعتبرة.

٢) تطهير الاعتقاد ص ٣٦ الطبعة الأولى، والرسائل العملية التسع ص ٤٥ وما بعدها طبعة ١٩٥٧.

٣) تطهير الاعتقاد ص ٣٠ و٤١، ونقض المنطق لابن تيمية ص١٥ طبعة ١٩٥١، وفتح المجيد ص ٢٣٩ طبعة ١٩٥٧، واقتضاء الصراط –

٤٠٤ من كتاب ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم: (وإن كان المصلى لا يصلى إلا لله، ولا يدعو إلا لله) فإنه مشرك.

(ومنها): أن لا يطلب الشفاعة من النبى لأن الله وإن أعطاها لسيدنا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء، ولكنه نهى عن طلبها منهم، ومن طلب الشفاعة من سيدنا محمد كان كمن طلبها من الأصنام سواء بسواء[1]. أرأيت إلى هذا المنطق!! من يعظم الرسول لقربه من الله سبحانه كافر مشرك، ومن يساويه بالأصنام التى حطمها الرسول مؤمن موحد؟.

(ومنها): أن لا يحلف بالنبى، ولا يناديه، ولا ينعته بسيدنا، كأن يقول: بحق محمد، ويا محمد، وسيدنا محمد، بل الحلف بالنبى وغيره من المخلوقات هو الشرك الأكبر الموجب للخلود بالنار، قال حفيد محمد عبد الوهاب، فى فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٤١٤ طبعة ١٩٥٧: (قال ابن مسعود: (لأن أحلف بالله كذباً أحب إلىَّ من أن أحلف بغير الله صادقاً) لأن الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر، ولكن الشرك – أى الحلف بغير الله – أكبر من الكبائر.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر

– المستقيم مخالفة أهل الجحيم ص ٣٦٨ طبعة ١٩٥٠ لابن تيمية.

١) الرسائل العملية التسع ص ١١٠، ١١٤.

الموجب للخلود بالنار).

وقال السيد الأمين فى كتاب (كشف الإرتياب) ص ١٢٧ الطبعة الثانية: (جاء فى خلاصة الكلام ص ٢٣٠: كان محمد عبد الوهاب يقول عن النبى ﷺ : إنه طارش، أى: ساعى بريد، وأن بعض أتباع هذا الشيخ كان يقول: عصاى هى خير من محمد، لأنه ينتفع بها فى قتل الحية، ومحمد قد مات، ولم يبق فيه نفع، وإنما هو طارش ومضى).

هذا هو الكلام الذى يهتز منه العرش وتتفطر السماوات، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدًّا.. وإذا كانت العصا خيراً من سيدنا محمد ﷺ فلماذا يجب حبه وطاعته، والإيمان به؟.

ولماذا يكرر المسلم الصلوات والتحيات عليه فى الصلوات الخمس، ويقرن اسمه باسم الله على المآذن والمنابر، ويحتج بقوله فى كل علم وفن؟. وبالتالى فأى معنى لقوله جل وعز: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾؟ (الفتح: ١٠)[١].

---

١) تعزروا النبى، أى: تنصرونه، وتوقرونه، أى: تعظمونه، وتسبحوه بكرة

وأيضاً أى معنى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾؟ (الأحزاب:٥٦).

(ومنها): أن لا يتطير ولا يتشاءم. (فتح المجيد ص ٣٠٥ وما بعدها).

(ومنها): أن لا يعمل عملاً للدنيا كالمدح والثناء (فتح المجيد ص ٣٧٢ وما بعدها).

إن ترك هذه الأمور، وما إليها يتصل اتصالاً وثيقاً ب مفهوم التوحيد، ومن فعلها فهو مشرك يحل دمه وماله وذراريه، سواء فعلها يفضى إلى تكذيب الرسول، وإن لم يتعمد الفاعل، منكراً[1]. وليس من شك أنك قد لاحظت أيها القارىء أنهم عدوا عدم زيارة النبى وطلب الشفاعة منه شرطا فى التوحيد، ولم يعدوا قتل النفس المحترمة ولا الزنا ولا اكتناز الذهب من منافيات التوحيد والإيمان.

وبعد، فإن ما ذكرناه من الشواهد والأرقام يعطى الصورة الوافية للفهم الوهابى للتوحيد والإسلام، والنزعة المتعصبة ضد الإنسانية، وضد رسالة سيدنا محمد ﷺ التى تنظر إلى البشرية

- وأصيلاً، أى: تذكرونه فى تسبيحكم وصلواتكم بالتحيات، وتبعدونه عن كل نقص وتقدسونه.

١) الرسائل التسع ص ٧٩.

نظرة حب ورحمة، وتتسع للقريب والبعيد فى كل عصر وجيل.

الوهابية أو السيف:

إن المبدأ الأول للوهابية وشعارهم الوحيد: (إما الوهابية، وإما السيف) فمن اعتنقها سلم، ومن أبى أبيح دمه، وذبحت أطفاله، ونهبت أمواله، ومحال أن ينظر الوهابى إلى غيره إلا بهذه العين المكفرة المستحلة للأرواح والأموال. قال سليمان بن عبد الوهاب أخو محمد عبد الوهاب فى كتاب (الصواعق الإلهية) ص ٢٧ و ٢٩ طبعة ١٣٠٦هـ مخاطباً الوهابية: (فأنتم تكفرون بأقل القليل من الكفر، بل تكفرون بما تظنون أنتم أنه كفر، بل تكفرون بصريح الإسلام، بل تكفرون من توقف عن تكفير من كفرتموه).

ولندع جميع ما قيل عن الوهابية، وننظر إلى كتبهم، وما خطوه بأيديهم، كما فعلنا فيما تقدم، قال محمد عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابية فى رسالة (كشف الشبهات) المطبوعة مع غيرها فى كتاب الرسائل العملية التسع ص ١٢٣ طبعة ١٩٥٧: (ولا تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادات، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم من مخالفة الشرع).

هكذا ينبغى أن تكون الأخوة والمحبة والرحمة.. لله دُرُّكَ أيها الشيخ لقد مثلت التسامح الإسلامى، حتى كدنا نتوهم أن هذه

الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـالَمِينَ﴾ (الأنبيـاء: ١٠٧). نزلت فيك.. أستغفر الله.

وقال فى صفحة ١١٠: (وإن قالوا: نحن لا نشرك بالله، بـل نشهد أنه لا يخلق، ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولكن الصالحين لهم جاه عند الله، وأنا أطلـب مـن الله بهـم، فجاوبه إن الذين قاتلهم رسول الله مقرون بما ذكرت، ومقـرون بأن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والـشفاعة). أى أن من طلب الشفاعة من سيدنا محمد تماماً كمن يطلبها من الأوثان سواء بسواء.. هذا التحقيق الدقيق، والإيمان العميـق.. وأيـضاً قال محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب فـى ص ١٧ و ١٨: (وإذا قالوا: نحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونصدق بالقرآن، ونؤمن بالبعث، ونـصلى ونـصوم، فكيـف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أن الرجل إذا كان صدق رسول الله فى شىء، وكذبه فى شىء فهو كافر لم يدخل فى الإسـلام) وهكذا يدخل هذا الشيخ فى كفره من يشاء، ويخرج من الإسلام من يشاء، حتى كأن الله سبحانه قد جعل فى يده إيمـان العبـاد وعقيدتهم، لا فى قلوبهم وعقولهم.. ولا أدرى ماذا أراد بقولـه: إذا صدق الرجل رسول الله فى شىء وكذبه فـى شـىء فهـو كافر.. لأن من صدق رسالة سيدنا محمد يصدقه فى كل شىء،

لا فى شىء دون شىء.. وقد أدرك هذه الحقيقة مشركو قريش حين كتب النبى فى صلح الحديبية: (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله) فقال له المشركون: لئن كنت رسول الله، ثم قاتلناك، فقد ظلمناك، أدرك هذه الحقيقة المشركون، ولم يدركها محمد عبد الوهاب.. لماذا؟ لأنه هو قد آمن ببعض ما جاء به سيدنا محمد، وكفر ببعض، على ما جاء فى كتاب تطهير الاعتقاد ص ٣٥، ٣٦: (يجب أن يعى هؤلاء إلى التوبة، والرجوع إلى التوحيد – أى إلى الوهابية – فمن رجع منهم حقن دمه وماله وذراريه، ومن أصر أباح الله منه ما أباح لرسول الله من المشركين).

وفى كتاب فتح المجيد ص ٤٩١: القتل لمن عاند ولم يتب من الخوارج والقدرية.. عجيب أمر هؤلاء الوهابية.. يبيحون الدماء، حتى كأنها شربة ماء.. (ومن أصر أباح دمه وماله وذراريه) ولا ندرى: هل هذا تقى وزهد، أو فهم ووعى، أو حب وتسامح، أو نتيجة طبيعية لحقدهم على البشرية بعامة، والمسلمين بخاصة، أو أنهم طبيعة أخرى منفصلة عن الإنسان وحقيقته؟..

وفى ص ٤٠، ٤١ من هذا الكتاب: (إذا قال الكافر: لا إله إلا الله حقن دمه وماله، حتى يثبت العكس، أما غيرهم – أى

المسلمون – فلا تنفعهم كلمة لا إله إلا الله كما أنهـا لـم تنفـع الخوارج على عبادتهم.. فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها، لارتكابه ما يخالفها) أرأيت إلى هـذا المنطق. كلمة التوحيد تنفع الكافر، حتى يثبت العكس. ولا تنفـع المسلم بحال؟، وإنما الذى ينفع الإساءة إلى الله تعالى فى عرشه، وإلى سيدنا محمد فى روضته، الذى ينفـع هـدم روضـات آل الرسول، وتشبيهه بالعصا والأوثان. والذى يجدى هـو إباحـة الدماء، وسبى النـساء، ونهـب الأمـوال، وإشـاعة الخـوف والفوضى، والفساد فى الأرض باسم الدين والسماء، قال الله جل وعز: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَـا مِن دَابَّةٍ﴾ (فاطر:٤٥).

وقال الوهابية: بل تباح دماؤهم وتـسبى ذراريهـم وتنهـب أموالهم.. وبعد، فهل من شاهد أصدق من هذا على أن مبـدأهم وشعارهم.. (الوهابية، أو السيف للرجال والنـساء والأطفـال، والنهب للأموال)؟.

يقول الشيوعيون: (إن الدين هو التميمة الـسماوية لمجتمـع جاهل مضطهد، يحتفظ مع ذلك بشىء من سوء النية، ثم يبـرر الشر والفساد بالوحى من السماء). وهذا القول لا ينطبق علـى أية عقيدة دينية إلا عقيدة الوهابية.

حرية العقيدة:

إن عقيدة الوهابية تحتم الضغط على كل إنسان، بخاصة المسلم الذى يجب أن يترك رأيه إلى رأيهم، واجتهاده إلى فهمهم، وإلا حل ماله، واستبيح دمه، ودم أهله وعياله – الوهابية أو السيف – وقد نصت المادة الثامنة عشر من قانون حقوق الإنسان الذى أقرته الجمعية العامة فى الأمم المتحدة، نصت هذه المادة على أن (لكل إنسان الحق فى حرية الدين والعقيدة، والتعبير عنها بالقول والفعل).

وسواء أقرت الأمم المتحدة هذا الحق، أم أنكرته، فإن الحرية تتصل بإنسانية الإنسان، وبطبيعته مباشرة، فحرمانه منها معناه حرمانه من حياته وأصل وجوده.. ولذا حرص الإسلام عليها، ولم يدع وسيلة لإحدى وسائل الضغط والإجبار على الإيمان بشىء لم يصل إليه بقلبه، ولا بعقله، لذا دعا إلى النظر المستقل، والتفكير الحر، قال عز من قائل: (انظروا ماذا فى السماوات والأرض.. وفى أنفسكم أفلا تبصرون.. قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين.. لا إكراه فى الدين.. لست عليهم بمسيطر..) إلى غير ذلك من عشرات الآيات، ولا شىء أصرح وأوضح فى الدلالة على أن أساس الإسلام هو النظر لا التقليد، وأن دعوته تقوم على العقل والفطرة لا السيف والرمح من قوله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦). هذا هو الحق

والعدل، وهذا هو الوجدان والعقل، فما دمت لا ترضى بأن يكرهك أحد على دينه، فكيف تكرهه أنت على دينك؟.. حتى الله تبارك وتعالى لم يحمل الناس قسراً على طاعته وعبادته، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٢). وإذا عطفنا هذه الآية على آية لا إكراه فى الدين، وآية لست عليهم بمسيطر، وآية وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم، إذا عطفنا هذه الآيات وما إليها بعضها على بعض علمنا أن قول الرسول: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله) المراد منه الذين يقاتلونه، ويسعون فى الأرض فساداً، ويؤكد هذا المعنى الآية ١٩٣ من سورة البقرة: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ بل إن القرآن رخص للمسلمين أن يحسنوا ويكرموا من لم يقاتلهم فى الدين، ولم يعتد على الأرواح والأموال: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).

الشرك:

من تحصيل الحاصل، وتوضيح الواضح القول: إن الشرك هو أن يدعو الإنسان مع الله إلهاً آخر، بحيث إذا قيل له: لا إله إلا الله ففر واستكبر، كما فى الآية ٣٥ من الصافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ والآية ٥ من سورة ص: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾. وذكرنا

فى فصل المسلم والكافر طرفاً من الأحاديث فلا نعيد.

فأين الأحراز والتمائم واستعمال الرقى والتعاويذ والتطير والتشاؤم، وزيارة القبور والصلاة عندها والتمسح بها، والتعمير عليها والحلف بغير الله، ولا إلى ذاك مما كفر الوهابيون به جميع المسلمين؟.

وعلى افتراض أن هذه الأمور من المحرمات فإنها من الفروع التى لا تمت إلى التوحيد والأصول بسبب قريب ولا بعيد، وفعلها لا يوجب الكفر ولا الارتداد، بل ولا الحد، ولو أوجب الكفر لما وجد على وجه الأرض مسلم.

والآن نوجه هذه الأسئلة إلى الوهابيين:

قلتم: إن تعمير القبور والتمسح بها، والطواف حولها والصلاة لله عندها شرك، بل قلتم: إن من شك وتوقف عن تكفير من كفرتم فهو كافر، وإن لم يتعمد المنكر، بل توقف تورعاً واحتياطاً.. ولم تستثنوا قبراً واحداً من وجوب الهدم، حتى روضة الرسول الأعظم ﷺ.. إذن، لماذا هدمتم روضات الأئمة الأطهار فى البقيع، وتركتم روضته الشريفة؟ لماذا وقفتم (بالإصلاح) فى منتصف الطريق؟.. يقول حفيد محمد عبد الوهاب فى فتح المجيد ٢٤٢: (إن عكوف الناس على قبور الأنبياء أعظم، واتخاذها مساجد أشد) وعليه فروضة الرسول

أولى بالهدم، لأنه الأصل، وروضات الآل فرع. ثم لماذا تمنعون الناس من التمسح بروضته، وتحيطونه بسياج من الشرطة يمنعونهم من الدنو منه، وكنتم تدعونهم يطوفون حوله إلى وقت قريب، ما دام كل من التمسح والطواف محرماً، وربما كان الطواف أشد؟.

ثم إن مسجد الرسول الحالى قائم على روضته وروضة أبى بكر وعمر، فإن الوليد بن عبد الملك هدم المسجد الذى كان على عهد الرسول، وأدخل فيه بيوت أزواجه، وفيها بيت السيدة عائشة رضى الله عنها الذى فيه الروضات الثلاث، فصارت هذه الروضات ضمن المسجد الموجود الآن، إذن، القسم الذى ضم هذه الروضات ليس جزء من مسجد الرسول، لأنه قد حدث بعده، وعلى مذهبكم يجب هدم هذا الجزء الحادث، مع أنكم تقيمون الصلاة جماعة فى تمام المسجد الحالى، أى أن كثيراً من المؤتمين بكم يصلون فى الجزء الحادث الذى فيه الروضات، وقد صرح أئمتكم بأنه لا تجوز الصلاة فى مسجد بنى على قبر، لأن ذلك يفضى إلى الشرك على حد تعبير ابن تيمية فى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٤٠٤، بل لا تجوز الصلاة فريضة فى مسجد بنى بين القبور، ولا عليها لما قال حفيد محمد عبد الوهاب فى فتح المجيد ص ٢٤٣. وإذا لم تجز الصلاة فى مسجد بين القبور، فكيف سمحتم المجال لمن يأْتَمَّ بكم فى

مسجد، أو فى جزء من مسجد توجد القبور فى قلبه ووسطه، مع أن ذلك يقضى إلى الشرك بزعمكم؟.

وأى فرق بين أن تصلوا أنتم فى هذا الجزء، لو ترضون بالصلاة فيه، بل تكونوا أئمة لمن يصلى فيه؟.. أليس معنى هذا أنكم من الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما ينكرون، ويكفرون الناس، بما يرتكبون؟.

وكل شىء جائز على منطق الوهابيين.. عباقرة تكفير الأمة.. وزلازل تشتيت شملها، وتوابع تفتيت وحدتها.

وسؤال آخر لا أخير نوجهه إليكم أيها الوهابيون، نوجهه للاستفهام لا للتعجيز، ولتقارنوا وتوازنوا بين أرائكم بعضها مع بعض، وهذا هو السؤال: هل عمارة القبور وإقامة المساجد عليها أعظم إثماً عند الله، أو تكفير من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وإباحة دمه وماله وذراريه؟.

وبالتالى، فإن المسلمين إذ يعظمون النبى ﷺ وآله، ويتوسلون به إلى الله، ويطلبون منه الشفاعة فإنما يفعلون ذلك من باب أنه وسيلة لا غاية، وطريق لا هدف، وبهذا يحصل التوازن والتعادل بين الإيمان بالله كمبدىء الخلق ومعيده، وبين الإيمان بسيدنا محمد كنبى مقرب، وشفيع مشفع.

الصوفية والشيعة والمناجاة عند روضات الأئمة:

لو اطلع الوهابيون على ما يدعو به الصوفية والشيعة عند روضات أئمتهم لأدركوا أن زيارتهم لها هى التوحيد فى واقعه، والإخلاص فى حقيقته، لو سمع الوهابيون تلك الأصوات، ووعوا تلك الكلمات التى تردد حول روضة أمير المؤمنين على عليه السلام، وولده الإمام الحسين عليه السلام لتأكدوا أنها عين التنزيه عن الشرك، ونفس الإيمان بالله وحده.. وإليك أمثلة من ذلك الكلم الطيب:

فمن أدعية الصحيفة السجادية التى يرددها المسلمون صباح مساء عند روضات الأئمة الأطهار وفى كل مكان: (إلهى من حاول سد حاجته من عندك فقد طلب حاجته فى مظانها، وإنى طلبته من جهتها، ومن توجه بحاجته إلى أحد من خلقك، أو جعل سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان، واستحق من عندك فوات الإحسان). ومن دعاء آخر: (إلهى لا تخيب من لا يجد مطمعاً غيرك، ولا تخذل من لا يستغنى عنك بأحد دونك).

ومن دعاء ثالث: (اللهم إن صرفت عنى وجهك الكريم، ومنعتنى فضلك الجسيم، أو حظرت على رزقك، أو قطعت عنى سبيلك لم أجد السبيل إلى الشىء من أملى غيرك، ولم أقدر على ما عندك بمعونة سواك).

ومن رابع: (إلهى خاب الوافــدون علــى غيــرك، وخــسر المتعرضون إلا لك، وضاع الملمون إلا بك، وأجدب المنتجعون إلا من انتجع فضلك).

وخامس: (تباركت وتعاليت لا إله إلا أنت، صدقت رســلك، وآمنت بكتابك، وكفرت بكل معبود سواك، وبرئت ممــن عبــد غيرك) إلى ما لا يحصى من هذا التنزيه عن كل شبيه.

فأين عبادة الوهابيين، وتوحيد الملحدين من هذا الاعتــصام والانقطاع والزهد، والتنزيه النزيه، والعبادة التقية النقية؟ وهــل ينطق بهذا إلا من سمى عقله، وصفا قلبــه، واخــتلط التوحيــد بلحمه ودمه؟ هل يصدر هذا الكلم الطيب عن نفس فيها شــائبة لغير الواحد الأحد؟ وهل من عبادة تستهدف العلى الأعلى كمــا تستهدفه هذه المناجاة: (خاب الوافدون على غيــرك، وأجــدب المنتجعون إلا من انتجع فضلك)؟.

وهل يصدق وينطبق على من اعتصم بــالله بهــذه العبــارة والمناجاة، هل ينطبق عليه قول ابن تيمية فى (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٣٩١: (إن الرافضة أبعد الناس عــن التوحيــد) وقول محمد عبد الوهاب فى كتاب التوحيد وشرحه فتح المجيــد ص ٢٤٣: (وبسبب الرافضة حدث الشرك)، وقول الــصنعانى فى (تطهير الإعتقاد) ٣١: (يطلبون من الميت ما لا يطلــب إلا

من الله)؟ إن الشيعة والصوفية لا يزورون الأئمة فى البقيـــع أو غير البقيع إلا ليرددوا هذه المناجاة التى ناجى بها الإمام زيـــن العابدين – أو غيره من الأئمة – العليم القـــدير، ولا يـــزورون مقام على أمير المؤمنين إلا لتمتلىء نفوســـهم بقولـــه: (عظـــم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم) ولا يزورون ولده سيد الشهداء فى كـــربلاء أو القـــاهرة إلا لينقطعـــوا إلـــى الله، ويعرضوا عن كل ما سواه من مال وجاه وحطام، مخاطبين الله بقولة أبى عبد الله الحسين: (ماذا وجد من فقدك؟ وما الذى فقـــد من وجدك؟).

فأين الشرك والإلحاد الذى زعم الوهابيون أن زيارة القبـــور تفضى إليه؟

كلا، لا شرك فى زيارة الرسول وآله، وإنما العجب فى سوء الاعتقاد فيما قاله الصنعانى فى آخر كتاب تطهير الإعتقاد مـــن أدران الإلحاد: (وهذا عظيم فى الأفعال كان فى الهنـــد رجـــل يقطع الولد عضواً عضواً، ويرمى بكل عضو إلى جهة، ثم يرد الأعضاء، ويعود الولد حياً، وكان فى العراق رجل يفصل رأس الإنسان عن جسده، ثم يرده كما كان، وكانت فى القـــديم امـــرأة تلقى القمح فى الأرض، وتقول له: إطلع فيطلع، ثم تقـــول لـــه: إيبس فييبس ثم تقول له: إطحن، فيصير طحيناً، ثم تقـــول لـــه:

اخبز، فيصير خبزاً، وكانت لا تريد شيئاً إلا كان).

يعتقد الوهابية أن الساحر المنافق المشعوذ يقول للشيء كن فيكون تماماً كرب العزة، ومع ذلك هم وحدهم المؤمنون الموحدون، أما من يتقرب إلى الله بزيارة روضة الرسول، وآله الكرام فمشرك.

خمس ملحوظات هامة:

بقيت **ملحوظة أولى:** وهى أن التوحيد الحق والإخلاص لله فى العبادة إنما يتحققان، ويوجدان حيث توجد العدالة الاجتماعية، وحيث يعمل الإنسان لعون أخيه الإنسان، ويحب له ما يحبه لنفسه، أما حيث يعيش هو فى الترف والبذخ، ويغرق إخوته بالشقاء والمحن، فلا توحيد، ولا إيمان، ولا إسلام، بل رياء ونفاق، وفساد وضلال.

– **ملحوظة ثانية:** لقد هدم السعوديون روضات آل الرسول، ومع ذلك بقيت السعودية تسير فى مؤخرة الركب فى شتى الميادين، ولم تتقدم خطوة إلى الأمام.. إذن، سر التأخير والتقهقر لا يكمن فى تعمير القبور، ولا فى إقامة المساجد عليها، بل السر كل السر يكمن فى الجهل وفساد الأوضاع، وفى الدكتاتورية والإسراف، وفى الأفكار الضيقة المغلقة التى لا تتفتح لثمرات العقول.

- **ملحوظة ثالثة:** لقد غالى الخوارج بتكفير من كفروا، وغالى من أحرقهم الإمام على فى تأليهه، وغالى الوهابيون فى تكفير الأمة.. وبديهة أن الغلو لعنة وطغيان يفسد العقيدة ويضلل العقل، بل ويفسد الحياة لأنها لا تقوم على الجذب وحده، ولا على الدفع وحده، بل على التعاون بينهما والتوازن، وكذلك تكفير المسلم فساد، وتأليهه أفسد، والعدل هو الوسط.

- **ملحوظة رابعة:** أوجبوا هدم القبور، وحرموا الخروج على الحاكم الجائر، والمستبد الفاسد، وأوجبوا طاعته والاستماع له.

- **ملحوظة خامسة:** أى فرق بين من يكتب وثيقة بحرمان الإنسان من الدين ورحمة الله، كما تفعل الكنيسة، وبين من يصدر حكمه عليه بالتكفير؟ وأيهما أسوء وأفظع؟!!.

تدرأ الحدود بالشبهات:

من المعلوم بنص الكتاب والسنة، وبالإجماع، وضرورة العقل، وباتفاق الشرائع قديمها وحديثها أن كلاً من الجهل والخطأ والنسيان والإكراه عذر تحقن معه الدماء، وتحفظ الأرواح، وأن من خالف بسبب من هذه الأسباب لا يكون كافراً ولا مرتداً، حتى لو حصل منه ذلك عن تفريط وتقصير فيما يعود إلى الفروع وإن كان آثماً، لترك التحفظ، وما وجب عليه

من البحث والإحتراز، بل حتى لو ثبت الحكم الفرعـــى بـــدليل قاطع وإجماع جامع، وعلم بضرورة الدين والمذهب، إذا كـــان الجهل والالتباس ممكناً فى حقه، وجائزاً على مثله، ومـــن هنـــا كان علماء المسلمين، وما زالوا يختلفون، ويخطـــىء بعـــضهم بعضاً بدون تكفير، وإن منهم من خـــالف المـــذاهب الأربعـــة مجتمعة، ومع ذلك لم يكفره أحد.

بل إن كل فرقة من فرق المسلمين التى بلغت ثلاثاً وسبعين، كما جاء فى الحديث أن كل واحدة من هذه الفرق تدعى أنها هى الناجية دون غيرها وأن الاثنتين والسبعين هالكة غـــداً قـــضها وقضيضها إلا هى، ومع ذلك لم تحكم عليها بالكفر، ولـــم تـــبح قطرة واحدة من دمائها، أو تستحل عقاراً من مالها، ما دامـــت تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله غير معاندة، ولا جاحدة لما ثبت عندها، ولم تقدم لديها الحجـــة بـــصدودها عـــن الرســـول الأعظم، وبهذا تبين أن أمة سيدنا محمد مجمعة على أن الارتداد لا يتحقق، ولن يتحقق إلا ممن أيقن وتيقن بصدور الحكم عـــن صاحب الشرع، ثم جحده عناداً أو تعصباً. أما من رأى المحرم مباحاً لشبهة، ولو ضعيفة، دخلت عليه، لعدم وصول النص إليه، أو لإجماله، أو معارضته بغيره، أو الاشـــتباه الموضـــوع فـــى الخارج، أو لمرض فى فهمه، أما هذا فمعذور بالجهل، كمـــا أن المخطىء معذور بالخطأ، والمكره بالإكراه، بل ومأجور أيـــضاً

إذا بحث واجتهد. ومعلوم أن الذين أباحوا البناء على القبور وزيارتها، والصلاة لله عندها لم يثبت التحريم عندهم، بل ثبت الجواز بل الرجحان، وعليه يكون الحكم عليهم بالكفر هو الكفر بعينه، فلقد جاء فى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: (لا يرمى رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبها، وأن من قذف مؤمناً بالكفر فهم كمن قتله).

صفات الله:

يجمد الوهابيون على ظاهر نصوص الكتاب والسنة فى صفات الله سبحانه وتعالى، ولم يجيزوا تفسير الظواهر وتأويلها بغير ما دلت عليه الصورة الحرفية، بل يعتبرون التأويل كفر، لأنه كذب على الله والرسول، ويرون تنزيه الله بإثبات اليد له والرجل، والكف والأصابع، والنفس والوجه، والعين والسمع، والجلوس والوقوف، والضحك والتكلم، والوجود فى السماء، وما إلى هذه من الصفات التى وصف الله بها نفسه، أو جاءت على لسان نبيه من غير زيادة ولا نقصان، ولا تأويل بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين.

استدلوا على اليدين بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤). وعلى العينين أو العيون: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود: ٣٧). وعلى الجلوس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

العَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤). وعلى الوجود فى السماء: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ (الملك: ١٦). وعلى الوجه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). وعلى السمع والعين: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). وعلى النظر إليه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣). وعلى السير والمجىء: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً﴾ (الفجر: ٢٢). وعلى النفس: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١٦). وعلى الضحك بما رواه ابن تيمية فى كتاب الإيمان ص ٢٣٠: (إن الله ضحك إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة.. وأيضاً قد ضحك حين دخل آخر رجل إلى الجنة.. فقال له الرجل: أتسخر بى، وأنت رب العالمين؟.) واستدلوا على الرجل بما رواه ابن تيمية أيضاً فى رسالة العقيدة الواسطية الموجود فى كتاب الرسائل التسع ص ١٣٦: (لا تزال جهنم فيها، وهى تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله، فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط).

واستدلوا على وجود الأصابع بما رواه محمد عبد الوهاب فى آخر كتاب التوحيد: (إن الله جعل السموات على أصبع من أصابعه، والأرض على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع.. ثم اعتز الله وافتخر، وقال: أنا الملك، أنا الله. أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ فالله

يحمل السموات السبع والأراضين السبع فى يده، وهى فيها كحبة خردل فى يد أحدنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ (الزمر: ٦٧).

ملاحظتان هامتان:

ويلاحظ أولاً: أن المعروف من طريقة العرب أنهم يستعملون الألفاظ فى معانيها المجازية أكثر مما يستعملونها فى المعانى الحقيقية، ومن العلوم بالبديهة أن الكتاب والسنة منعزلان على كلام العرب وطريقتهم فى الخطابات والمحادثات: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢).. وإذا أبقينا جميع ألفاظ الكتاب على ظاهرها فبماذا نفسر قوله تعالى:﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ﴾ (يوسف: ٨٢)، وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ (الزخرف: ٤٥)؟ هل نفسره؟ وإذا ساغ لنا تفسير هذه الآية تبعاً للواقع بالمعانى المجازية التى لم تدل عليها الصورة اللفظية والدلالة المطابقية.. جاز ذلك فى غيرها تبعاً للواقع، والفرق تحكم، وما أوسع هذا الباب وأكثر هذا النوع فى كلام الله ورسوله.

ثانياً: أن الوهابية ومن والاهم وقعوا فى أشد مما فروا منه، لقد فروا من التأويل، فوقعوا فى الإسراف والتعسف، وهربوا

من القول بالرأى إلى القول بالجهل، والرجم بالغيب، ذلك أنهم زعموا أن يد الله وكفه، وعينه وأذنه.. إلخ، لا تشبه أعضاءنا هذه فى شىء، فراراً من مشكلة التشبيه، وبديهة أن اليد الظاهرة فى هذا العضو المعروف، وهو لا ينفك عن المادة بحال، وكذا العين والسمع، وما إليهما، فإن أبقينا اللفظ على ظاهره يلزم أن يكون الله جسماً، كسائر الأجسام، وهم لا يلتزمون به، وإن صرفناه إلى غير هذه اليد والعين والسمع يلزم التأويل وقد فروا منه، وإن حملناه على معنى مجهول عند السامع والمخاطب، وذلك بأن تكون له يد لا كالأيدى، ولا عين كالأعين على حد تعبيرهم وقعوا فى التعسف، وهو أشد سوءاً من التأويل، وإن أبقوا اللفظ على ظاهره جاءت مشكلة التجسيم، وإن حملوه على معنى مجهول جاء التعسف.. فتعين تأويل اللفظ تأويلاً معقولاً يحمله على معنى يتلاءم مع جلال الله وعظمته، على أن تتحمله الصورة اللفظية، ولا يأباه الذوق السليم، كحمل اليد على القدرة، لأنها مظهر لها، والسمع والبصر على العلم، لأنهما سبيل إليه، وحمل الوجه على الظهور، لأنه المعنى البارز، والإستواء على الاستيلاء، ورؤية الله على رؤيته بالبصيرة لا بالبصر، لأن كلاّ منهما طريق إلى المعرفة، إلى آخر ما ذكره المفسرون، وعلماء المعانى والبيان، ومهما يكن، فإذا خالفنا الوهابية فى عدم جواز التأويل من حيث هو، وقلنا به حيث تدعوا الحاجة إليه، فإنا نتفق

معهم كل الإتفاق فى السكوت والإعراض عن النزاع القائم بين الأشاعرة والمعتزلة من أن صفات البارىء: هل هى عين ذاته أو غيرها، لأن هذا النزاع يرجع فى حقيقته إلى النزاع فى ذات البارىء جلا وعلا، وهذا موضوع شائك جداً أحجم عنه الأنبياء والمرسلون، قال الإمام على أمير المؤمنين: (تفكروا فى خلق الله، ولا تفكروا فى ذات الله) مع العلم بأن قول الوهابية ومن إليهم يلتقى مع قول الأشاعرة بأن الصفات غير الذات، إلا أنهم قد أحسنوا بالسكوت عن ذلك.

الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر هو الاعتقاد بأن الخير والشر من الله، ويعد الوهابية هذا الأصل من أصول الإسلام، وهى عندهم ستة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت على المستطيع، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وعليه يكون الإنسان مسيراً غير مخير، وقال ابن تيمية فى رسالة العقيدة الواسطية ص ١٤٤ من الرسائل التسع:

(العباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم.. وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم، ومع ذلك فقد أمرم بالطاعة ونهاهم عن المعصية).

وقد حاولنا كثيراً، وفكرنا أكثر لفهم وهضم هذا الكـــلام فلـــم نستطع له فهماً ولا هضماً لمكان التناقص والتضارب، فإن كلام ابن تيمية ظاهر فى أن الله خالق أفعال الإنسان، وغير خالقهـــا، والإنسان موجد لأفعاله، وغير موجدها.

اللهم إلا أن يقال: إنهما اشتركا فى الخلق والإيجاد، وحينئـــذٍ يأتى إشكال أن أحد الشريكين إذا كان أقوى من الآخرين قبح أن يعاقب الضعيف فيما اشتركا فيه.

والحق فى هذه المسألة التى شغلت الأولين والآخرين ما قاله الإمام جعفر الصادق، وعبر عنه بقوله: (لا جبر ولا تفـــويض، وإنما أمر بين الأمرين) ويتلخص معنى هذه الجملة الكبيرة فـــى معناها، الصغيرة فى مبناها أن الله سبحانه أقدر العبد على فعل الخير والشر، ثم أمره بالأول، ونهاه عن الثـــانى، وإن اختـــار العبد فعل الخير، وآثره على الشر ينسب فعله هذا إلى الله، لأنه رضى به، وأيضاً ينسب إلى العبد لأنه آثره على الشر، وتـــرك المعصية مع القدرة عليها، أما إن اختار العبد فعل الشر، وفضله على الخير فلينسب إليه وحده، لأنه ترك الخير مع قدرته علـــى فعله، وفعل الشر مع قدرته على تركه، ولا ينسب إلى الله، لأنه نهى عنه، ولم يرض به بحال، وعليه يكـــون الخيـــر مـــن الله والعبد، أما الشر فمن العبد وحده.

وإن قال قائل: لماذا أقدر الله عبده على الشر ما دام لا يريده منه؟

قلنا فى جوابه: لو أن الله سبحانه أقدر عبده على الخير فقط لكان مجبراً عليه، وكان الفعل بالنسبة إليه كالثمر على الشجر، والله سبحانه يريد الطاعة من عباده اختياراً لا قهراً عنهم.

ولتتضح الفكرة أكثر نذكر هذا المثال: والد أعطى ولده ديناراً، فأمره أن يشترى به كتاباً، ولا يشرب به خمراً، فامتثل الولد، واشترى الكتاب، فشراء الكتاب ينسب إلى الوالد، لأنه أقدر الولد عليه، ورضى به وأيضاً ينسب إلى الولد، لأنه ترك شرب الخمر مع قدرته على فعله واشترى الكتاب مع قدرته على تركه، أما شرب الخمر فينسب إلى الولد فقط، لأنه ترك ما أمر به مع قدرته على فعله، وفعل ما نهى عنه مع قدرته على تركه، ولا ينسب إلى الوالد، لأنه لم يرض به بحال.

وجميل قول الإمام أبى العزائم ﷺ: (الإنسان مسير فيما لا يعلم، ومخير فيما يعلم).

الأسباب والمسببات:

قال الأشاعرة: ليس فى الكون أسباب طبيعية، وجميع المسببات تستند لله مباشرة، فهو الذى يخلق الشبع عند الأكل، والشفاء عند شرب الدواء، ويزيل العطش عند شرب الماء،

وقال المعتزلة والإمامية: بل إن فى الكون أسباباً طبيعية تستند إليها مسبباتها مباشرة، والأسباب الطبيعية تنتهى بالواسطة إلى الله سبحانه، لأنه مسبب الأسباب.

ويظهر من كلام ابن تيمية، أنه يوافق الأشاعرة، حيث قال فى كتاب نقض المنطق ص ٣٦: (إن لله ملائكة موكلة بالسحاب والمطر، وملائكة موكلة بالهدى والعلم، هذا رزق القلوب وقوتها، وذاك الأجساد وقوتها).

أما تلميذه ابن القيم فيتفق مع المعتزلة والإمامية فى هذا الباب، حيث نقل عنه صاحب فتح المجيد فى ص٦٩ قوله: (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضية لمسبباتها قدراً و شرعاً). ويشعر هذا النقل بأن الوهابية فى ذلك على رأى ابن القيم.

مرتكب الكبيرة:

ويعتقد الوهابية أن مرتكب الكبيرة من الموحدين لا يخلد فى النار. (فتح المجيد ص ٤٧٩).

أصحاب الرسول:

ويعتقد الوهابية أن جماعة من أصحاب الرسول ﷺ كانوا يوحدون الله، ويجاهدون مع رسول الله، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون ومع ذلك كانوا كفرة بعيدين عن الإسلام كل

البعد (محمد عبد الوهاب فى رسالة كشف الشبهات ص ١٢٠ ، الرسائل العملية التسع طبعة ١٩٥٧).

الجاهل غير معذور:

إذا نطق المسلم بكلمة التوحيد مؤمناً، ثم زار القبور جاهلاً بالتحريم يكون مشركاً، وجهله ليس بعذر عندهم. (كتاب تطهير الاعتقاد ص ٣٥ ، والرسائل العملية التسع ص ٧٩). وقال صاحب فتح المجيد ص ٤٠٦: (وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم فى الفهم) أى أن من خالف عن جهل يكون مبتدعاً، حتى لو كان جهله عن قصور، لا عن تقصير.

الاجتهاد والتقليد:

قال الوهابية: لا يجوز لأحد أن يقلد واحداً من أئمة المذاهب الأربعة، ولا غيرهم مع وجود النص، ولا يجوز تقليدهم إذا فقد، واستدلوا على ذلك بأن الأئمة الأربعة أنفسهم لا يجيزون التقليد، وبأن أبا حنيفة ومالكاً والشافعى وابن حنبل قد جهلوا الكثير من أحكام الشريعة، قال صاحب فتح المجيد ص ٣٨٨: (والأئمة نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة، لعلمهم أن من العلم شيئاً لم يعلموه، وقد بلغه غيرهم، وذلك كثير).

ولهذا لا يقلد الوهابية ابن حنبل ولا غيره مع وجود النص، ويقلدونه فيما لا نص فيه، أى أن أقوال ابن حنبل عندهم أصل

قائم بنفسه يرجعون إليه إذا أعوزهم الدليل من الكتاب والسنة، تماماً كالقياس عند السنة، والعقل عند الشيعة.. إذن، هم مجتهدون ومقلدون فى آن واحد، يجتهدون فى استخراج الحكم من النص، وفى تقوية الحديث وتضعيفه، ويلجأون إلى ابن حنبل مع عدم النص، قال الملك عبد العزيز فى خطاب ألقاه بمكة المكرمة سنة ١٣٥٥هـ: (ومذهبنا هو اتباع الدليل، حيث يكون، فإن فقد الدليل، ولم يكن هناك إلا الاجتهاد اتبعنا اجتهاد أحمد ابن حنبل).

ويلاحظ بأن أى إنسان لا يستطيع استخراج الحكم من النص إلا إذا انتهى بعلمه إلى رتبة الاجتهاد، ولا يبلغ هذه الرتبة إلا من توافرت فيه المؤهلات لتمييز المعانى الحقيقية من المجازية، والمنطوق من المفهوم، والمجمل من المبين، والناسخ من المنسوخ، والعام من الخاص، والمطلق من المقيد، والخبر الصحيح من الضعيف، والمعارض من السالم، وعرف عملية العلاج بين المتعارضين، وموارد إجماع العلماء، واختلافاتهم، فإذا تهيأ كل ذلك استطاع أن يجتهد ويخرج الحكم من النص، ووجب عليه أن يعمل بفهمه واجتهاده، مصيباً كان فى الواقع أو مخطئاً ما دام جاهلاً بمكان الخطأ، وهو فى الوقت نفسه يستطيع أن يستخرج الحكم من الأصل العام الذى دل على اعتباره النص القطعى، أو العقل الفطرى، مع عدم النص، ومن عجز عن

الاجتهاد، واستخراج الحكم من الأصل العام مع عدم النص، فهو عن فهم النص، واستخراج الحكم منه مع وجوده أعجز، أو مثله فى الضعف والعجز.

فهو إما أن يكون مجتهداً، وإما غير مجتهد، فإن كان مجتهداً جامعاً لشروط الاجتهاد حرم عليه التقليد إطلاقاً، وجد النص أو لم يجد، لأن من عرف الحق من دليله لا يجوز له أن يقلد فيه، بل يكون من هذه الجهة كأحمد ومالك والشافعى وأبى حنيفة، وإن لم يتوفر فيه شروط الاجتهاد وجب عليه تقليد المجتهد: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣).

وعلى هذا يكون قول الوهابية بوجوب الاجتهاد مع وجود النص، وتحريمه مع عدمه تخصيصاً بلا مخصص، وتقييداً فى مورد الإطلاق، بل تجزئة وتقسيماً للشىء إلى نفسه وإلى غيره.

كرامات الأولياء:

ويعتقد الوهابية بكرامات الأولياء: (وأن الله يجرى على أيديهم خوارق العادات فى أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات)[1] . (الرسائل العملية التسع ص ١٤٩).

---

١) نسبنا الإيمان إليهم بالكرامات، كما جاءت فى كتاب الرسائل العملية التسع، ولكن كلام صاحب فتح القدير يشعر بنفى الكرامات.

ومعنى هذا أن المؤمن الصالح يستطيع بالدعاء أن يعلم الغيب، وأن يرى وهو فى المشرق من فى المغرب، ويسمع وهو فى المغرب من فى المشرق، وأن يمشى على الماء، تماماً كما يمشى على اليابسة، ويطير فى الهواء كالغراب، بل يستطيع أن يجفف البحار والأنهار، ويغرق الأرض كلها بالطوفان.. يفعل ذلك، وأكثر من ذلك بمجرد الدعاء، وبالتلفظ بكلمة أو بضع كلمات لا بتوسط علم وآلات.

ولسنا بصحة هذا القول أو بطلانه، ولكن لدينا سؤال واحد نود أن نوجهه إلى الوهابيين على مقياسهم هذا لا على مقاييسنا[١] وهذا هو السؤال: إذا كان للولى هذه الكرامة والمقدرة، فهل يجوز لنا أن نطلب منه الدعاء بالخير والهداية إلى الحق، تماماً كما نطلب العلم من العالم، والدواء من الطبيب؟. وعلى افتراض الجواز فلماذا قلتم: من طلب من النبى ﷺ أن يشفع له عند الله فهو مشرك؟. وإن قلتم: لا يجوز طلب الدعاء بالخير والتوفيق من الولى، قلنا: إذا لا خير من الولى ولا كرامة.

---

١) الكرامة فى اعتقادنا هى أن يكرمك الله بمعرفته ثم يقيمك عاملاً من عماله سبحانه.

السحر:

ويعتقد الوهابية بالسحر والساحر، وتعلم السحر عندهم سهل للغاية بشرط أن يكفر الإنسان ويأتى بأعظم المعاصى، مثل: أن يضع المصحف الشريف فى كنيف ونحوه، والآن ننقل ما ذكره الصنعانى كحجة دامغة على اعتقادهم بالسحر، وطريق تعلمه، قال فى صفحة ٥١ من كتاب (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد) ما نصه بالحرف الواحد: (قد ثبت فى الأحاديث أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان، وهذا أمر مقطوع بوقوعه، فهم – أى الشياطين والثعابين – التى يشاهدها الإنسان فى أيدى المجاذيب، وقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع، وتعلمه ليس بالعسير، بل بابه الأعظم: هو الكفر بالله، وإهانة ما عظم الله من جعل مصحف فى كنيف و نحوه، فلا يغتر من يشاهد ما يعظم فى عينيه فى أحوال المجاذيب من الأمور التى يراها خوارق، فإن للسحر تأثيراً عظيماً فى الأفعال، وهكذا يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها). ومعنى قوله: يقلبون الأعيان بالأسحار، أن الساحر يستطيع أن يقلب الإنسان حجراً، والحجر إنساناً.

وبدون حقد، ولا ثورة أعصاب، وبكل لطف وهدوء أدعوك أيها القارىء أن تقرأ ما جاء فى هذا الكتاب بالذات الذى ألفه الصنعانى، ليطهر الاعتقاد من أدران الإلحاد، أن تقرأ ما جاء

فى صفحة ٤٨، وهذا هو: (إن المشاهد والقباب على القبور هى أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة لهدم الإسلام، وخراب بنيانه).

إقرأ هذا، وقارن بينه وبين قوله: تعلم السحر سهل يسير، وباب الكفر، وجعل المصحف فى (كذا).. إقرأ وقارن بين من يعتقد أن فى رفع القباب على روضة الرسول وآله الأبرار تعظيماً لشعائر الله، وبين من يعتقد بالسحر على الشكل الذى رسمه الصنعانى، وأن سبيل السحر هى إهانة القرآن على الصورة التى صورها فى كتابه، وأن من فعل ذلك يقول للشىء: كن فيكون.. إقرأ وقارن، ثم احكم بعقلك وفطرتك، وخبرنا عن صورة المشرك التى ارتسمت فى خاطرك للوهلة الأولى لأحد الإثنين، وأنت تقرأ وتقارن، وقل لنا: أى الاعتقاد ذريعة للشرك والإلحاد ووسيلة لهدم الإسلام، وخراب بنيانه؟. وأى الرجلين يجب أن يطهر اعتقاده من أدران الإلحاد؟.. ولكن ما الجدوى من حكمك وشعورك ومن حكم العقل والفطرة، وحكم السماء والأرض ما دام مبدؤهم ومنهجهم الأول والأخير هو التكفير، ومن خلاله ينظرون إلينا وإليك وإلى الناس أجمعين، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً وهابياً.

الأمر بالمعروف:

ويعتقد الوهابية بوجوب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، لورود النص.. وليس من شك أن الأمر بالمعروف واجب، إما بحكم العقل، كما يقول المعتزلة والإمامية، وإما بحكم الشرع، بحيث لو لم ينص عليه الشرع لم يجب، كما يقول الوهابية، والنتيجة واحدة.

ولكن – كما جاء فى الرسائل العملية التسع ص ١٥٠ – هذا تشجيع للمنكر الذى لا يجتمع مع وجوب النهى عنه.

الحاكم الجائر:

يعتقد الوهابية بأنه لا يجوز الخروج على الحاكم الجائر، والمستبد الفاسد، ويوجبون طاعته والاستماع له، جاء ذلك فى كتاب الأحكام السلطانية، وصاحبه يدعى أنه حنبلى المذهب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩).

وبالمناسبة نذكر ما قاله الملك عبد العزيز فى خطبة ألقاها فى الطائف بحضور رؤساء البلاد ١٦ المحرم سنة ١٣٥١هـ، قال: (والناس معنا ثلاث: إما محب ومساعد، وإما لا محب ولا مساعد، وإما معاند فقط، والأول له ما لنا، والثانى نسعى جهدنا فى إفهامه، أما الثالث فجزاؤه ما جاء فى الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣).

إذن، أين الحرية والديمقراطية والعدل والإنصاف؟. وأين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟. وأن الآية الكريمة نزلت فى الذين يقطعون الطريق على الناس بالسلب والنهب والقتل، ويخلون بالأمن ويحولون بين الزارع وحقله، والعامل وعمله، أما معارضة الحاكم، وعدم الاتفاق معه على آرائه كلها، أو جلها فليست جرماً تعاقب عليه الشرائع السماوية، ولا الوضعية.. وقد رحب أبو بكر وعمر رضى الله عنهما، وغيرهما كثير من الحكام فى القديم والحديث رحبوا بالمعارضين، وأفسحوا لهم المجال حتى فى ميدان العمل لانتزاع الحكم منهم، ولم يوجبوا قتلهم وصلبهم ونفيهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

أصحاب الذنوب:

قال الخوارج: إن مرتكب الكبيرة كافر يخلد فى النار، وقال الأشاعرة والإمامية: بل هو مؤمن عاص، وقال المعتزلة: هو فى منزلة بين العاصى والكافر.

وأحدث الوهابية قولاً رابعاً، وهو أن من قال: لا إلـــه إلا الله لا يخلو أن يكون واحداً من اثنين، إما أن يقولها دون أن يشرك بالله شيئاً، أى لا يزور قبراً، ولا يبنيه، ولا يصلى عنده لله، ولا ينذر له، ولا يمسه، ويتمسح به، ولا يطوف حولـــه، وإمـــا أن يقولها، ويفعل شيئاً من ذلك، والأول لا يسأل عـــن شـــىء، ولا يحاسب على شىء، وإن أتى بملىء الأرض ذنوباً.. جاء فى فتح المجيد صفحة ٥٤ (أن التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، لأنه يتضمن محبـــة الله وإجلالـــه وتعظيمـــه، وخوفه ورجاءه وحده ما يوجب غسل الذنوب، لو كانت قـــراب الأرض، النجاسة عارضة، والدافع لها أقوى). وهذا يشبه بمـــا نسب إلى البكداشية من أن حب على حـــسنة لا تـــضر معهـــا سيئة.. والقرآن الكريم يكذبهما معاً: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراًّ يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).

أما الثانى وهو الذى يزور القبور فهو مشرك كافر.. لا يقبل منه عمل ولا صلاة ولاصوم، ولا عمل الحسنات والمبـــرات.. وليس من شك أنهم يريدون بالموحد الأول الوهابيـــة أنفـــسهم، وبالثانى جميع المسلمين بدون استثناء، والدليل ما نقلنـــاه عـــن كتبهم فيما سبق، ونذكر هنا للتأكيد ما قاله صاحب فتح المجيـــد فى ص ١٠١: (كما هو الواقع فى هذه الأمة – أى أمة ســـيدنا محمد والواقع منهم العصيان – وهذا هو الشرك الأكبر المنافى

للتوحيد.. إلى أن قال: فأثبتوا ما نعته كلمة التوحيد، وتركوا ما أثبتته من التوحيد).

وفى هذا القول، وهذه العقيدة، يكمن سر الإهمال والتأخر فى السعودية، وتسلط الحكام بدون شورى وانتخاب، وعدم شعورهم بالمسؤولية، واكتنازهم مقدرات الشعب فى البنوك والمصارف، إلى جانب البؤس والحرص والجهل، كل ذلك لا بأس به لأن أمراء الوهابية وشيوخهم يوحدون الله توحيداً لا يبقى معه ذنب، ولو كان قراب الأرض.

وبالتالى، فإنا نحسب أن التاريخ لم يعرف، ولن يعرف فئة فى القسوة والجفوة، والتعصب والجمود كالوهابية، ولا أحداً مثلهم يهتم بالقشور، دون اللباب، ونقدم لك مثلاً واحداً وأخيراً يفسر ويوضح جميع ما نقلناه عنهم، ويعطى صورة واضحة ودقيقة لجمودهم فى الفهم والتفكير، وبعدهم عن روح الإسلام وحقيقته، وهذا هو المقال: يجوز للإنسان أن يقتنى المئات والألوف من العبيد والإماء، ولكن لا يجوز له أن يقول ويتلفظ بلسانه: هذا عبدى، وهذه أمتى، لأن ذلك يتنافى مع التوحيد الخالص الذى لا تضر معه الذنوب ولو كانت مثل زبد البحر، أما الاستعباد فعلاً، والعمل بمدلول اللفظ فجائز، وليس شركاً كالتلفظ والتفوة. (رسالة التوحيد).

إن العارفين بالله يعلمون حق العلـــم أن أفـــضل العبـــادات والطاعات هو العمل لخير الإنسان تقرباً إليـــه تعـــالى، دون أن يبتغى العامل من غيره عز وجل جزاء ولا شكوراً، وألف تحية على الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق الذى قـــال: (إن لله عرشاً لا يسكن تحت ظله إلا من أسدى لأخيه معروفـــاً، ونَفَّسَ عنه كربة، أو قضى له حاجة).

الفصل الرابع

التوحيد والعبادة

الرسالة الشاملة:

لم تستهدف رسالة سيدنا محمد ﷺ عشيرة قريش دون غيرهم ولا قوم العرب وحدهم، ولا الشرق فقط، بل استهدفت البشرية بكاملها عربها وعجمها فى كل زمان ومكان، كما أنها لم تقف عند الحياة الروحية و حدودها، أو المادية وقيودها، أو عند جهة، أو جهات معينة، منهما، بل هى شاملة كاملة، تمتد إلى جميع الجهات بشتى أنواعها وألوانها فى حياتنا هذه، وفى الحياة الثانية، بل تصدت إلى تحديد الكون فى بدايته ونهايته.. وأن هذا الشمول برسالة سيدنا محمد يستتبع بطبيعته أمرين يترتبان عليه قهراً:

الأول: أن سيدنا محمداً رسول من عند الله، إذ يستحيل على بشر أن يقوم بهذه المهمة، أو يجرؤ على ادعائها، والتعرض لها من تلقائه، وإن بلغ من العلم ما بلغ، وإن جازف وخاطر فمحال أن يكتب له النجاح، ويترك أثراً محموداً.

إن هذه المهمة أو هذه الرسالة الشاملة الكاملة لا تكون ولن تكون إلا ممن أحاط بكل شىء علما، ومحال أن تحيا إلا إذا كان

وراءها مدبر قدير، وعناية إله خبير، لذا أسند سيدنا محمد رسالته إلى خالق كل شىء، عليم بكل شىء، لا إلى شخصيته وعقله وعبقريته، وأعلن لمن كان ويكون أنه بشر يخضع لما تخضع له الناس، ويفعل كما يفعلون، وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، سوى أنه رسول يوحى إليه.

الأمر الثانى: الذى يدل عليه شمول هذه الرسالة هو أن سيدنا محمداً خاتم النبيين والمرسلين، حيث لم يبق لمن بعده شىء يحتاج إلى بيان فى جهة لحياتنا هذه، أو للحياة الثانية، أى أن التجربة الدينية للإنسان انتهت بكتاب الله الذى فيه تبيان كل شىء جملة أو تفصيلاً، وبالشريعة السمحة التى كشفت عن أوامر الله وأحكامه، وسنته فى خلقه، وكانت الشريعة الأبدية الخالدة يبلغها السابق اللاحق، بدون حاجة إلى رسول جديد.

وإذا كان كل حكم نطق به سيدنا محمد ﷺ ، وكل بيان يتصل برسالته وراءه حقيقة عليا أوحت به إليه وجبت – والحال هذه– بمعرفة تلك الحقيقة، والإيمان بها، والإذعان لها، وقد حدد الله سبحانه على لسان نبيه الطريق إلى معرفته بالتفكير والنظر، وحدد الإيمان بكلمة التوحيد، وحدد الإذعان له بعبادته وطاعته فيما أمر ونهى.

طريق المعرفة:

لقد أراد الله سبحانه أن يعرف بالوسائل البشرية المألوفة وهى التفكير والنظر فى خلق السموات والأرض، وما فيهما من عجائب وأسرار: ﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾ (الذاريات: ٢٠)، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٥).

إن الله جل وعلا يضع آياته أمام عبدِه، ويقول له: أنظر وتأمل، تماماً كما تعرض ما لديك من الأدلة على من جادلك فيما تعتقد وتدين.. ولا شىء أدل على ذلك من هذا الفضل والتلطف فى أسلوب هذه الآية الكريمة التى خاطب فيها منكرى البعث والنشور، قال عز من قائل: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ (الحج:٥)، إذا لم يفرض الله دينه على الناس فرضاً، فكيف ساغ للوهابية أن تقول: (يجب دعاؤهم إلى التوحيد، فمن أقر سلم، وإلا فهو مباح الدم والمال والذرية). (تطهير الاعتقاد ص ٣٥، ٣٦).

وبعد، فمن هو الضال المبتدع فى الدين: الوهابية الذين أتوا بهذه المحدثات، أو أمة سيدنا محمد؟.

التوحيد:

وبين الله على لسان نبيه حقيقة توحيده وتنزيهه عن الأضداد والأشباه والأنداد، بينها فى أبسط معنى، وأوضح مبنى يستوى فى فهمها العالم والجاهل، والكبير والصغير، وهو كلمة لا إله إلا الله، مع الإيمان بها، أى نطق باللسان، وتصديق بالجنان، وكفى.. ولو كانت حقيقة التوحيد غير هذه البساطة التى لا فلسفة فيها، ولا صناعة، ولا أقيسة، لما قبل النبى الإسلام من العجائز ورعاة الإبل فى الصحراء، وكان عليه قبل كل شىء أن يهيىء الناس بالعلم والدراسة لتفهم الإسلام، ثم يعرضه عليهم، أو يأمرهم بالتعلم، حتى يبلغوا درجة الإجتهاد، ويستطيعون استنباط التوحيد من كلمة لا إله إلا الله، تماماً كما هى الحال بالقياس، إلى استخراج الأحكام الفرعية الشرعية من أدلتها التفصيلية، مع العلم بأنه لا شىء من ذلك، وهذا دليل قاطع على فساد ما قاله الوهابية من أن كلمة الشهادة لا تنفع، والإيمان بها لا يجدى، بدون قيودها الكبار، والثقال التى لا يفهمها إلا المخلص.

وبديهة أن الأصول الإسلامية ترتكز على الفطرة النقية الصافية الضرورية التى تشترك فى معرفتها البشرية على السواء.. وبهذا يتبين أن كل ما أضافه الوهابية إلى معنى التوحيد، وملأوا به الكتب والطوامير إنما هو بدعة ضلالة، وأن البدع التى نعتوا بها أمة سيدنا محمد ﷺ وآله هم بها أولى، وهى

بهم ألصق وأليق.

العبادة:

أما عبادة الله سبحانه فقد حددت على لسان نبيه الأكرم تحديداً يستحيل تفسيره تفسيراً صحيحاً بغير الوحى، حيث بلغ من الضبط والدقة مبلغاً لا يصل إليه عقل ناقد، ولا فكر ثاقب، ولا مثالى ولا واقعى، وتعال معى، وقف وتأمل وفكر طويلاً فى هذا الرسم العجيب، فهل تجد له تفسيراً بغير قدرة عظيمة وراء هذا الكون، ولا تشبهه فى شىء، ولا يشبهها فى شىء، فلقد اختطت هذه القدرة لكل عاقل بالغ أن ينهض من فراشه بعد طلوع الفجر، وقبل بزوغ الشمس، ويغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ورجليه، كل ذلك يأتى به على نحو خاص لا يتعداه أبداً.

ثم يقف بين يدى الله فى الوقت المحدد، لا يتقدم عليه، ولا يتأخر عنه ثانية، ويتجه بوجهه، ومقاديم بدنه إلى جهة خاصة لا يحيد عنها قيد أنملة، ويصلى لله ركعتين فقط، يسبحه ويقدسه فيهما بألفاظ معينة لا يتجاوزها إلى غيرها، ويركع بنحو خاص، ويسجد على سبعة أعضاء بشكل خاص، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة، ولا يزيد حرفاً، أو ينقص حرفاً، ولا يأتى بأية حركة، أو أى عمل أثناء ذلك، فإذا انتهى من هذه العملية مضى إلى سبيله،

حتى إذا زالت الشمس، وبلغت كبد السماء عاد فصلى أربع ركعات بنفس الحدود والقيود، وبعدها أربعاً مثلها، ثم يمضى حيث شاء إلى أن يدركه الغروب، فيصلى ثلاث ركعات لا غير، وبعدها أربعاً، وبها يتم ما وجب عليه، فى يومه وليلته، يفعل ذلك كل يوم وليلة بدون استثناء لا فى يوم واحد من كل أسبوع، كالجمعة أو السبت أو الأحد.

وإن دلت على شىء- هذه الدقة فى التصميم والرسم- فإنما تدل على أن من حكم وأمر وأبدع هو فوق العقول مجتمعة، فوق كل شىء، هو الكمال النهائى فى كل وصف.. ومن يدرى أن لهذه الصورة الخاصة من العبادة تأثيراً فى البقاء والاستمرار على التوحيد، وفى النهى عن الفحشاء والمنكر.

وأيضاً يجب على البالغ العاقل أن يصوم لله من كل سنة شهراً قمرياً معيناً كاملاً، لا ينقص منه يوماً، ولا يزيد فيه، فيمسك عن الطعام والشراب والنساء من مطلع الفجر إلى الليل، ولا يتقدم دقيقة أو يتأخر بنية الإمساك، ولا يبدل شهراً بشهر، مهما كانت الظروف، أما الحكمة فى كون الشهر قمرياً فلأجل أن يمر الصيام على الإنسان فى جميع فصول السنة، لا فى فصل دون فصل، فإذا انتهى شهر الصيام وجب أن ينفق فى سبيل الله مبلغاً رمزياً من المال، إن ملك مؤونة سنته.

وأيضاً على المستطيع أن يحج إلى حرم الله فى العمر مـــرة على أن يلبس لباساً خاصاً، ويطوف حول البيت بشكل خـــاص، ويسعى بصورة خاصة، وينام فى أماكن معينة فى وقت معـــين، ويترك الطيب والنساء والصيد، وما إلى ذلك.

وأيضاً على الزارع أن الناتج فى كل سنة إذا بلـــغ نـــصاباً معيناً، وعلى العامل والتاجر أن يخرج خمس مـــا يزيـــد عـــن مؤونة سنته عند الشيعة، و ٢,٥% زكاة ماله إذ بلـــغ النـــصاب عند جميع المسلمين.

ومن هذا الإيجاز يتبين أن العبادة على أنواع: فيهـــا أفعـــال يجب أن تتكرر فى اليوم خمس مرات، وهى الـــصلاة، ومنهـــا تروك تجب فى شهر معين من كل سنة، وهى الصوم، ومنهـــا أموال وتروك تجب فى العمر مرة، وهى الحج، ومنها أمـــوال تنفق فى وجوه البر والخير،.. هذه هى العبادة التى جاءت على لسان سيدنا محمد بحقيقتها وأجزائها، وحـــدودها وقيودهـــا، لا يجوز فيها التبديل والتعديل، ولا التعليم والتطعيم، فمن أداها كان مطيعاً لله، ممثلاً ما أمر به على لسان نبيه الأكرم ﷺ وآله.

ولا يرتبط فسادها بزيارة قبر أو تعميره، ولا صحتها بتـــرك ذلك، ولا بعدم الاستغاثة، وطلب الشفاعة من الأنبياء، ولا بشىء مما ذكره الوهابيون، سواء أكانت زيارة القبور وما إليها محرمة

أو مباحة، ومن أناط صحة العبادة وقبولها بشىء من ذلك أو غير ذلك سوى التوحيد فقد ابتدع، وأتى بما لم ينزل الله به سلطاناً.. ولا بياناً.. والغريب فى أمر الوهابية أنهم يربطون بين صحة العبادة، وبين هجر القبور، وكذلك يربطون بين هجرها وبين التوحيد، أما قتل النفس المحرمة فلا يتنافى مع التوحيد، ولا مع صحة العبادة، قال بعض الشعراء:

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ولكن الجريمة التى لا تغتفر فى نظر الوهابيين ليست فى قتل امرىء أو شعب، بل فى زيارة روضات الأنبياء والأولياء، وقول المسلم: يا محمد اشفع لى عند ربك.. فاتقوا الله أيها الوهابيون فى دين الله، وفى شريعة سيدنا محمد ﷺ، ولا تشوهوا جمالها بتعصبكم، ولا تقفوا حائلاً بين نورها، وبين الأجيال بعقولكم، ولا تحرموا ما أحل الله من عندياتكم، وتربطوا بعض أحكامه ببعض من تلقائكم، ولا تكفروا من وحد ويوحد من أمة سيدنا محمد غيركم، فإن الإيمان منه القوى، ومنه الضعيف، ومنه ما بين ذلك، ولا يذهب كله بذهاب مرتبة منه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ *وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).. ومرة ثانية نكرر القول: إن مبادىء الإسلام صافية كلها، فطرية كلها، فلندعها تسير فى طريقها لتنتشر فى

أرض الله الواسعة، ولا نقف حجر عثرة فى سبيلها، ولنكن لهـــا فخاراً وزيناً، لا عيباً وشيناً.

اقـــتراح :

ونقترح أن ينتدب الوهابيون أعلم علمـــائهم وأقـــواهم علـــى الدفاع عن عقيدتهم، والهجوم على غيرها، ثم يجتمعوا مع علماء من المسلمين، وتطرح كل فئة ما لديها من الحجج والبـــراهين، وتناقشها الأخرى نقاشاً علمياً هادئاً على أساس الكتاب والـــسنة الثابتة، ومنطق العقل، ويحكم بين الطرفين من يثق به الجميـــع، هذا مع العلم بأن أدلة العقيدة، ومصادر الأصول معروفة بشكل عام، والاختلاف إنما هو الفهم، والاستخراج من الأصل، وعليه فلا مانع أبداً من أن يكون الحكم أجنبياً، مـــا دام يملـــك أدوات المعرفة بأصول العقيدة، والفهم السليم لها، ويتحلى بالإنـــصاف، وعدم الانحراف، ومن كانت له الحجة على غيره فهو المـــسلم المؤمن حقاً، ومن كانت عليه فهو الضال المبتدع.

الفصل الخامس

التحالف بين الإمامين

ابن عبد الوهاب وابن سعود

بعد طرد محمد بن عبد الوهاب من العيينة وصل إلى الدرعية سنة ١١٦٠هـ، وكان أميرها آنذاك محمد بن سعود، جد السعوديين، وتم الاتفاق بين الشيخ والأمير على غرار ما كان قد تم بينه وبين أمير العيينة، فقد وهب الشيخ نجداً وعربانها لابن سعود. كما وهبها من قبل لابن معمر، ووعده (تكثر الغنائم عليه والأسلاب الحربية التى تفوق ما يتقاضاه من الضرائب)[١] على أن يدع الأمير الشيخ، ليضع ما يشاء من الخطط لتنفيذ دعوته، وتقول الرواة: إن الأمير السعودى بايع محمد عبد الوهاب على القتال فى سبيل الله.. ومعلوم أنهما لم يفتحا بلداً غير مسلم فى الشرق أو فى الغرب، وإنما كانا يغزوان ويحاربان المسلمين الذين لم يدخلوا فى طاعة ابن سعود، وهذا الاتفاق، أو هذه المساومة، وما سبقتها مع ابن معمر تلقى الضوء الكاشف على دعوة ابن عبد الوهاب، وأقل شىء تنكشف عنه أنها لا تهتم بمصائر الناس، ولا بحل أية

---

١) عبد الله فيليبى.. تاريخ نجد، ص ٣٩ نشر المكتبة الأهلية ببيروت.

مشكلة من مشكلاتهم، كما هو شأن الدعوات والرسالات الصالحة.

وبعد أن شعر محمد عبد الوهاب بقوته عن طريق هذا التحالف، وأن الإمارة السعودية أصبحت تناصره وتؤازره، بعد هذا الشعور جمع الشيخ أنصاره وأتباعه، وحثهم على الجهاد، وكتب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته، وتدخل فى طاعته، وكان يأخذ ممن يُطيعه عُشر المواشى والنقود والعَرُوض، ومن أبى غزاه بأنصاره، وقتل الأنفس، ونهب الأموال، وسبى الذرارى.. أدخل فى الوهابية وإلا فالقتل لك، والترمل لنسائك، والتيتم لأطفالك.. هذى هى الشريعة السمحة، والتعاليم الغراء، والنية الخيرية، والخلق الكريم،.. وهذا هو النظام العادل الصالح الحكيم.

هذا هو بالذات مبدأ ابن عبد الوهاب.. الذى لا يتنازل عنه لأية مصلحة، ومن أجله تحالف مع ابن معمر فى العيينة، ثم مع ابن سعود فى الدرعية، وكان على أتم استعداد أن يتحالف مع أية قوة يستعين بها على ذلك. ولكنه لم يجد مناصراً أفضل من ابن سعود بعد أن تأكد هذا الأمير أن انتصار دعوة الشيخ هو انتصار له بالذات (وأن الغنائم والأسلاب الحربية التى وعده بها الشيخ ستفوق ما يتقاضاه من الضرائب).. ولم تكن هذه الغنائم

والأسلاب إلا البعير، وإلا الشاة التى كانت كل ما يملكه المسلم الآمن فى صحراء نجد، والمصدر الأول لحياته وحياة أطفاله وعياله.. كان الشيخ يغزو بأنصاره وأتباعه عربان نجد يسلبونهم مصدر حياتهم، ثم يقفلون إلى الدرعية بعد أن يتركوا وراءهم أشلاء الضحايا، والخرائب، والأرامل والأيتام.. ويوزع الشيخ عليهم أربعة أخماس الغنائم، والأسلاب من المسلمين الآمنين، ويخص الخمس بالخزينة التى يتصرف بها هو والأمير السعودى، قال عبد الله فيلبى فى تاريخ نجد ص ٤١:

(وقد أدخل الإمام فى عقول طلابه مبادىء فريضة الجهاد المقدس، فوجد الكثيرون منهم فى الجهاد أقدس تعاليمه، إذ أنه يتفق مع ما اعتاد عليه العرب – يقصد أن العرب قد اعتادوا على السلب والنهب – كما خصص الشيخ خمس الأسلاب بخزينة المركزية التى كان الأمير والإمام يقضيان منها ما يقوم بأودهما.. وهكذا كان سلطان الشيخ فى تصريف شؤون البلاد بعد مرور سنة أو سنتين، لقد أصبح شريكاً مؤسساً).

وقد دان بمبدأ (الوهابية أو السيف) كل وهابى، حتى يومنا هذا، لأنه يحقق له ما اعتاد عليه من السلب والنهب.. فى سنة ١٣٤٥هـ طلب ١٤ عالماً وهابياً من الملك عبد العزيز أن يجبر شيعة الأحساء والقطيف على ترك (الشرك) أى: على

اعتناق الوهابية، وأن يرتب لهم إماماً وهابياً، ومؤذناً وهابياً، وأن يهدم الحسينيات ومسجد حمزة، وأبى رشيد، ومن أبى من اعتناق الوهابية ينفى من البلاد[1] ومتى نفوا عن بلادهم وديارهم تكون جميع أملاكهم للوهابية، تماماً كما فعل الصهاينة بعرب فلسطين.

هكذا يهتف أتباع محمد بن عبد الوهاب: لا عدل، لا سلم، لا رحمة، لا إنسانية، لا حياة، لا شيء أبداً إلا (الوهابية أو السيف)، وهذه السنة التى استنها يتحمل وزرها محمد عبد الوهاب من يومه إلى يوم القيامة.. لأنها، كما ترى، دعوة تقوم على الحرب والضحايا، وتطبع بطابع الدم والفوضى، ومن تلك السنة التى وقع فيها الاتفاق بين الشيخ والأمير السعودى، وهى سنة ١١٥٨هـ، إلى يومنا هذا، والتعاون قائم بين أبنائهما: توزيع مناصب، وتقسيم غنائم، ثم إيغال فى البذخ والترف.

ولنا أن نتساءل: هل كان محمد بن عبد الوهاب قائداً من قادة الدين، ورائداً من رواد الشريعة الإسلامية، أو كان رجلاً يحب الظهور والسيطرة، وقد اتخذ الوهابية وسيلة إلى ما أحب؟!.

---

١) كشف الارتياب للسيد الأمين نقلاً عن جريدة الرأى العام الدمشقية عدد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥هـ.

والجواب عن هذا السؤال يتوقف على أمرين:

الأول: أن نعرف خصائص رجل الدين، والعلامات الفارقة بينه وبين غيره.

والثانى: أن نقرأ بتأمل وتجرد تاريخ محمد بن عبد الوهاب. ثم نرى: هل ينطبق عليه تلك الخصائص أو لا؟.

أما خصائص رجل الدين وعلاماته، أو وظيفته ومهمته فهى أن يعلم أولاً وقبل كل شىء أن العقيدة تقوم على الاختيار وقوة الإقناع، لا على الإكراه والسيف، وأن يكون مع الكتاب والعلم، ويستفتى فيفتى، وأن يعلم ويعظ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل من خالف بالتى هى أحسن، وأن يحى الشعائر الدينية، ويصلح ذات البين، ويقف ضد الحروب والتطاحن والمشاغبات، ويعمل على تصفية القلوب، وبث المحبة والإخاء، وأن يكون رحب الصدر لا يلحق الأذى بمخلوق كائناً من كان، ويحب الخير للناس، كل الناس، حتى الذين يخالفونه فى الرأى والعقيدة، ويعمل على إسعادهم، والتضحية فى سبيلهم، ويهاجم الشر أينما كان، وأن يكون وديعاً ورعاً زاهداً، يرضى بما يجد، لا تغلبه عاطفته، وجشعه على دينه، بعيداً كل البعد عن التحزبات، ولا يجمع حوله الهمج والرعاع ويحرض على الفوضى والغزو باسم الجهاد، ولا يتعاون مع أبناء الدنيا إلا فيما

فيه الخير والهداية، وأن يعتقد اعتقاداً حازماً أن أى سبب من أسباب التفرقة هو طعنة مسمومة فى قلب الدين والأمة، وبالتالى، لا يتنازل عن شىء من واجباته مهما كان الثمن.. هذا هو رجل العلم والدين.. فهل كان محمد بن عبد الوهاب كذلك؟ وندع الجواب للتاريخ وحده، فالذى قوى أمر محمد بن عبد الوهاب، الخوف من بطشه، وبديهة أن صاحب الدين لا يخاف أحد منه، بل هو ملجأ الخائفين، جاء فى الحديث: (شر الناس من تخاف الناس من شره).

وفى جغرافية (ملطبرون) ترجمة رفاعة بك: (سر وقوة ابن عبد الوهاب دعوته عن طريق السيف). وفى تاريخ ابن بشر مؤرخ الوهابية: (أمر محمد بن عبد الوهاب بالجهاد، وحض عليه أتباعه، فامتثلوا، وأول جيش له تألف من سبع ركائب) ومعلوم أن هذه الركائب غزت بلاد المؤمنين، بلاد لا إله إلا الله محمد رسول الله..

وفى تاريخ نجد للألوسى: (كتب ابن عبد الوهاب إلى أهل نجد- وهم مسلمون - فبعضهم أطاع، وبعضهم لم يحفل به، فأمر أهل الدرعية بالقتال فأجابوه [١] وكان لمحمد بن عبد الوهاب أخ، اسمه سليمان بن عبد الوهاب، وكان يشغل منصب

---

١) كشف الارتياب للسيد الأمين، وتاريخ الدولة السعودية، لأمين سعيد.

القاضى فى حريملة، وكان كأبيه ينكر على أخيه محمد آراءه المتطرفة.. وألَّف كتاباً خاصاً فى الرد عليه، وعلى أتباعه، أسماه (الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية)، ونعت أخاه محمداً فى أول كتابه بالجهل والضلالة، قال فى ص٤ طبعة ١٣٠٦هـ:

(فإن اليوم ابتلى الناس بمن ينتسب إلى الكتاب والسنة، ويتبسط فى علومهما، ولا يبالى – أى أخوه محمد بن عبد الوهاب– من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس الأخذ بقوله، وبمفهومه، ومن خالفه فهو عنده كافر، هذا، وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد، لا والله، ولا عشر واحدة، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والأمة كلها تصيح بلسان واحد، ومع هذا لا يصغى إلى كلمة، بل كلهم كفار، أو جهال، اللهم اهد هذا الضال، ورده إلى الحق).

ومن ألمَّ بسيره ابن عبد الوهاب، أو بطرف منها لم يشك فى أن أتباعه وأنصاره كانوا يغزون ويشنون الغارات على المسلمين الآمنين بأمره وتحريضه، وأنهم كانوا يفرشون الأرض بالصرعى والقتلى من أبناء نجد الذين لهم على الشيخ حق

الجوار من النصرة والحماية والمواساة.

ولم يشك أيضاً أن التحالف الوثيق الذى حصل بين ابن عبد الوهاب وبين ابن سعود كان يهدف أول ما يهدف إلى انتشار النفوذ والسيطرة عن طريق الغزو والغارات، و(الأساليب الحربية) وأين هذا من الإسلام، وعلماء الإسلام؟. لقد جاء الإسلام فيما جاء لمحاربة الظلم الذى كان يتمثل بغزو أهل الجاهلية بعضهم بعضاً فأحياه ابن عبد الوهاب.

فى سنة ١٩٢٠ أفتى علماء النجف والأزهر والأستانة والصوفية بالجهاد، وتطوعوا بأنفسهم للحرب، وحملوا السلاح، ولكن ضد الإنجليز التى استعمرت مصر والعراق، لا ضد من قال لا إله إلا الله، ولا ضد مسالم كائناً من كان.

والغريب أن من تتبع سيره محمد بن عبد الوهاب، وقرأ كلماته لا يجد فيها أثراً لعمارة الأرض، ولا للسلم والرخاء، ولا لسد عوز المعوزين، ولا أية إشارة إلى العدالة الاجتماعية وتحسين الأوضاع والحياة، بل ترك ذلك كله، ولم يلتفت إليه، مع أنه كان يسمع ويرى الناس من حوله يعيشون فى ضنك من العيش، وضيق فى الحياة تنقطع عنهم أسباب الرزق إلا من شاة أوبعير، فإذا أجدبت السماء ماتوا جوعاً وعرياً، لقد تجاهل كل ذلك على رغم مما كان له من النفوذ والسلطان، قال فيليبى فى

تاريخ نجد: (إن محمد بن سعود وخليفته عبد العزيز لم يقوما بأى مشروع، أو يصدرا أى قرار ذى شأن إلا بموافقة الشيخ وبركته).

وإذا دل إعراض الشيخ عن التفكير بصلاح الناس فى عيشتهم وتحسين حياتهم، إذا دل هذا على شىء، فإنما يدل على أحد أمرين، لا ثالث لهما: إما أنه لا يبالى أشقى الناس، أو سعدوا، وإما أنه جاهل بروح الإسلام، بمقاييس الخير، وأسباب التطور والتقدم.. فالذين يعرفون مقاصد الإسلام يعلمون علم اليقين أن أقرب الناس إلى الله، أخلصهم فى توحيده وعبادته هو أنفع الناس للناس، أنفعهم فى صلاح أحوالهم وتخفيف آلامهم، وأن أبعد الناس من الله جل وعز هو من يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويسبى الذرارى، ويقحم الدين فى أهوائه وأغراضه.

وقد ربى محمد بن عبد الوهاب أتباعه على مبدأ عدم التفكير بشىء يتصل بخير الناس ومنفعتهم، وعدم الاهتمام إلا بالتعصب، والحكم بالشرك على أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وبعد.. فعلينا أن نفهم ونميز بين أهل الدين حقاً، وبين الذين ينتحلونه لمآرب أخرى.. علينا أن لا نتهم أحداً، ولا نثق بأحد إلا بعد أن نتعرف على سيرته من أوثق المصادر وأصحها،

علينا أن نقف موقف الشك والريبة من كل دين وعقيدة، ومن كل من ينعته الناس بالإمام المصلح، أو المفسد المضلل، حتى يظهر الحق جلياً، ولن يظهر إلا بالبحث والتمحيص، ومن درس حياة محمد بن عبد الوهاب يرى أول ما يرى أنه يفرض آراءه بالقوة، ولكن على المسلمين خاصة دون غيرهم.. وكل الناس يعلمون أن أية عقيدة، أو رأى يحاول صاحبه أن يفرضه بالقوة فإنه يحكم على نفسه بنفسه بالفساد والبطلان.

مات محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦هـ، وسار أبناؤه على سيرته يناصرون أبناء سعود، ويناصرهم أبناء سعود، ويسندون إليهم نفس المناصب التى كان ابن سعود يسندها لأبيهم وزيادة بحكم تطور الزمن.

ونختم هذا الفصل بسؤال هو: يقول الوهابيون: إنهم أدركوا ووعوا معنى لا إله إلا الله، وبديهة أن أول ما تدل عليه هذه الكلمة أنه ليس لأحد كائناً من كان أن يتحكم بغيره، أو يفرض عليه ما لا يتجاوب مع قلبه وعقله.. إذن، كيف جمع الوهابيون بين الإيمان بلا إله إلا الله، وبين مبدئهم القائل: (الوهابية أو السيف)؟!.

وكيف جمعوا بين المبدأ، وبين الادعاء بأنهم يجرون وراء الخير، ويريدونه للناس، تماماً كما يريدونه لأنفسهم، مع العلم

بأن هذا المبدأ أساس البغضاء والشحناء، والفوضى، والفتن والحروب وكل أنواع الفساد؟.

والآن ورد سؤال آخر: لقد حصلت حروب بين المسلمين الذين كانوا يزورون القبور كالسادة الصوفية، ويقولون: يا محمد اشفع لنا عند ربك، وبين غيرهم كالصليبيين ومن قبلهم وبعدهم، فهل كانت تلك الحروب قتالاً بين الكفار بعضهم ببعض، أو كانت بين المسلمين وبين غيرهم؟.. وعلى الأول لا ينبغى أن تعد الحروب الصليبية وما إليها من تاريخ المسلمين، بل تعد الغزوات والغارات التى شنها الوهابية على من آمن بالله وبمحمد وباليوم الآخر. وعلى الثانى لم يبق من موضوع لدعوة محمد بن عبد الوهاب، أو للكثير من كلامه ومؤلفاته.

رؤية ابن تيمية للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

لابن تيمية رسالة فى الحسبة تعرض فيها لرأيه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونلخص ما جاء فيها، فهو يجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أساس الدين وأساس الحكم وهو فرض على الحاكم، فإذا لم يقم به أصبح فرضاً واجباً على أية جماعة لها سلطة. ويجعل تغيير المنكر جهاداً واجباً يأثم من لا يقوم به وهو قادر عليه، ولأن الجهاد يعنى القتال وسفك الدماء، فإن ابن تيمية يفتى بالقتل لمن يغش فى الديانات، بل

يعتبر الغش فى الديانات هو الأفظع والأولى بالجهاد.

والخطورة هنا أنه من السهل أن تتهم كل فرقة إسلامية الفرقة الأخرى بالغش فى الدين، وابن تيمية نفسه اتهموه بهذا وحوكم وتعرض للسجن والنفى بهذه التهمة، وهو يوجه نفس التهمة لخصومه الصوفية، ويستدل عليهم بما يفعلون وما يقولون من الإنشاد والذكر فى المساجد، ويرى من الغش فى الديانات رواية الأحاديث المصنوعة المنسوبة كذباً للنبى ﷺ، مع أنه اتهام توجهه كل طائفة للأخرى، إذ لكل طائفة أحاديثها ورواتها وتدينها الخاص الذى تعتبر الخروج عنه غشاً فى الدين.

ويرى ابن تيمية أن من تظهر عليه دلائل الغش فى الدين فالواجب منعه وعقوبته من قتل أو جلد أو غير ذلك، ويرى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، ويضيف عليها عقوبة التعزير، وهى عقوبة إضافية يفترض أن تكون أقل من العقوبات الشرعية المنصوص عليها، أى أقل من أربعين جلدة، ولكن ابن تيمية يخالف أئمة المذاهب السابقين ويفتى بأن تصل عقوبة التعزير إلى القتل، ويفتى فى رسالة الحسبة وفى الفتاوى بأن من لم يندفع فساده فى الأرض إلا بالقتل يجب قتله، ويعطى أمثلة لمن يفرق جماعة المسلمين، والذى يدعوا إلى البدع فى الدين.

وتهمة تفريق جماعة المسلمين تهمة مضحكة، لأن المسلمين تفرقوا منذ قتل سيدنا عثمان إلى شيعة وسنة، وتشعبت اختلافاتهم حتى داخل كل طائفة وابن تيمية يدرك ذلك جيداً، إلا أنه يقصد بجماعة المسلمين جماعته الذين هم على رأيه، ويرى أن خصومه يقترفون تهمتى التفريق بين جماعة المسلمين، والدعوة إلى البدع فى الدين[1].

بين ابن تيمية وابن عبد الوهاب :

وإذا قامت كل طائفة من طوائف المسلمين بتطبيق فتاوى ابن تيمية على خصومها فى التدين فلن يبقى من المسلمين أحد.. وظلت فتاوى ابن تيمية مجرد سطور فى رسائله بينما ازداد التصوف انتشاراً وتأثيراً بعد موت ابن تيمية حتى انقرض العصر المملوكى وجاء العصر العثمانى، وقرأ فكر ابن تيمية وعاش عليه محمد بن عبد الوهاب، فأخرجه إلى حيز الوجود والتنفيذ، وقرن دعوته بالحركة إلى تغيير المنكر، ثم تحالف مع الأمير ابن سعود، وكان تغيير المنكر والأمر بالمعروف أهم بنود التحالف، وحين قامت الدولة السعودية أصبحت وظيفة رسمية للمطوعين، أى: رجال الدين.. ثم أصبح الأمر

---

١) ابن تيمية: رسالة الحسبة.. نشر دار التحرير، القاهرة، ٧، ١٠، ٤٨، ٥٠، ٥٣.

بالمعروف والنهى عن المنكر طريقاً سهلاً للمعارضة الوهابيـــة تزايد به على الدولة السعودية الوهابية.

وكان تطرف الإخوان فى الأمر بـــالمعروف والنهـــى عـــن المنكر من أسباب خروجهم على سلطة الملـــك عبـــد العزيـــز ومعارضتهم له، وندخل بذلك على الموضوع.

الفصل السادس

أساس المعارضة فى عهد عبد العزيز

تحدثنا فى الكتاب الأول من سلسلة الفتوحات العزمية المباركة وعنوانه: (أنوار الحقائق الجلية فى كشف الوهابية) عن تسلسل حكام الوهابية من محمد بن سعود إلى عبد العزيز، والأخير هو أخطر الشخصيات فى تاريخ المملكة الوهابية، حيث بدأ عبد العزيز فى تأسيس دولته (١٩٠٢- ١٩٣٢)، على أساس دينى يقوم على التدين الوهابى التيمى، ويناضل ضد التدين الشيعى والتدين الصوفى المتسيد حوله، وأدرك حاجته إلى تحويل قوة البدو الحربية المتقلبة الانتهازية إلى قوة عقائدية تتربى على أساس التدين الوهابى، فقام بتكوين حركة الإخوان عقائدياً بالفكر الوهابى التيمى الذى ينتمى فى حقيقة الأمر إلى العصور الوسطى، ويتصالح معها بقدر ما يخالف الثقافة الحديثة التى بدأ العالم يعرفها، وتقوم أوروبا وانجلترا على رسم هذه الثقافة وتطبيقها وفرضها على المستعمرات ومناطق النفوذ.

ومن هنا أصبحت ثقافة الإخوان الأصولية السنية مخالفة للعصر والقائمين على العصر، ومن هنا كان لابد أن تختفى قوة الإخوان مهما بلغ حماس الإخوان، ولو كان عبد العزيز نفسه متفقاً مع إخوانه فى كل ملامح هذه الثقافة حينئذ كان سينتهى

مصيره إلى ما آلت إليه الدول البدوية المتحركة وأصحابها، الذين أجادوا فن التدمير وإقامة المذابح، وانتهوا سريعاً إلى لا شئ حتى فى العصور الوسطى نفسها (حركة الزنج، حركة القرامطة).

وبنفس المنطق فإن حركة الإخوان التى تم بعثها فى العصر الحديث بعقيدة وثقافة تنتمى إلى العصور الوسطى وتخالف العصر الحديث، كان لابد أن تنتهى سريعاً بكل ما فيها من مذابح وحماس وتضحية وفداء وإخلاص لما يعتقدون أنه الإسلام.

ومشكلة عبد العزيز أنه اضطر إلى تحويل البدو إلى إخوان كى يضمن لنفسه جنوداً عقائديين يستمر ارتباطهم به كارتباط الإنسان بعقيدته، وبالتالى يتخلون عن انتهازية البدو وعصبيتهم القبلية، وبالتالى أيضاً يمكن أن يستعيد بهؤلاء البدو كل ما كان فى حوزة جده سعود الكبير.

وأساس المشكلة فى أنه أعدهم دينياً بثقافة العصور الوسطى، أو بالأدق أشد ثقافة العصور الوسطى تطرفاً وتعصباً وتزمتاً، وهى ثقافة تصلح لتكوين عقيدة حربية، ولكنها تحمل فى داخلها عوامل فنائها، لأنها إن لم تجد ما تأكله تأكل نفسها.

وهكذا حين أجبرت إنجلترا (ممثل العالم فى ثقافة العصر

الحديث) عبد العزيز على أن يعيش ثقافة العصر إذا أراد أن يعيش ملكاً فى هذا العصر، بدأت المشاكل بين عبد العزيز وإخوانه، وتحولت شوكة عبد العزيز التى يحارب بها خصومه إلى شوكة متفجرة داخل عباءته، وقد صبر على أذى هذه الشوكة إلى أن استفحل خطرها، وأصبح حتماً أن يوسع أحد الطرفين مكانه للآخر، وكان لابد من العلاج بالجراحة.

ومشكلة الإخوان أنهم بدو منعزلون فى صحرائهم بعيدون عن العالم الخارجى، وجاءتهم الدعوة السلفية والتثقيف الأيديولوجى (العقائدى) فى الهجر بما يتواءم مع عقليتهم، وبما يعطيهم ما يريدون بمسوغ دينى معتمد على تراث مستمر ومستقر مكتوب وغير مكتوب، استمر من حركة الردة إلى حركة ابن عبد الوهاب، وقد جرت معظم أحداثه فى نجد وجنوبها وشمالها وحولها شرقاً وغرباً.

إذ عاش البدو مرحلة اختلط بها الزمان بالمكان بالماضى والحاضر، وتحول هؤلاء البدو إلى إخوان يريدون إعادة دولة النبى، ليس كما جاء فى القرآن ولكن كما دونها المؤرخون فى العصر العباسى، فأساس المشكلة فى أن الإخوان حين خرجوا للعالم بهذه الأيديولوجية وجدوا العالم كله ضدهم، ليس فقط النصارى الكفار ممثلين فى إنجلترا التى تهيمن على المنطقة،

ولكن أيضاً فى المسلمين الآخرين الذين يصفونهم بالمشركين، سكان الشام والعراق، وهؤلاء الكفار والمشركون لا يتيحون فرصة للإخوان كى يقوموا بفتح الشام والعراق وغيرها بمثل ما حدث فى الفتوحات الإسلامية الأولى، والأنكى من ذلك أنهم يقيمون داخل بلادهم حصوناً لتحمى بلادهم من فتوحات الإخوان!! ثم الأنكى أكثر وأكثر أن عبد العزيز نفسه يسايرهم ويوافقهم ويواليهم.. وهذا كله مخالف لما تعلموه على يد فقهاء عبد العزيز نفسه.. وأولئك الفقهاء مشكلة أخرى.

ومشكلة الفقهاء أن الحل الإسلامى السياسى يستلزم اجتهاداً يثبت أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، فإذا أردت أن تقيم دولة إسلامية فلابد أن تجتهد فى استخلاص صيغة إسلامية تتفق مع ظروف عصرك ومع قيم الإسلام بقدر ما تستطيع، وليس مقبولاً ولا معقولاً أن تقيم دولة إسلامية حديثة على اجتهادات علماء عاشوا عصراً غير العصر، واستمدوا أحكامهم من معطيات عصرهم، وهى بالتالى لا تتفق مع معطيات هذا العصر، والإمام الشافعى قام بتغيير مذهبه عندما انتقل من العراق إلى مصر، مع أنه يعيش نفس الزمان، ثم إن كل فقيه تأثر بظروفه الشخصية علاوة على ظروف عصره العامة، وبالتالى فإنه يجب أن يكون لكل عصر فقهاؤه ليجدوا حلاً إسلامياً لما استجد فى عصرهم واختلف عن العصور السابقة.

وأساس مشكلة فقهاء نجد فى أن ظروف نجد الجغرافية ليس فيها الجديد الذى يحرك الفكر بالاجتهاد، فهى منطقة منعزلة بطبيعتها، والإحساس فيها بالزمن رتيب دون اختلاف. والغرباء الذين يقدمون على نجد من المسافرين والحجاج لا يرى فيهم أهل نجد إلا ضحايا للسلب والنهب أو الابتزاز، وفقهاء نجد يحملون نفس العقلية، وإذا كان العصران المملوكى ثم العثمانى هما عصرا التقليد فى الحواضر الإسلامية فى العراق والشام ومصر، فإن التقليد يتحول فى نجد إلى خرافة وجمود، ولا بد للفقهاء فى نجد أن يكونوا حراساً لهذا التدين السائد.

وحتى عندما حصل محمد بن عبد الوهاب على مؤلفات ابن تيمية وتشربها، وترك نجد وعاد إليها داعياً فإنه لم يأت بجديد فى دعوته العقيدية يختلف عما قاله ابن تيمية، ثم إنه ثانياً اقتصر على الجانب العقيدى دون أن يتبحر فيه علمياً، كما لم يتبحر فقهياً.

ولا تقتصر المشكلة فى بيئة نجد وفقهائها المحافظين الكارهين للاجتهاد، وإنما تتعدى المشكلة طبيعة المكان إلى طبيعة الزمان. والزمان والمكان قد تجمدا فى نجد عند ثقافة العصور الوسطى، وحين صعد عبد العزيز بنجد إلى مستوى العصر الحديث- أو حين حاول ذلك- ازدادت المشكلة تعقيداً،

إذ كانت نجد بثوراتها فى العصور الوسطى تبدو متطرفة بمقياس العصور الوسطى نفسها، فكيف بها بنفس التقاليد تواجه العالم المعاصر وبادعاء أن ذلك هو الإسلام الذى يعنى التعصب والتطرف والتزمت؟.. ربما كانت المشكلة ستظل محصورة داخل الصحراء إذا اقتصر ابن سعود على النضال ضد خصومه داخل نجد وبين قبائلها، ولكنه بحكم الموقع على حدود الشام والعراق والخليج الفارسى أو العربى، وبحكم الخبرة التاريخية لأهل نجد لابد أن يصعد بهذه الثقافة الفاتحة إلى خارج حدود نجد حيث مصالح الإنجليز- أكبر قوة فى العالم وقتها- وبالتالى لابد من الاحتكاك والصدام ليس فقط بالقوة الإقليمية للمسلمين الصوفية والشيعة من عرب وفرس وأتراك ولكن بالقوة الأوربية، أى لابد من الاحتكاك بالعصر وثقافته، ولأن هدفه الأساسى هو إقامة الدولة، والإخوان وسيلته فى تحقيق هذا الهدف فإنه من المنتظر أن يتخلى عن الإخوان، إذا أصبحوا خطراً على هدفه ودولته، طالما أنه لا يستطيع إصلاح أحوال الإخوان، أو بمعنى آخر طالما لا يستطيع تثقيف الإخوان بثقافة دينية إسلامية تتوافق مع العصر الحالى وتتواءم معه، وهو لا يستطيع ذلك لأنها مهمة العلماء.. وأولئك العلماء مع نفوذهم وتبعيتهم لابن سعود إلا أنهم أصل المشكلة.. لأنهم حراس الفكر الدينى الذى تعلموه وتشربوه عبر تراكم زمنى وتاريخى اتفق

مع منهج بيئتهم المتطرفة بطبيعتها، وبالتالى فإنه إذا كان مستحيلاً على فيصل الدويش أن يقلع عن الغزو واستحلال المذابح والأموال للأبرياء، فإنه من المستحيل أن يرى العلماء وصفاً آخر لهذا الغزو إلا أنه جهاد للكفار والمشركين، بغض النظر إذا كانوا مسالمين أو محاربين.. فالإخوان هم الذين تعلموا الإسلام عن طريق أولئك الشيوخ، وأولئك الشيوخ توقف بهم الزمن عند ابن عبد الوهاب، وابن عبد الوهاب توقف به الزمن عند ابن تيمية، وابن تيمية انعكست عمالته للتتار على فقهه، وابن عبد الوهاب لم يجد سبيلاً لمواجهة خصومه فى العقيدة إلا بهذا الفقه المتشدد الذى ينفى الآخر، وفقهاء عبد العزيز عاشوا هذا التراث وواجهوا به العصر الذى يرفضهم، فكانوا أكثر رفضاً له، ووجدوا فى التراث الدينى التابع لهم ما يسوغ لهم تحويل الرفض الفقهى إلى قتل وسلب ونهب للأبرياء وغير الأبرياء، ومن هنا كانت لدى الإخوان الفتاوى الجاهزة مسبقاً فى رسائل ابن عبد الوهاب، وكانوا يبادرون إلى تطبيقها بدون إذن عبد العزيز ليتحمل هو النتائج السلبية أو الإيجابية، وهذه النتائج تؤثر على مركزه، بل وربما مستقبله، وتؤثر على حقوق الدول الأخرى، وتحتم على النفوذ الإنجليزى أن يتدخل لحماية مصالحه، مما يجعل عبد العزيز يبدو واضحاً للإخوان طبقاً لأيدلوجيتهم أنه يوالى الأعداء المشركين، ويفزعون للعلماء

الذين علموهم (الدين) فيظهر عجز العلماء عن الاجتهاد بما يلائم العصر، ويجعلهم يتفقون مع الإخوان فى الأساسيات، وتتحول الخلافات بين عبد العزيز والإخوان من خلافات فقهية إلى معارضة سياسية، ثم تتحول إلى معارضة مسلحة وحرب أهلية، كأن التاريخ يكرر نفسه خصوصاً فى نجد.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل فى مصطلح الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لدى العقلية النجدية والبدوية.

قام التكوين الفقهى للإخوان على أساس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما يستلزمه من حركة جهادية، وفى الفجوة الواقعة بين المبدأ وبين فهمه وتطبيقه نشأت المعارضة الدينية وتطورت فى عهد عبد العزيز، وتحول الخلاف الفقهى إلى اقتتال حربى بين فريقين يشتركان فى نفس المنهج العقيدى والفقهى.

وفى الظروف العادية قد يمكن حل الخلاف السياسى والفقهى سلمياً، أما فى ظروف نجد فى عصر عبد العزيز فقد أدى فهم الإخوان للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى طريقة تتعارض مع الفهم السياسى لعبد العزيز، ومن هنا تحول الأساس الذى قامت عليه الدولة السعودية- وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر- إلى أساس لمعارضة كادت أن

تقضى على الدولة، وهذا يقتضى تحليلاً.

إن الخبرة التاريخية لأهل نجد وعزلتهم الجغرافية وطبيعتهم القتالية وتوجسهم من الغرباء، جعلهم أقرب إلى التشدد، وأشد تمسكاً بالتقليد، وأسرع فى اللجوء إلى السلاح فى حسم الخلافات السياسية والعقيدية، وقد بدأ ذلك فى الفتنة الكبرى فى القرن الأول الهجرى، وظهر واضحاً فى موقف أعراب نجد من الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وخروجهم عليه فى صفين، ومع انقراض الخوارج وتشتت القبائل النجدية وحلول قبائل أخرى محلهم فى نجد، إلا أن الطبيعة النجدية صهرت السكان بنفس الخصائص، خصوصاً مع الموقع الجغرافى والعزلة التاريخية، واعتياد الغارات بين القبائل وعلى القوافل، مما أعاد إلى نجد الطبيعة الجاهلية التى كانت قبل الإسلام.

وعندما ظهرت الوهابية واجه العالم الإسلامى- المتأثر بالتصوف- الحركة الوهابية بمعارضة فكرية وسياسية وحربية أسقطت الدولة السعودية الأولى التى أسسها (محمد بن سعود) سياسياً، إلا أنها لم تستطع القضاء على الدعوة الوهابية، بل على العكس أدت إلى مزيد من انتشارها خارج الجزيرة العربية، وأدت إلى تجمع المؤمنين بها دون شقاق عقيدى أو مذهبى حتى مع الشقاق الحربى بين السعوديين فى الطور الثانى

من تاريخهم.

وأدت الدعوة الوهابية إلى يقظة فكرية فتحت باب الاجتهاد نسبياً داخل الحواضر الإسلامية، وواكب هذا الاتصال بالغرب والتأثر به بدرجات متفاوتة، خصوصاً مع السيطرة الاستعمارية لإنجلترا بالذات، وأسفر ذلك عن وجود تيار علمانى يهودى، ووجود تيار دينى يحاول الاجتهاد فى إيجاد صيغة إسلامية تواكب العصر لتنقذ المسلمين من براثن الاستعمار الغربى.

أى أنه فى الظروف التى صاحبت إنشاء الدولة السعودية فى القرن العشرين (١٩٠٢ - ١٩٣٢) كانت هناك ثلاثة تيارات فكرية سائدة، الفكر التقليدى السنى الوهابى الذى تعلمه الإخوان وفق المرجعية التى أرساها محمد بن عبد الوهاب والتى تنقل عن ابن تيمية بدون تغيير، ثم على النقيض الفكر العلمانى الذى يريد الفصل التام بين الدين والدولة، والاعتماد التام على الغرب، ويقع فى المنتصف الفكر الإسلامى المعتدل الذى يحاول الاجتهاد فى إيجاد صورة إسلامية تعايش المستجدات، وتفهم النصوص الشرعية من خلال المقاصد الشرعية وأهدافها الكلية، دون التوقف الحرفى مع تفسيرات السابقين من الأئمة، على اعتبار أنهم قد اجتهدوا لعصرهم، ونحن أولى بالاجتهاد لعصرنا.

ومن هنا اختلفت ظروف عبد العزيز عن ظـــروف الدولـــة السعودية الأولى، إذ كان عليه أن يتعامل مع عـــصر مختلـــف سياسياً وفكرياً بنفس درجة الاختلاف بين القرن الثـــامن عـــشر والقرن العشرين.. ومن تتبعنا لعبد العزيز وسياساته تأكد لنا أنه كان يميل فكرياً إلى المدرسة الإنجليزية التى تحاول الاجتهـــاد فى إيجاد صورة للحكم الوهابى تعايش العصر، خـــصوصاً وأن مستشاره المصرى- الإنجليزى- (حافظ وهبة) كان من تلاميـــذ محمد عبده، ومن يقرأ بإمعان ما كتبه حافظ وهبة يجد تأثيره فى تهدئة العلماء وتقبلهم للأفكار والمخترعات الحديثة، وبالتالى فإن عبد العزيز فى توجهه السياسى وهو يتوسع بدولته شبراً شبراً، وفى مواجهته للمكائد السياسية والحربية كان يحتاج إلى فقهـــاء وهابيين من نوع خاص، يؤكدون توجهـــه الـــسياسى باجتهـــاد يستطيع به مواجهة الغرب ومعايشة العصر.

إلا أن عبد العزيز لم يجد هذا العـــون الفقهـــى، بـــل علـــى النقيض واجه معارضة تحولت إلى اقتتـــال، وزاد مـــن حـــدة الخلاف بين الفريقين الاختلاف فى تحديد الأولويات لدى كليهما، ذلك الترتيب الذى تأثر بالفجوة بين رؤية عبد العزيز الـــسياسية الإنجليزية، ورؤية الإخوان الفقهية الحرفية للأمـــر بـــالمعروف والنهى عن المنكر، فالإخوان يرون الأمر بـــالمعروف والنهـــى عن المنكر ثوباً فضفاضاً يتسع لإلغاء كل ما يخالفهم وكل ما لا

يعرفونه، يبدأ بإلغاء المختلف فى الـــدين مـــن أهـــل الغـــرب الإنجليز، وحتى لو أسلم أحدهم وهو فيلبى- الذى كان مستشاراً للملك عبد العزيز- فإن ذلك لا يعفيه من الكراهيـــة والمقـــت، وتمتد هذه الكراهية إلى كل ما يأتى من الغرب من مخترعات لا يعرفونها مثل السيارة واللاسلكى والتليفون والموتوســيكل، ثـــم يمتد الإلغاء إلى المختلف فى المذهب مثل شيعة الأحساء، فكـــل ما يفعلونه منكر يجب إزالته، وهم أيضاً منكر يجب إبعـــاده أو إدخاله فى المذهب الوهابى، ثم يمتد الأمر ليـــشمل الوهـــابيين أنفسهم الذين هم من خارج الإخوان، إذ يجب عليهم أن يهاجروا إلى الهجر كالإخوان، ويرتدوا العمامة دون العقـــال التقليـــدى.. إذن هى سلسلة من النفى والإلغاء تبدأ بالغرب وتنتهـــى بأهـــل المذهب الوهابى أنفسهم، طالما لا يلتزمون بـــبعض الـــشكليات السطحية، إلا أن تلك الشكليات السطحية وغيرها تمثل أولويـــة فى التفكير الإخوانى، وأهم معالم الأمر بالمعروف والنهى عـــن المنكر.

أما رؤية عبد العزيز فهى توازن بين المصالح الإنجليزيـــة، وجمود الوهابية، باعتباره حاكماً له أعوانه ومستشاروه، ولديـــه كل المعلومات المعروف منها والمحظور إعلانـــه، وباعتبـــاره حاكماً يراعى الحقائق السياسية الداخليـــة والإقليميـــة والدوليـــة ويتحرك فى إطارها، فإن حركته فى إقامة المعـــروف والنهـــى

عن المنكر لا يمكن أن تستجيب لرؤية الإخوان عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر نحو الشيعة فى الأحساء، والوهابيين فى المدن، أو فى التعامل مع الإنجليز، والمسلمين الآخرين فى مصر والشام والعراق والحجاز، ومن هنا كانت أولوياته محددة فى إقامة دولته ونجاحها فى توسعاتها ومواجهة مكائد أعدائها، مع المحافظة على المصالح الغربية.

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر استلزم جهاداً حربياً قبل وأثناء الدولة السعودية، ولكن الأولوية المطلقة فى حركة الجهاد لدى الإخوان هى التوسع فى الداخل والخارج، وهذا ما فعلته الدولة السعودية الأولى فى تحركاتها فى العراق والشام فى عصر لم تكن قد تميزت وترسخت الحدود السياسية.. ولأن التكوين الفقهى للإخوان اعتمد على تراث ابن عبد الوهاب المكتوب فى تلك الفترة بنفس اعتماده على تاريخ السعوديين فى دولتهم الأولى، فإنهم لم يستوعبوا التطور الجديد الذى جاءت به التوازنات الدولية بعد الحرب العالمية الأولى، حيث سيطرت إنجلترا وفرنسا على الشام والعراق ومصر وسواحل الخليج، وأصبح لإنجلترا بالذات الكلمة العليا فى المنطقة، فهى التى تخط الحدود، وهى التى تقيم الدول، أو تسقطها، وتتدخل فى كل صغيرة وكبيرة ترى أن لها مصلحة فيها.. وهذا ما يدركه عبد العزيز، ويحتم عليه ذلك أن يتعامل مع الإنجليز (الكفرة) من

أجل مصلحته، بل عليه أن يتوقف بالجهاد عند الحدود التى يتفق معهم عليها خلال المفاوضات، بينما نجد أن المفاوضات مكروهة لدى الإخوان، وتعنى تعاملاً مع المنكر المطلوب إزالته ضمن أهم الأولويات.

على أن هذا الخلاف بين الرؤيتين لم يمنع وجود بعض الاتفاقات أو التنازلات بين الطرفين، ولكل منهما ظروفه، فقد استجاب عبد العزيز مؤقتاً لطلب الإخوان فيما يخص منع اللاسلكى، واتفق معهم فى منع المحمل المصرى، وفى غزوهم للحجاز، كما أنه أنشأ هيئة الأمر بالمعروف فى الحجاز بعد فتحه، ومن تتبعنا لمواقفه مع معارضة الإخوان يتأكد لنا أنه كان يحاول تفادى الضرر وتفادى الاصطدام معهم بقدر ما يستطيع إدراكاً منه إلى أن تكوينهم الفقهى الذى رباهم عليه هو الذى دفعهم إلى هذا التشدد، ولعل اتفاق العلماء معهم فى بداية معارضتهم له، جعله يدرك حاجته إلى علماء من نوع آخر، أكثر ميلاً للاجتهاد العلمى الدينى بحيث يتواكب ذلك الاجتهاد مع اجتهاده السياسى، باعتباره آخر منشئى الدول من لا شئ فى عصرنا الحديث.

الخلاصة :

خلاصة ما سبق أن عبد العزيز قام بتكوين الإخوان مادياً فى

مستوطنات وترتيبات إدارية جديدة وربما حديثة، ولكنه أضاع ذلك عندما اعتمد فى بنائهم الأيدولوجى على فكر ابن عبد الوهاب دون تطوير موافق للعصر، لأنه لم يجد حوله أو خارج المنطقة عالماً مجتهداً متوافقاً معه.. إذ تحتم على عبد العزيز أن يستعين بعلماء نجد لكى يقيم بناء الإخوان عقيدياً على فكر محمد بن عبد الوهاب. وقد تحدثنا فيما سبق عن أسس الفكر الوهابى التى تشربها الإخوان، وأثرت فى حركتهم مع ابن سعود وضد ابن سعود.

والسؤال الذى يفرض نفسه: ما هو التجديد الذى وضعه الإمامان ابن عبد الوهاب وابن سعود لنشر دعوة الإسلام؟.

الفصل السابع

التجديد في فكر الإمامين

ابن سعود وابن عبد الوهاب

بالتجديد يدوم النقاء للدين، وتستمر البراءة للشريعة من الشذوذ الفكرى، ومن الزوائد والإضافات، ومن البدع والخرافات، كما أنه هو الطريق الأوحد لتقرير أحكام الشريعة التى تستدعيها وتطلبها التطورات والتغيرات المستحدثة فى واقع الإنسان، بحكم التطور الذى يحدثه مرور الزمان وتغير المكان، حتى لا يبدو الدين عاجزاً عن مسايرة ركب الحياة المتطور باستمرار.

ولكل هذا قرر الرسول ﷺ وآله فى حديثه: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) "رواه أبو داود".

وهذا الحديث يشير إلى أئمة الهدى الذين يجددون للأمة الإسلامية أمر دينها، ويجمعون شعثها، فتقود الكون شرقاً وغرباً، بحسب الوظيفة التى أهلها الله لها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

والسؤال الذى يفرض نفسه بإلحاح، ما هو الجديد الذى جاء

به محمد بن عبد الوهاب الذى يسميه أتباعه إمام التوحيد، ومحمد بن سعود الذى يسميه أتباعه إمام الوحدة لأنه- كما يقولون- وحَّد الجزيرة العربية، لنفع المسلمين وتقدمهم، وحل مشكلاتهم؟!.

أولاً: كراهية المسلم

يتحدث القرآن عن كراهية المشركين المعتدين الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم وآذوهم وقاتلوهم بسبب أنهم اختاروا ديناً غير دين الأجداد [(البقرة: ٢١٧)، (التوبة: ٨- ١٥، ٢٣- ٢٤)، (الأنفال: ٣٠، ٣٨- ٤٠)، (المجادلة: ٢٠- ٢٢)، (الممتحنة: ٨- ٩)]، أى: أن مقياس الكراهية هو الاعتداء والظلم، أى: أن المشرك الذى لا يعتدى ولا يظلم فلا مجال لكراهيته أو الاعتداء عليه، وبالتالى فإن القتال هو لرد الاعتداء بمثله، وليس للاعتداء على المسالمين (البقرة: ١٩٠- ١٩٤)، وعلى هذا الأساس سارت سيرة النبى الحقيقية، أما السيرة التى دونها العصر العباسى فهى تعكس تصورهم للنبى من واقع الطبيعة البدوية، ووصل هذا التصور بالتطور والتواتر إلى ابن عبد الوهاب، فأفتى بكراهية الآخر ليس من أهل الديانات الأخرى، ولكن المختلف بالتدين داخل المسلمين، أى: ممن أسماهم المشركين، داخل الجزيرة العربية وخارجها، من الصوفية والشيعة، فى إطار الصراع التيمى الوهابى مع

الصوفية والشيعة، وعلى هذا الأساس كان فهمه لآيات القــرآن التى تتحدث عن المشركين، فلم ير فى المشركين إلا المــسلمين مخالفيه فى المذهب والعقيدة، يقول ابــن عبــد الوهــاب: (إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض)[١].

ويربط بين الكراهية والتكفير للآخرين فيقول: (فالله الله يــا إخوانى تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره، وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله، واعرفوا معناها، وأحبوهــا وأحبــوا أهلهــا، وأحبوا إخوانكم، ولو كــانوا بعيــدين، واكفــروا بالطواغيــت وعادوهم وابغضوا من أحبهم أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال: ما كلفنى الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، فقد كلفه الله تعالى بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة مــنهم، ولــو كانوا إخوانهم وأولادهم، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين)[٢].

ويؤكد نفس المعنى فى الربط بين الكراهية والتكفير للآخر، فيقول: (فإذا قيل لك إيش دينك؟ فقل: دينى الإســلام، وأصــله وقواعده أمران.. الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شــريك لــه،

---

١) كتاب كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب.

٢) رسالة تفسير كلمة التوحيد: ٣٥.

والتحريض على ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه، والثانى: الإنذار عن الشرك فى عبادة الله والتغليظ فى ذلك والمعاداة فيه وتكفير من فعله)[1]، وقال عن معنى اكفروا بالطاغوت: (أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديها)، وقال عن معنى الإيمان: (أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون سواه وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم)[2].. والموالاة فى تشريع القرآن تأتى بمعنى التحالف الحربى عندما يعتدى المشركون على المسلمين المسالمين وليس بالاعتداء على المسلمين المختلفين فى العقيدة، ولكن أخذ ابن عبد الوهاب بالتراكم الفقهى فدعا إلى كراهية الآخر المختلف معه فى العقيدة والمذهب حتى ولو كان مسلماً أو مسالماً.

وقد نفذ الإخوان هذه التعليمات بدقة، إذ كانوا لا يسلمون على الآخرين، ولا يردون عليهم السلام.

ثانياً: التكفير للمسلمين

حكم ابن عبد الوهاب بكفر الشيعة كلها، واعتبر بلادهم بلاد

---

١) رسالة تلقين أصول العقيدة العامة: ٤١.

٢) رسالة معنى الطاغوت: ٤٣.

حرب، وقال: (وإن كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلاد المسلمين)[1].

وحكم بتكفير الجميع بمجرد كلمة، مثل ابن تيمية، يقول: (إن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه لله كما يظن المشركون)، واستدل على ما قاله السابقون فى بيان حكم المرتد والمسلم الذى يكفر بعد إسلامه، ثم ذكر أنواعاً كثيرة يترتب عليها الكفر واستحلال الدم والمال، منها أشياء يسيرة عند من يفعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزاح)[2].

واتجه ابن عبد الوهاب إلى أهل عصره ليحكم بكفرهم ويؤكد على أنهم أشد كفراً من الكفار السابقين يقول: (إن شرك الجاهلين السابقين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين، أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان

---

١) رسالة كشف الشبهات: ١٢.

٢) كشف الشبهات: ٥، ١٢.

مع الله إلا فى الرخاء، وأما فى الشدة فيخلصون له الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٦٧)، الأمر الثانى: إن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أحجاراً أو أشجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً أفسق الناس)[١].

واحتج على علماء عصره الذين يسمون البدو مسلمين، ويقولون بحرمة دمائهم وأموالهم، مع أن أولئك العلماء حسبما يقول ابن عبد الوهاب يقرون بأن البدو تركوا الإسلام وأنكروا البعث ويتسهزئون ممن يؤمن بالبعث، ويقول ابن عبد الوهاب على علماء عصره: (ومع كل هذا يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ولو جرى منهم كل ذلك، لأنهم يقولون لا إله إلا الله).. ثم يقارن بينهم وبين المرتدين فى خلافة أبى بكر، ويجعل بدو عصره أكثر كفراً من المرتدين السابقين، ثم يقول عن العلماء: (ثم يفتى هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء البدو مسلمون ولو صرحوا بذلك كله طالما قالوا لا إله إلا الله، سبحانك هذا بهتان عظيم، ويحكى أن بدوياً جاء إليه وسمع شيئاً

---

١) كشف الشبهات: ١٠، رسالة تفسير كلمة التوحيد: ٣٥، رسالة أربع قواعد للدين: ٣٩.

من الإسلام، وقال: أشهد أننا كفار، يعنى هو وجميع البوادى، وأشهد أن المطوع- الفقيه- الذى يسمينا أهل الإسلام أنه كافر)[1].

ثالثاً: استحلال دم المسلم وماله ونسائه

ويرتبط التكفير باستحلال الدم والمال فى فكر ابن عبد الوهاب، ويربط فى أسلوبه بين كلمتى (الكفار) ووصف (الذين قاتلهم رسول الله) ليجعل الكفر مرتبطاً باستحلال الدم، وليفسر غزوات النبى بأنها كانت للإكراه فى الدين وإجبار المشركين على الدخول فى الإسلام خلافاً لحقائق الإسلام.. ونعطى بعض أمثلة لما تناثر بين سطور محمد بن عبد الوهاب فى الربط بين الكفار واستحلال دمائهم: (القاعدة الأولى) من أربعة قواعد تميز بين المؤمنين والمشركين يقول عنها ابن عبد الوهاب: (أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت.. وما أدخلهم ذلك إلى الإسلام).. والقاعدة الثالثة: (أن النبى ﷺ ظهر على أناس متفرقين فى عبادتهم، وقاتلهم النبى ﷺ وما فرق بينهم)[2].. واستدل بقوله

---

١) رسالة ستة مواضع منقولة من السيرة: ٣١، ٣٢.

٢) رسالة أربع قواعد منقولة عن الدين تميز بين المؤمنين والمشركين: ٣٧، ٣٨.

تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣)، وفهم معنى الفتنة بالمفهوم التراثى السياسى الذى يعنى الحروب والثورات، مع أن معنى فتنة فى القرآن هى الاضطهاد فى الدين فيما يخص علاقة الناس ببعضهم البعض، كقوله تعالى عن المشركين الذين كانوا يضطهدون المؤمنين ويقاتلونهم ليجبروهم على الرجوع إلى عبادة الأسلاف: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، وقوله تعالى عن تعذيب وحرق أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ (البروج: ١٠)، وكقول بعض المنافقين للنبى يطلب منه أن يأذن له بالتخلف عن المسير للجهاد الدفاعى ولا يجبره عليه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة: ٤٩)، أى: ائذن لى ولا ترغمنى على الخروج، والفتنة فى تعامل الله تعالى مع الناس هى الاختبار والامتحان ولذلك سقط المنافقون فى امتحان الإيمان فقال تعالى عنهم: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، وقال عن الابتلاء بالخير والشر: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

ونعود إلى ابن عبد الوهاب وهو يفهم الآية فهماً تراثياً عكس مفهومها القرآنى، فالآية ﴿وقاتلوهم﴾ تجعل المقصد الأصلى من القتال هو منع الاضطهاد فى الدين حتى يكون الناس أحراراً فى

اعتناق ما يشاؤون بلا ضغط أو إرغام، وبهذا يتحقق الابـــتلاء والاختبار الذى خلقنا الله تعالى من أجله، ويكون الدين علاقـــة خاصة بين العبد وربه، وهو وحده الذى يحاسب النـــاس علـــى اختيارهم الحر يوم القيامة أو يوم الدين، وهذا معنـــى ﴿وَيَكُـــونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩). أما الفهم التراثى السائد فهو الأمر بالقتال للمشركين المخالفين فى المذهب حتى ولو كانوا مسلمين مسالمين لمنع العصيان والثورة، وفى الحقيقة يكون الدين حينئذ لأصحاب السلطان الذين يستخدمون الدين أو المـــذهب لتأكيـــد سلطانهم وليس لله تعالى الذى خلق الناس أحراراً فى اعتقـــادهم ليكونوا مسؤولين أمامه يوم القيامة على اختيارهم.

وبالتطبيق العملى لهذه الفتاوى فإن الحكم عام باستحلال قتل الجميع وسلب أموالهم وانتهاك أعراضهم، الجميع ما عدا أتبـــاع محمد بن عبد الوهاب طالما لم يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفـــوا وعارض بعضهم بعضاً فإن تلك الفتاوى ستجد مجال عملها فيما بينهم، على أن هذه الفتاوى أتت أكلها فى عصر الدولة السعودية الأولى، وبها تحول الغزو إلى جهاد إسلامى بناء علـــى تكفيـــر أصحاب البلاد المجاورة من المـــسلمين، واســـتحلال دمـــائهم وأموالهم وأوطانهم، ثم أعاد عبد العزيز زخم الفكـــر الوهـــابى حين أنشأ على أساسه حركة الإخوان فى القرى أو الهجر، حيث كانوا ينقطعون للعبادة والتدريب الحربى وحفظ مؤلفات ابن عبد

الوهاب والاستماع إلى دروس المطوعة، وهم فقهاء نصف أميين تلقوا العلم على أيدى علماء لا يسمع عنهم أحد خارج الجزيرة العربية، ولكن أولئك العلماء هم الذين كونوا الأيدولوجية الفكرية للإخوان، وجعلوا فتاوى محمد بن عبد الوهاب تتحول إلى واقع بالنار والدم فى العقدين الثانى والثالث للقرن العشرين.

الحرب تجسد البناء الأيديولوجى للإخوان:

تثقيف الإخوان فى الهجر توزع بين الصلاة وقراءة السيرة النبوية فى الجهاد ورسائل الفكر الوهابى، وكانت الحرب هى التجسيد الحى لهذا التثقيف، ففى المعركة يشعر الإخوانى أنه على وشك اجتياز الحاجز بين الدنيا والآخرة، والحرب ليست فقط المنفذ الوحيد لدخول الجنة، بل هى أيضاً المخرج الوحيد للخروج من الحياة الرتيبة داخل الهجر، وهى المحك العملى لما يتعلمونه فى صلاتهم وتثقيفهم.

وصيحاتهم أثناء المعركة عكست هذه الأيدولوجية، ومنها (هبت هبوب الجنة.. وين أنت يا باغيها.. أنا خيال التوحيد.. أخو من أطاع الله.. بيِّن رأسك يا عدو الله.. أهل التوحيد أهل التوحيد.. أهل العوجاء أهل العوجاء) (أى: أهل الرياض)..

وعند افتتاح الهجوم يصيحون: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾)[1].

وعقيدتهم فى التشوق للجنة واعتبار الحرب هى القنطرة التى توصلهم للجنة تتجلى فى صياحهم: (هبت هبوب الجنة وين أنت يا باغيها) وموالاة أنفسهم أو التعصب الذاتى وتكفير الآخر واستحلال دمه يظهر فى قولهم: (أنا خيال التوحيد أخو من أطاع الله.. بيِّن رأسك يا عدو الله).

ومعنى أنهم يبدأون الهجوم بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن الجهاد أصبح قرين الصلاة لديهم.. إذ تداخلت فريضتا الصلاة والجهاد ضد المسلمين لديهم.. ففى كل هجرة توجد أسماء الرجال، وهى تراجع قبل كل صلاة، كما تراجع أيضاً قبل كل غزوة، والمتخلف عن الصلاة وعن القتال عقوبته الموت، وحين يؤدون فرض الصلاة يتخذون الشكل العسكرى، إذ تظل البنادق مرافقة لهم حتى داخل المسجد ولكن تكمم أفواها، وتظل مدلاة فى أجنابهم أو توضع أمامهم فى الصلاة، ثم يقفون فى صفوف متماسكة خلف الإمام فى الصلاة[2].. وخلفه فى القتال، وإمامهم فى الصلاة هو قائدهم فى الحرب.

---

١) حافظ وهبة: الجزيرة العربية فى القرن العشرين: ٢٩٥، الريحانى: ملوك العرب ٨٢/٢، تاريخ نجد ٢٢٢.

٢) الريحانى: تاريخ نجد ٢٥٦.

ونأخذ تطبيقاً لذلك مما حدث فى موقعة (تربة) أشهر معارك الإخوان والتى هزموا فيها أقوى جيش للشريف حسين.. يقول عبد العزيز يصف المعركة: (كان لدى الشريف حسين عشرة آلاف جندى متمركزين فى المدينة، وسبعة آلاف جندى فى الحجاز، إضافة إلى عشرين مدفعاً وأربعين رشاشاً ومؤن وذخيرة يحملها عشرة آلاف جمل، بينما وصل عدد الإخوان إلى حوالى ألفين، كان من بينهم خمسمائة أخ بدون سلاح اللهم إلا السيوف والخناجر.. كان الشريف حسين قد حفر خنادق يكفى عمق الواحد منها لتغطية قامة رجل من الرجال، وأقام تحصينات، كما قام أيضاً بوضع المدافع والرشاشات فى كل موقع من المواقع، وقد بدأ الإخوان تقدمهم عند منتصف الليل، وبعد أن أدوا صلاة الفجر استعانوا بـ (لا إله إلا الله) على مدافع الشريف حسين، وبدأوا الهجوم عليه فى الصباح، واستمرت المعركة طوال النهار بكامله والليلة الثانية إلى الباقية..) وعن نفس الموقعة يقول من الجانب الآخر من الهاشميين الشريف عون بن هاشم، وقد شهد الموقعة وهو فى الخامسة عشر من عمره وعاش بعدها، يقول للريحانى: (رأيت الدم فى تربة يجرى كالنهر بين النخيل، فبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء، رأيت القتلى فى الحصن متراكمة، ومن أعجب ما رأيت، رأيت الإخوان أثناء المعركة

يدخلون الجامع للصلاة ثم يعودون للقتال!..).. والارتباط بين قتال المسلمين والصلاة لا يظهر فقط فى افتتاح القتال بالفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وليس فقط بإطلاق الرصاص مفاجأة كالأذان- أذان الوهابية المفزع- للصلاة، وإنما يظهر هذا الارتباط أيضاً بمواقيت القتال التى جعلوها أشبه بمواقيت الصلاة، وتميزت بذلك عن غارات البدو العادية.

وقد جعلوا للقتال مواقيت أربعة، الصباح أو التصبيح فى الصباح.. والغارة أو اللقوة، وهى فى الضحى، والرباح أى: التراويح بعد الظهر، والهجاد أو المجهاد فى الليل مما بين غروب الشمس إلى طلوع فجر اليوم التالى، ومعركة تربة تنتمى للنوع الأخير[1].

وهذا الارتباط الدينى والعقائدى بين قتال المسلمين والصلاة أدى إلى تحول القتال إلى استحلال ومذابح، وهذه المذابح شملت النساء والأطفال، وأدت بدورها إلى شهرة سيئة للإخوان نشرت الفزع منهم، مما ساعد على سهولة استيلاء عبد العزيز على بعض المدن كما حدث فى ضم مكة والمدينة وجدة.

وكان الإخوان أنفسهم ضحايا هذه المذابح، إذ اشتهروا بالتهور، وهذا منطقى طالما يعتقدون أن الجنة تنتظرهم بما فيها

---

١) أم القرى: العدد ٣٠٢، ١٩٣٠/٩/١٩م.

من نعيم وحور عين، وليس بينهم وبينها إلا الموت والقتل، على نحو ما يتردد فى كتب ابن عبد الوهاب، وساعد على هذه الروح هتافاتهم الحماسية بالتقدم نحو الجنة، كما ساعد على ذلك أيضاً هجومهم العشوائى بأسلحة بدائية أمام أسلحة حديثة مثل المدافع والرشاشات والمركبات الحربية، وحدث هذا عندما واجهتهم الأسلحة البريطانية فى جنوب العراق وشرق الأردن[١]. أى: عندما خرجوا خارج نطاق الجزيرة العربية.

أما المذابح التى أقامها الإخوان لخصومهم فالحديث عنها يطول، ورأينا جانباً منها فى روايتين لابن سعود والشريف عون ابن هاشم عن موقعة تربة.

والواقع أن الإخوان كانوا يهجمون على الهدف (المسلمون) بشكل خليط همجى من الرجال والخيول والإبل والمشاة، يدمرون معسكر العدو ويقتلون كل من يجدونه من البشر دون رحمة، فإذا كان الهدف مدينة أو قرية أضيف الأطفال والنساء والشيوخ إلى قائمة الضحايا، ففى هجومهم على الكويت فى معركة الجهرة قتلوا النساء سنة ١٩٢٠، ونفس الحال فى هجومهم على ثريب فى شرق الأردن سنة ١٩٢٤م، وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ عندما افتتحوا الطائف فى

---

١) خلة: محمود كامل: التطور السياسى فى المملكة الأردنية ٣١٧، ٣١٨.

١٩٢١/٩/٧م، وسجل المراقبون الأجانب أن الإخوان لا يحتفظون بالأسرى وإنما يذبحون كل من يقع فى أيديهم، وكانت الدعوات للانضمام إلى الوهابية أو الإسلام الجديد تحمل التهديد بالإعدام لمن لا يستجيب، وتقول إحداها: (إن من ينضم إلينا يأمن على ممتلكاته وأسرته)، وقيل عنهم: إنهم ظلوا لعدة سنوات لا يخيفون الأطفال وحدهم وإنما الكبار أيضاً.. وقد قتلوا جميع الرجال والنساء والأطفال فى المنطقة ما بين المويلة وشرق الأردن، وقد أدت هذه الوحشية إلى إنشاء البريطانيين قلعة بسية التى كانت سبب المعارضة السياسية والحربية بين الإخوان وعبد العزيز، وقد اعترف اثنان من الإخوان الأحياء إلى جون حبيب، فقالا: إنهما شاركا فى الغارة التى توغل فيهل الإخوان داخل العراق، وقد استغرقت المسيرة عشرة أيام، وأنهما فيما بينهما قتلا حوالى ألف شخص مسلم، وكان القتال يجرى ليل نهار، وأنهما لم يناما سوى ثلاث ساعات فقط فى اليوم، وكان طعامهما من التمر والخبز والقهوة.

وذيوع شهرة الإخوان بهذه الوحشية وقتل المدنيين المسلمين المسالمين بدون تمييز كان من عوامل الخلاف والتعارض الظاهرى بينهم وبين عبد العزيز الذى حاول أن ينبههم إلى أن ذلك سيؤلب عليهم العالم الإسلامى!!.

بعدما قرأ فيصل الدويش ورفاقه فكر ابن عبد الوهاب أرادوا أن يكرروا ما فعلوه فى الطائف وفى المدينة وجـدة.. وحـين رفض عبد العزيز انسحب الدويش غاضباً.. وكانت بداية مرحلة حاسمة للمعارضة الإخوانية.. وعندما تمردوا وهاجموا إخوانهم الوهابيين من أتباع عبد العزيز، فإنهم قتلوا الـشيوخ والنـساء والأطفال كما ذكر حافظ وهبة، القائل تحت عنوان (الإخـوان): (إذا ذكر الإخوان على حدود العراق أو شرق الأردن أو الكويت استولى الرعب على قلوب الـسكان، وهـب البـدو يطـوون الصحراء لائذين بـالبلاد القريبـة مـنهم يحتمـون بجـدرانها وأبراجها، فهم رسل الذعر والرعب فى بـلاد العـرب).. ثـم انطلق فى التاريخ لهم إلى أن قال: (وقد ظهرت قـوة الإخـوان الحربية فى هزيمة أهل الكويت هزيمة منكرة فى موقعة حمض سنة ١٩١٩م، ثم فى حصار شيخ الكويت فى الجهـرة ١٩٢٠، وفى إبادة جيش الشريف عبد الله فى موقعة تربة ١٩١٩م، وفى هجومهم المتكرر على العراق والكويت وشـرق الأردن)، ثـم يشير حافظ وهبة إلى أن بعض هذه الغزوات والغارات كانـت بدون إذن عبد العزيز فيقول: (وبالرغم أن إمامهم كان ينهـاهم كثيراً عن هذه الغزوات، وأنه كان يأمرهم بالرفق وعدم القتـل، وعلى الرغم من أن علماءهم كانوا يوصونهم بعدم قتل الأسـير أو المستجير، فإنهم لم يصغوا لأحد.. وأن مـن يقـرأ رسـائل

العلماء فى الإنكار عليهم وعلى أنصاف المتعلمين الذين سمموا أفكارهم يرى أن علماء نجد لم يقصروا فى النصيحة، ويعلم أن ما يأتيه بعض الإخوان مما تأباه طبائع العرب ولا تقره الشريعة الإسلامية، ولا يصح أن تلقى بتبعته على علماء نجد أو الملك عبد العزيز)[1].

وهذه الكلمات الدبلوماسية لمستشار الملك عبد العزيز تستحق بعض التعليق، فالواضح أنه يريد تبرئة الملك عبد العزيز وعلماء نجد من المسؤولية، وقد أوضح الملك عبد العزيز موقفه فتمرد عليه الإخوان وكفروه، أما علماء نجد فقد كانوا إلى جانب الإخوان حتى أظهر لهم الملك عبد العزيز أنيابه فاضطروا إلى الإنحياز إليه، أما المطوعة وفقهاء الإخوان، فقد ظلوا مع الإخوان حينما تحدد الاختيار بين نجد أو الإخوان، أو بين الوهابيين التقليديين الحضريين والإخوان البدو الصحراويين.

ويقول: (إن ما يأتيه بعض الإخوان مما تأباه طبائع العرب ولا تقره الشريعة الإسلامية) والصحيح أن الشريعة الإسلامية الإلهية ترفض قتل المدنيين، كما ترفض قتال من لم يعتد ولم يبدأ فى القتال، ولكن طبائع العرب عرفت نوعاً من الشرعيات البشرية التى تمسحت بنوعيات من التدين استحلت قتل الأطفال

---

١) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين: ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٧.

والنساء فى العصور الوسطى، وأتت هذه الشرعيات من نفس المنطقة، من نجد وما حول نجد، لقد عاش شيخ المؤرخين العرب محمد بن جرير الطبرى وأدرك بداية القرامطة ورأى على الطبيعة تخريبهم للعراق والشام، ولعل ذلك ما يجعله يخشى على حياته ويوجز التاريخ فى السنوات الأخيرة من تاريخه، ومع هذا يقول بإيجاز سريع عن القرامطة: (وفى هذه السنة- ٢٨٦ هـ- ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبى سعيد الجنابى من البحرين، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب القرامطة، وكان خروجهم فى ما ذكر فى أول هذه السنة وكثر أصحابهم فى جمادى الآخرة، وقوى أمره فقتل من حوله من أهل القرى).. أى: قتل كل الأحياء فى القرى.. ثم يتحدث الطبرى عن غزوات ابن زكرويه القرمطى فى الشام سنة ٢٩٠ هـ، وكيف أطاعه أهل البوادى وغيرهم فاشتدت شوكته، وصار إلى دمشق وصالحه أهلها على خراج يدفعونه إليهم فانصرف عنهم، ثم سار إلى أطراف حمص فتغلب عليها وخطب له على منابرها وتسمى بالمهدى، ثم سار إلى حماة ومعرة النعمان وغيرهما، فقتل أهلها وقتل النساء، ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق منهم فيما قيل إلا اليسير، ثم سار سلمية فحاربه أهلها ومنعوه من الدخول، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فدخلها فبدأ بمن فيها من بنى

هاشم، وكان بها منهم جماعة فقتلهم، ثم ثنى بأهل سلمية فقتلهم أجمعين، ثم قتل البهائم ثم قتل صبيان الكتاتيب، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف، وسار فيما حوالى ذلك من القرى يقتل ويسبى ويحرق ويخيف السبيل)[1].

إذن اعتاد العرب أن يفعلوا ذلك تحت شرعية بشرية تحترف التدين وتستحل به دماء الأبرياء حتى الأطفال والنساء، وبدون هذه الشرعية الدينية احترف البدو فى العصور الوسطى السلب والنهب بالطريق (العلمانى) أى بدون مبرر دينى، وكان الأطفال والنساء والشيوخ من بين الضحايا أيضاً، خصوصاً فى قوافل الحج، مع أن الشرعية الإلهية تؤكد على حصانة الحجاج أثناء سيرهم إلى الحرم، بالإضافة إلى حصانة الحرم فى حد ذاته (المائدة: ٢).

والفارق بين غارات الأعراب العادية أو (العلمانية) وجهاد الأعراب تحت شرعية دينية بشرية، أن غارات الأعراب العاديين كانت تستهدف السلب والنهب أساساً ولا تلجأ إلى القتل المباشر إلا مضطرة، فإذا تبين للأعراب أن القافلة تستعصى على الإغارة أعرضوا عنها، وإذا اشترت منهم القافلة سلامتها بالأموال سارت فى حماية الأعراب أنفسهم، ويختلف الأمر مع

---

١) تاريخ الطبرى: ١٠ / ٧١ – ١٠٠.

جهاد الأعراب أنه يستهدف الإبادة جنباً إلى جنب مع السلب والنهب والتدمير.. وقد أعطينا مثالاً ساطعاً رواه شيخ المؤرخين الطبرى، وكان شاهداً عليه يوضح طبيعة الجهاد القرمطى لابن زكرويه الذى تسمى بالمهدى وهو لقب دينى، وهو لا يختلف كثيراً عن جهاد الإخوان فى عهد عبد العزيز الذى رصده حافظ وهبة وغيره من المؤرخين المعاصرين له.

وبقى أن نذكر شهادة أخرى لغارات البدو (العلمانية) فى القرن الخامس الهجرى، وقد ذكرها أشهر مؤرخى عصره عبد الرحمن بن الجوزى، وقد حدثت هذه الغارة سنة ٥٤٥هـ، وعاش ابن الجوزى إلى أن مات ٥٩٧هـ، وكان فى الخامسة والثلاثين من عمره فى ذلك الوقت، وذكر الحادثة فى تاريخه المنتظم، وملخصها أن العرب بعثوا يطلبون الإتاوة فرفض الحجاج واستمروا فى سيرهم (فخرج عليهم العرب بعد العصر ليوم السبت رابع عشر من محرم- لاحظ أنه شهر حرام- فقاتلوهم، فكثرت العرب، فأخذوا من الثياب والأموال والأجمال والأحمال ما لا يحصى، وأخذوا من الدنانير ألوفاً كثيرة، فتحدث جماعة من التجار أنه أخذ من هذا عشرة آلاف، ومن هذا عشرون ألفاً، ومن هذا ثلاثون ألفاً، وأخذ من خاتون أخت سعود ما قيمته ألف دينار، وتقطع الناس وهربوا على أقدامهم يمشون فى البرية، فماتوا من الجوع والعطش والعرى، وقيل: إن النساء

طيَّنَّ أجسامهن بالطين لستر العورة)[1].. ومع شناعة الوصف، فإن الواضح أن اهتمام البدو بالسلب والنهب وليس بالقتل، ولو كان أولئك البدو متدينين أصحاب عقيدة تستحل الدماء وتجعله جهاداً لتكفلوا بقتل الجميع.

مفهوم الجهاد:

والخلاصة: إذا كان مفهوم الجهاد عند المسلمين هو إفراغ ما فى الوسع لمحو ما لا يرضاه الله ورسوله والأئمة الصالحون، وبشرط أن يكون فى سبيل الله ومع غير المسلمين المعتدين.. فإن مفهوم الجهاد عند الوهابية أنه ضد المخالفين للفكر الوهابى من المسلمين، ومن أجل الزعامة وسلب المال وهتك الأعراض.

رابعاً : التزمت أو التشدد

التزمت هو الإفتاء بتحريم الحلال أو المباح بناء على ثقافة التعصب والتطرف، فالمخترعات الحديثة التى يكرهها المتعصب تصبح حراماً ورجساً من عمل الشيطان.

والوسائل والأدوات ومنها المخترعات لا شأن لها بالحرام ولا بالحلال لأنها محايدة، ولكن الحكم الشرعى يلحق باستخدامها وبمن يستخدمها، فالسكين ليست حراما أو حلالا،

---

١) المنتظم لابن الجوزى: ١٨ / ٧٨.

ولكن حين نستخدمها فى الدفاع عن النفس ضد قاتل ظالم فليس ذلك حراما، ونفس الحال مع البندقية، وحتى مع الرجل ومع المرأة فى العلاقات الجنسية فى الزواج أو فى الزنا.

وعموما فإن المحرمات فى تشريع الإسلام هى استثناءات، فمحرمات الزواج محددة، وبعدها يقول تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ (النساء: ٢٤). أى كل النساء خارج المحرمات هن حلال للزواج، وتلك المحرمات استثناء من الإباحة وهى الأصل. وفى الطعام يؤكد القرآن على تحريم أربعة أنواع فقط وهى الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله له (البقرة: ١٧٣، النحل: ١١٥، الأنعام: ١٤٥) وشرح هذه المحرمات فى (المائدة: ٣). وأباح الأكل منها للمضطر الذى لا يستحل أكلها، ونهى عن تحريم الحلال المباح خارج تلك المحرمات (البقرة: ١٦٨، ١٧٢، النحل: ١١٦، المائدة: ٨٧، يونس: ٥٩).

إلا أن شرعيات التطرف والتعصب تلقى بظلالها على التشريع البشرى فتحرم الحلال وتستبيح الدماء والأموال، ومن هنا تتكاثر التحريمات للحلال إلى أن يصبح الحلال هو الاستثناء، والخطر والتقييد هو القاعدة بالتناقض مع القرآن وتشريع الإسلام.

والمذهب الحنبلى السنى بالذات اشتهر بالتزمت، حتى إن مصطلح حنبلى يطلق فى الثقافة المصرية على كل متشدد، ثم جاء الإخوان فأتاحوا للتشدد الحنبلى التطبيق بالدم والعنف.

فالموسيقى حرام، وهى من أصوات الشياطين، ولا يسمع من آلات الموسيقى إلا دقات الطبول والدفوف عند الجهاد، أما غير ذلك فلا يجوز، ومن هنا نفهم استنكارهم للمحمل المصرى وما يصحبهم من موسيقى دينية، وقد اعتبرها الإخوان وعلماؤهم منكراً محرماً، ولهذا يجب منعه، وامتد هذا إلى الحياة الاجتماعية من منع حفلات الزواج التى تستمر أسابيعاً.

واشتهر الإخوان بقتل من يرونه يدخن لأنهم بالغوا فى تحريمه، ومع تزمت الإخوان بتشديد التحريم فى الدخان، ومع التزام عبد العزيز فى تحريم الدخان، إلا أن الدخان فرض نفسه سياسيا بعد فتح جدة، وأحدث أول صدع بين الشعارات والممارسة السياسية، فقد أصدر الملك عبد العزيز أمرا بحرق الدخان الموجود بمخازن جدة، ولكن التجار هرعوا إلى الملك يخبرونه بما أفزعه، وهو أن الدخان الذى يأمر بحرقه ثمنه مئة ألف جنيه، واستفظع الملك أن يكبد رعاياه فى أول عهده خسارة بهذا المبلغ، وهو الذى أعطى امتياز نفط المنطقة كلها بألفى جنيه فقط، فكيف يسمح بخسارة أخرى قدرها مئة ألف جنيه،

فسمح لهم ببيعه على أن لا يستوردوا غيره، وبيعه يعنى تدخينه، فلما لان الجو تشجع التجار- وهم يوجهون السياسة فى كل زمان ومكان- فتحدثوا عن إيرادات الحكومة من الدخان والضرائب التى يجنيها الإمام ابن سعود من هذه الإيرادات، والتى يمكن أن تشكل موردا رئيسيا من موارد الدولة، فأباح استيراده لأهل الحجاز، ومن هنا كان احتجاج الإخوان على المكوس والضرائب المفروضة على أهل الحجاز، ليس حبا فى أهل الحجاز ولكن بسبب الدخان، وأخيرا أفتى لهم بعض العلماء بأن الدخان مكروه وليس من الكبائر (وهكذا شرب أهل جدة الدخان لدعم الإخوان فى نجد)[١].

وهكذا أدخل فتح الحجاز شرخاً هائلا فى المملكة الوليدة، بكل ما يمثله الحجاز من انفتاح على العالم، بينما رجع الإخوان إلى نجد يمارسون التزمت على المسلمين وينشرونه، ويقيمون حجرا صحيا دينيا لمن يريد الدخول إلى الأرطاوية آتيا من الخارج حتى ولو كان من أهلها، ويذكر جون حبيب أنهم أخبروه أن امرأة شابة أحضرت معها بعض البن من الكويت، وتصادف ذلك زيارة جون حبيب إلى الأرطاوية. وقد عرضت ذلك البن على فقيه الأرطاوية: هل يجوز استعماله شرعا؟.

---

١) جلال كشك، السعودية والحل الإسلامى: ٧٢١، ٧٢٢.

ويقول جون حبيب: إنه حتى هذا اليوم (مـــارس ١٩٦٨) لا يسمح للنساء فى الأرطاوية بالتسوق فى السوق، وبدلا من ذلـــك تتجمع النساء أمام سلم المسجد الكبير حيـــث يعـــرض التجـــار بضائعهم، تحت رقابة أهل المسجد، وإلى يومنا هـــذا- حـــسبما يقول حبيب- فلا يسمح للمرأة أن يسمع النـــاس صـــوتها فـــى الشوارع، وإذا ما أرادت أن تنادى على امـــرأة أخـــرى وســـط الناس فإنها تصفق بيديها، وأرادت إحدى بنات الملك ســـعود أن تدخل سوق البلدة فى مارس ١٩٦٨ فقام جمهـــور الحاضـــرين بتحطيم سيارتها، وأرغموها على التراجع، وقد أيد الملك سعود قرار الجمهور، وأنب ابنته علـــى محاولتهـــا الخـــروج علـــى تقاليدهم[١].

وبعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١م ظهرت مشكلة تحريم قيادة النساء السعوديات للسيارات، بالرغم من سماح علماء الوهابيـــة للمجندات الأمريكيات بقيادة السيارات داخـــل المملكـــة، وفـــى سبتمبر ٢٠٠٤م دار الخلاف بشدة حـــول جـــواز إدلاء المـــرأة بصوتها فى انتخابات البلديات أم لا؟!!.. أى أن التشدد والتزمت فى دين الوهابية يكون مع المسلم، بينما التسامح والرحمة والعفو تكون مع غير المسلم!!.

---

١) حافظة وهبة، جزيرة العرب فى القرن العشرين: ٢٩٩.

على أن التدخين ما لبث أن فرض نفسه منذ عهد عبد العزيز، وليس فقط فى جدة والحجاز، ولكن عبد العزيز نفسه بعث بعلبة سجائر هدية إلى ديكسون- المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت- عندما زاره فى الأحساء سنة ١٩١٩م، وهى هدية ذات مغزى، ثم ما لبثت أن دخلت السجائر بعض الهجر، حتى أن جون حبيب يذكر أن الأرطاوية نفسها كان التدخين فيها محرما فى الأماكن العامة سنة ١٩٦٨[١]. أى ليس فى الأماكن الخاصة، وبالتأكيد أن قائمة المحرمات قد تراجعت كثيرا مع غياب الإخوان.

خامسا: آيات القرآن على الكفار يطبقونها على أهل الشهادتين

روى البخارى عن ابن عمر أنه قال فى وصف الخوارج: (إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها على المؤمنين)[٢].

وورد عن ابن عباس أنه قال: (لا تكونوا كالخوارج، تأولوا آيات القرآن فى أهل القبلة، وإنما أنزلت فى أهل الكتاب والمشركين، فجهلوا عملها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال).

---

١) جون حبيب، الإخوان السعوديون: ١٠٤.

٢) صحيح البخارى كتاب استتابة المرتدين باب ٥.

– وهذا هو شأن التجديد عند الوهابية، انطلقوا إلى الآيات النازلة فى عبدة الأوثان فجعلوها على المؤمنين، بهذا امتلأت كتبهم، وعليه قام مذهبهم.

يسردون فى كتبهم كل آية نزلت فى الأصنام وعابديها، ثم يحملون الأصنام على من انتقل إلى البرزخ من الأنبياء والصالحين، ويحملون عابدى الأصنام على أهل القبلة الموحدين، المتوسلين إلى الله بأحبابه (وهذا منطق لا يقره عقل ولا دين، ولا مجرد الخلق الكريم).

* كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٤).

* وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨).

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٣).. إلخ.

وحاصل ما موهوا به فى هذه الآيات ونحوها، أن الناس قد أطبقوا على دعاء صالحى أهل القبور وندائهم (كما يقولون)، وكل دعاء عبادة، وفاتهم أن هذا القياس، إن صدقت صغراه،

فقد كذبت كبراه، فلا تكون نتيجته إلا كذباً، فلو كان كل دعـــاء عبادة، لما صح الفرق بين حاضر وغائب، ولا بين حى وميت، ولكان كل مستنجد بأحد (حياً كان أو ميتا) مستغيثاً بـــه كـــافراً مشركاً، فيلزم أن يكون الأحياء مشركين حتى فى نداء بعـــضهم بعضاً.

وبيان كشف هذه المغالطة فى أن الدعاء بمعنى النداء:

** إن كان الدعاء لمن لا يعتقده رباً، فليس من العبادة فـــى شئ، لا فرق فى المدعوين بين حى وميت، وبـــين أن يكونـــوا جماداً لا يسمع ولا يبصر.

وإن كان لمن يعتقد ربوبيته واستقلاله بـــالنفع والـــضر، أو شفاعته عند الله، بغير إذن الله، فهو عبادة لذلك المدعو، ويكون به كافراً، إن قصد به غير الله تعالى.

وهذا هو ما عليه من نزلت الآيات فيهم من المشركين، أمـــا المسلمون عالمهم وجاهلهم؛ فليس فيهم من يعتقد استقلال أحـــد بنفع أو ضر إلا الله، فخرجوا بهذا من حكم هذه الآيات.

** وقد يطلق الدعاء على العبادة، وقد علمـــت أن معناهـــا الخضوع التام لمن يعتقد الربوبية، أو خاصة من خواصها، وهذا ما كان عليه المشركون.

وربما موهوا عليك بقول النبى ﷺ: (الـدعاء هـو العبـادة) (الترمذى وابن ماجة وأحمد).

وفى رواية (مخ العبادة) (الترمذى)، والحديث الشريف حق، وليس الشأن فى تلاوة لفظه، ولكن فى فهم معناه، وبيانه أن لفظ (ال) فيه للعهد الخارجى عند المخـاطبين، وهـم المؤمنـون، والمعهود عندهم إنما هو دعاؤهم ربهم عز وجل، وليـست (ال) هنا للاستغراق كما توهم أولئك المخدوعون.

* وعلى هذا النحو من المغالطة استدلالهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِياً ﴾ (الأنعام: ١٤). فإن الولى فى الآيـة هـو المعبود، وهم يصرفونه إلى من تولاه الله من عباده الـصالحين تغليظا وتغليطا.

* ومثله استدلالهم بما حكاه الله عن المشركين من قولهم فى أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمـر: ٣)، فقالوا: إن المتوسلين بالنبى ﷺ وسائر الـصالحين، هـم ممـن تنطبق عليهم هذه الآية، وهو افتراء واضح علـى كتـاب الله، وعلى المؤمنين، فالآية فـيمن اتخـذوا مـن دون الله أوليـاء، والأولياء هنا هم المعبودون، الذين اعتقـدوا فـيهم الربوبيـة، والاستقلال بالنفع والضر؛ فعبدوهم لهذا، وزعموا أنهم سيكونون لهم شفعاء عند شريكهم الأكبر- تعالى الله عما يشركون- فالآية

فى الربوبية واستحقاق العبادة، لا تتناول بمنطوقها ولا مفهومها ولا بسبب نزولها المؤمنين المتوسلين، فبأى جامع يصح قيـــاس موحد فى الربوبية واستحقاق العبادة للواحد المعبود بحق علـــى مشرك به فيهما.

وأى دليل، بل وأية شبهة فيها رائحة من دليل، تجعل توســـل الموحد واستغاثته بصالحى المؤمنين من جملة العبـــادات التـــى يكفر من فعلها، ما دام المتوسل يعلم أنهم عباد مكرمون، يقبـــل الله شفاعتهم، والاستشفاع بفضله إن شاء وإذنه.

وهناك فرق جوهرى كبير بين عباد الأصنام والمتوسلين من أمة سيد الأنام، وهو أن عباد الأصنام كانوا يعتقدون أن الأصنام أعلى من الله فى الدرجة والمقام، فقال تعالى ناهياً المؤمنين عن سب الأصنام: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

أما المسلمون بحمد الله بريئون من اعتقاد الربوبية فى غيـــر مولاهم عز وجل، سواء جاهلهم وعالمهم، ورجالهم ونـــساؤهم وأطفالهم.

ولئن سألت أياً منهم، أتريد بتوسلك عبادة غير الله؟ لفـــزع، فقد استقرت كل ذرة من جسمه على أن الرب المعبود الفعال هو الله، وهو يطلب إليه وحده مستشفعاً بصالحى عباده أحيـــاء، أو

أمواتا فى حياة أتم وأعلى عند ربهم يرزقون.

وما داموا قد سلموا بجواز التوسل بالحى، فقد سلموا بجواز التوسل بالميت، إذ الميت حى حياة برزخية، فهل ينكرون الحياة البرزخية؟.

سادساً: كراهية النبى ﷺ وآله

١) يسوء الوهابية اجتماع الناس لتعظيم قدر النبى بإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، ويرون أن هذا العمل منكراً عظيماً يجب عليهم إزالته باليد، كما فى كتابهم (فتاوى مهمة)[١] ص ٤٥، وكادوا أن يكفروا من احتفل بالمولد فى كتابهم (صيانة الإنسان) ص ٢٣٣، وأجازوا لأنفسهم أن يجتمعوا لدراسة سيرة محمد بن عبد الوهاب بمناسبة مرور كذا عام على ولادته أو وفاته، فى ظل ندوات أو مؤتمرات ينفق عليها المال الوفير[٢]، بل ويحتفلون بالعيد الوطنى، فى شهر أكتوبر من كل عام، بمناسبة جلوس الملك عبد العزيز على العرش!!.

وقال أحد مرتزقتهم البارزين[٣]: [إن الذبيحة التى تذبح

---

١) عبد العزيز بن باز.

١) انظر كتاب (هذا والدى) ص١٢٣.

٢) أبو بكر الجزائرى.

لإطعام الناس فى المولد أحرم من الخنزير][1]. ولعلهم قد خالفوا شيخهم ابن تيمية الذى لم يحرم الاحتفال بالمولد حيث قال فى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) ص ٢٩٤، ٢٩٧ ما نصه: [وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبى ﷺ وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع، ثم قال: فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ، كما قدمته لك].

ومما سبق من كلام ابن تيمية لا ندرى مع من تكون هذه الفئة الشاذة لا هى مع أهل السنة، ولا هى مع زعيمها ابن تيمية فليرجعوا إلى أنفسهم باللوم وليرجعوا عن غيّهم؟!!.

٢) يسوءهم الاحتفال بهجرة الرسول ﷺ، أو ليلة الإسراء والمعراج، أو ليلة النصف من شعبان، أو غزوة بدر الكبرى، أو ليلة القدر، والحقيقة فى كون هذه الاحتفالات منكرة هى تعظيمه ﷺ بما أمر الله تعالى به فى هذه المناسبات الإسلامية، وتعظيمه ﷺ- فى نفوسهم المريضة- بدعة تنافى التوحيد، ولا يسوءهم الاحتفال بعيد جلوس الملك عبد العزيز على العرش تحت مسمى العيد الوطنى، ولا عيد ميلاد قابوس أو الصباح أو الأسد

---

١) أنظر كتاب (المقالات السنية للشيخ عبد الله الهررى ص٢١٩).

أو غيرهم.

٣) يسوءهم من يسود النبى ﷺ فى صلاة أو غيرها ويرون ذلك منكراً عظيماً، ولا يسوءهم ألفاظ الغلو والتعظيم التى تكال فى الأسر الحاكمة فيقولون صاحب الجلالة سيدنا ومولانا الملك فلان المعظم أو المفدى أو ولى النعم، وصاحب السمو الملكى الأمير فلان، وولى العهد الأمين، وصاحب السمو الأمير فلان، وصاحب المعالى الوزير فلان، وصاحب السعادة الوجيه فلان، ولا تكون هذه الألقاب غلواً ولا منافية للتوحيد عندهم.

٤) يذكرونه ﷺ بمجرد اسمه بدون شئ يدل على احترامه، حتى يطبقوا على أنفسهم نهيه تعالى الموجه للمنافقين والجفاة الأجلاف، ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً﴾ (النور:٦٣)، وهكذا أهل بيته الأطهار وأصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم يقولون فى الواحد منهم: قال فلان بدون صيغة تدل على احترامه كالترضية، لأن كل ما يدل على تبجيله ﷺ وتبجيل أهل بيته الطاهرين، وتبجيل أصحابه وأئمة دينه وعلماء الإسلام غلو عندهم ينافى التوحيد، ولا يكون غلواً ومنافياً للتوحيد إذا كان فى ابن تيمية أو ذيوله فيقولون فى كل منهم: قال شيخ الإسلام قدس الله روحه ونوَّر ضريحه تأليهاً لرأيهم.

٥) يسوءهم طلب الشفاعة والتوسل بالنبى ﷺ، وجعل طلب الشفاعة منه ﷺ أو التوسل به ﷺ كفراً منكراً، ولا يسوءهم التوسل بمستر بوش، ومارجريت تاتشر، ومسيو ميتران فى حرب الخليج الثانية، فعندما دخل صدام حسين الكويت، سارع مفتى الوهابية ابن باز بإصدار فتوى تجيز الاستعانة بالغرب لمحاربة صدام.

٦) يسوءهم الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ بعد الأذان لأن هذا الأمر فى عقولهم السقيمة بدعة لم تكن على عهد الرسول ﷺ، فقد ذكر صاحب (مصباح الأنام وجلاء الظلام فى رد شبه البدعى النجدى التى أضل بها العوام) السيد علوى بن أحمد بن حسن الحداد فى كتابه المذكور، ثم السيد أحمد بن زينى دحلان مفتى مكة فى رسالته: (الدرر السنية فى الرد على الوهابية): [أن محمد بن عبد الوهاب كان ينهى عن الصلاة على النبى ﷺ ويتأذى من سماعها، وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة، وعن الجهر بها على المنائر، ويؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب، حتى أنه قتل رجلاً أعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبى فى المنارة بعد الأذان فلم ينته فقتله، ثم قال: إن الربابة فى بيت الخاطئة- يعنى الزانية- أقل إثماً ممن ينادى بالصلاة على النبى ﷺ فى المنائر، ويلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد، وأحرق

كتاب (دلائل الخيرات) وغيرها من كتب الصلاة على النبـــى ﷺ ويتستر بقوله: إن ذلك بدعة، وإنه يريد المحافظة على التوحيد].

وقد أفتى خادم الوهابية وكبير مرتزقتهم رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) بأن الصلاة على النبى ﷺ بعد الأذان بدعة قبيحة، فنتج عن فتواه فتنة بين أهل أرياف مصر، وقدم ســؤال بــذلك للعلامة المتحقق المرحوم الشيخ يوسف الدجوى فكتــب مقالــة نفيسة نشرت فى مجلة الأزهر أبطل بها شقاشقه.

وقال العلاّمة الجزيرى فى كتــاب (الفقــه علــى المــذاهب الأربعة) ج١ ص٢٨٩: [الصلاة على النبــى ﷺ عقــب الأذان مشروعة بلا خلاف، سواء كانت من المؤذن أو من غيره، لمــا رواه مسلم من أن النبى ﷺ قال: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثــل ما يقول ثم صلُّوا علىّ) فقوله: (ثم صلُّوا علــىّ) عــام يــشمل المؤذن وغيره من المسلمين، ولم ينص الحديث على أن تكــون الصلاة سراً، فإن رفع المؤذن صــوته بتــذكير النــاس بهــذا الحديث، ليصلوا على النبى ﷺ كان حسناً].

وهذا يدل على أنه قام فى أدمغتهم الفاسدة أن كل من عظــم النبى ﷺ بالصلاة عليه فهو عابد له، فهم منتهكــون حرمتــه ﷺ تطبيقاً لما أسسه لهم شيخهم[١] فى قوله: [محمد ﷺ طارش] أى:

---

١) محمد بن عبد الوهاب.

أدى الرسالة وذهب، فلا حرمة ولا قيمة له[1].

٧) يسوءهم تعظيم روضة النبى ﷺ، ببناء القباب عليها، والصلاة عندها، والتبرك بها، وغير ذلك، ويعتبرونه من الشرك وعبادة الأوثان.

فينصح الوهابى[2] فى كتابه (تحذير الساجد) ص ٦٨ بهدم قبة رسول الله ﷺ الخضراء، ويشجع على ذلك.

وقال النجدى[3] فى الرسالة النجدية: [وواحد يعبد الأوثان كما فى حديث الترمذى حيث يعظم قبر النبى ويقف عنده كما يقف فى الصلاة واضعاً يده اليمنى على يده اليسرى، ويقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة، يا رسول الله ادع الله فى قضاء حاجتى ويناديه ويعتقد نداءه سبباً لحصول مراده، ويعظم آثاره ومشاهده ومجالسه وداره، حتى اتخذوا الآثار مسجداً، وكل ذلك من الأوثان من نبى كان أو ولى، من اللات أو العزى، من المسيح أو العزير، فإن الصنم فى الشرع هو المصور، والوثن غير المصور].

---

١) راجع كتاب التوسل بالنبى وجهلة الوهابيين للشيخ أبى حامد بن مرزوق ص ١٠٦.

٣) ناصر الألبانى.

٤) محمد بن عبد الوهاب.

وهذا الكلام من شيخهم يدل على الحقد الدفين والبغيض لنبى الإسلام ﷺ، إذ لا يعقل أن يطلق مسلم على روضة النبى ﷺ أنها وثن وتعظيمه عبادة وشركاً، فقد قال ﷺ: (من زار قبرى وجبت له شفاعتى) رواه ابن عدى والبيهقى.

وقد صرح المكى، والماوردى، والذهبى، والزين المالكى، وغيرهم فى آداب الزيارة أن يقف كما فى الصلاة.

ونخاطب الجاهل بأن وضع اليد اليمنى على اليسرى ليس ركناً من أركان الصلاة، بل من السنن المختلف فيها بين الأئمة، أما ترى المالكية والإمامية لا يضعونها، ولو كان ركناً لفرض كالقيام مثلاً، فعلى هذا أيضاً المنع إنما يثبت بالنهى وليس بالنفى.

وقد نص القاضى عياض، وابن الجوزى، والقسطلانى، والعسقلانى، وكل من تكلم فى شأن الزيارة بأن حرمة النبى ﷺ بعد انتقاله وتعظيمه وتوقيره لازم كما كان حال حياته.

وحكم كون مساجد الآثار وثناً، مخالفة صريحة ومحاداة واضحة لرسول الله ﷺ، ففى صحيح مسلم عن أبى مالك قال: (أصابنى فى بصرى بعض الشئ فبعثت إلى رسول الله ﷺ إنى أحب أن تأتينى وتصلى فى منزلى فأتخذه مصلى) وفى رواية منه: تعالى فخط لى مسجداً.. قال النووى فى شرحه: أجعل

صلاتى فيه تبركاً بآثارك.

ولا عجب فى قول شيخهم: إن قبر النبى ﷺ وثن، بعد أن قال فى الرسالة النجدية: [إن النبى ﷺ رمة فى قبره]، مما جعل أتباعه يقومون بأعمال منكرة فى روضته الشريفة ﷺ، فقد جاء فى كتاب (مصر فى القرن التاسع عشر) الباب الثامن ما يلى: [وكانت القبة الكبرى التى فوق الضريح النبوى على وشك أن تتناولها المعاول بالهدم لولا حلماً أزعج المجترئ على اعتزام ارتكاب هذه الجريمة فعدل عنها، واقتصر المعتدون الأشقياء على انتزاع الزينة والزخارف بالحجرة النبوية الشريفة، وسلب الهدايا الواردة من جميع الأنحاء منذ وفاة النبى إلى ذلك العهد.. كل ذلك سلبوه بلا خوف وباعوه علناً].

ويقول أحد مرتزقتهم[1] فى كتابه (تبديد الظلام) ص ٣٨٩ ما نصه: [نحن لا ننكر أن بقاء الأبنية على قبر الرسول مخالفاً لما أمر به الرسول]. وأضاف: [إن إدخال قبره فى المسجد أشد إثماً وأعظم مخالفة]، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يأخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها حتى أنهم ملأوا أربع سحاحير من الذهب المطعم بالماس والياقوت العظيم القدر.

٨) لا يتورعون من النطق فى كل مجلس: محمد بشر،

---

١) إبراهيم سليمان الجبهان.

محمد مات، محمد لا يضر ولا ينفع من دون الله، محمد لا يقدر، محمد.. محمد..، أبوه وأمه ماتا..، ما المقصود بهذا الكلام سوى الاستنقاص من قدر خير الأنام الذى لم يخاطبه مولاه باسمه مجرداً فى كتابه الكريم.

٩) يقول داعية الوهابية فى شمال الهند[١] فى كتابه (الصراط المستقيم) ص ٩١: [ومن تصور فى الصلاة أنه يزنى أو يباشر مع زوجته فلا حرج، ولكن تصور المشايخ وتذكرهم حتى الرسول ﷺ غير جائز، وذلك أضر من تصور الحمار والبقر].

فهل لو قال المصلى: السلام عليك أيها النبى فى التشهد يعتبر مشركاً؟ وهل تصوره ومراقبته ﷺ فى ذهنك يعتبر شركاً؟ هل هذا إلا تضليل للأمة الإسلامية، وإظهار لحقد وهابى دفين على نبى الإسلام؟!.

يقول الإمام الغزالى: (واستحضر فى قلبك شخص الرسول ﷺ وقل: السلام عليك أيها النبى) راجع إحياء علوم الدين ص ١٦٩.

سابعاً: كراهية أهل بيت النبى ﷺ

إن لأهل بيت النبى ﷺ منزلة عظمى أثبتها القرآن، وأثبتها

---

٢) محمد إسماعيل الدهلوى.

الرسول ﷺ، وأيقن بها المسلمون، ولم يمار فيها إلا من كان فى قلبه مرض.

ومما جاء فى منزلة أهل بيت الرسل عامة، وأهل بيت نبينا ﷺ خاصة:

- قوله تعالى فى أهل بيت سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣).

- وقوله تعالى وقد ذكر ثمانية عشر نبياً بأسمائهم ثم قال: ﴿وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٨٦-٨٧).

- قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران: ٣٣- ٣٤)

- وقوله تعالى فى إبراهيم ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (العنكبوت:٢٧).

- وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٢-٧٣).

- وقوله تعالى فى أهل بيت نبينا ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

- وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣).

- وقول رسول الله ﷺ: فى السادة على وفاطمة والحسن والحسين : (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[١].

- وقوله ﷺ وقد سأله الصحابة ﷺ عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦) فقالوا: كيف نصلى عليك يا رسول الله؟ قال: (قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [متفق عليه].

- وقوله ﷺ: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى)[٢].

والمطلوب هنا: ما هو موقف ابن تيمية- الذى تسبح بحمده الوهابية وذيولها بكرة وعشياً- من هذه العقيدة المسطورة فى الكتاب والسنة؟!!.

---

١) صحيح مسلم حديث ٢٤٢٤، وسنن الترمذى حديث ٣٢٠٥.

٢) صحيح مسلم حديث ٢٤٠٨، وسنن الترمذى حديث ٣٧٨٨، ومسند الإمام أحمد ٣: ١٧.

موقفهم من أهل البيت:

لقد كشف ابن تيمية عن عقيدته فى أهل البيت، وموقفه منهم بكل صراحة وبوضوح لا غبار عليه، ويمكن إجمال ذلك بالنقاط التالية:

١) تكذيبه بمنزلتهم العظمى:

لابن تيمية فى هذا الباب كلام كثير يدل على عصبية لا حد لها.. وقد اخترنا منه هذه النماذج.

– يقول بالحرف الواحد: إن فكرة تقديم آل الرسول هى من أثر الجاهلية فى تقديم أهل بيت الرؤساء!! [منهاج السنة ٣: ٢٦٩].

إذن فاصطفاء الله تعالى لأهل بيت الأنبياء والرسل وجعلهم الأئمة والقادة والأوصياء من بعدهم، وإنزاله إياهم تلك المنازل الرفيعة، وكل ما جاء بحقهم فى السنة المطهرة هو من أثر الجاهلية فى تقديم أهل بيت الرسول!!.

إن لم يكن هذا هو التكذيب بالدين، والسخرية بكتاب الله وسنة رسوله، فكيف سيكون التكذيب والسخرية؟.

– لما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ودعاء الرسول ﷺ السادة علياً وفاطمة

والحسن والحسين فجلل عليهم كساء وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) وافق ابن تيمية على صحة ذلك، لكن ماذا رأى فيه؟!!

إنه لم ير فيه لأهل البيت أية مزية! فقال: إن هذا مجرد إرادة من الله لهم بالتطهير، ودعاء من النبى لهم بذلك، ولا يعنى هذا أن الله قد طهرهم حقاً. [منهاج السنة: ٢: ١١٧].

وليت ابن تيمية فهم أن هذه الآية ابتدأت بـ (إنما) المفيدة لحصر إرادته تعالى فى أمرهم على إذهاب الرجس عنهم وليس منهم، فهم مطهرون ليس فيهم رجس، وإنما تولى الحق تبارك وتعالى حفظهم، فكل ما فيه رجس كالمنافق وابن الزنا والذى حملت به أمه فى غير طهر يبعده عنهم حتى يحفظ لهم طهرهم. إن ابن تيمية لم يرد ما أراده الله ورسوله، ولهذا فقط لم يؤمن به.

– وكذب بكل ما ورد بحقهم فى القرآن الكريم.. كآيات سورة الدهر: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الإنسان: ٨)، التى أجمع أصحاب التفاسير على أنها نزلت فيهم.. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، والتى أجمع أصحاب

التفاسير- كالطبرى، والبغوى، والزمخشرى، والرازى، وأبى السعود، والنسفى، والبيضاوى، والقرطبى، والسيوطى، والشوكانى، والألوسى، وأسباب النزول للواحدى- أجمعوا على نزولها فى حق سيدنا علىّ حين تصدق بخاتمه وهو راكع.

- وكذب بما جاء فى الإمام على كرم وجهه فى السنة الصحيحة، رغم ثبوتها بالأسانيد الصحيحة والطرق المتعددة.. فكذب بحديث المؤاخاة بين النبى ﷺ وسيدنا على عليه السلام.. فيقول: أما حديث المؤاخاة فباطل. [منهاج السنة ٢: ١١٩]، ويقول: والنبى لم يؤاخ عليًّا [منهاج السنة ٤: ٧٥، ٩٦].. رغم أن هذا قد تواتر نقله وأجمع عليه أصحاب السير قاطبة ومنها: [الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٢٢، سيرة ابن هشام ٢: ١٠٩، السيرة النبوية لابن حبان: ١٤٩، الاستيعاب لابن عبد البر ٣: ٣٥، أسد الغابة ٢: ٢٢١ و ٤: ١٦، ٢٩، عيون الأثر ٦: ١٦٧، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٤٨، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٦: ١٦٧، تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٣٥، وأخرجه أيضاً: الترمذى فى السنن حديث ٣٧٢٠، والبغوى فى مصابيح السنة حديث ٤٧٦٩، والحاكم فى المستدرك ٣: ١٤].

وعلى هذا النحو سار مع عامة فضائل الإمام علىّ عليه السلام، لكن من دون أن يحمل معه أى دليل، ومن دون أن يعتمد على نقل

صحيح عن أئمة السلف، وإنما هو الحقد والهوى والعصبية.

- ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنة (١١٤/١) أن ابن تيمية خطأ أمير المؤمنين علياً كرّم الله وجهه فى سبعة عشر موضعاً خالف فيها نص الكتاب، وأن العلماء نسبوه إلى النفاق لقوله هذا فى على كرم الله وجهه، ولقوله أيضاً فيه: إنه كان مخذولاً، وإنه قاتل للرئاسة لا للديانة.

وقد ذكر ابن تيمية ذلك فى كتابه المنهاج (٢٠٣/٢) فقال ما نصه: (وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علياً ولا تاركاً له، فأئمة السنة يسلمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجباً ولا مستحباً).

ويقول فى موضع آخر (٢١٤/٢) ما نصه: (وإن لم يكن علىّ مأموراً بقتالهم، ولا كان فرضاً عليه قتالهم بمجرد امتناعهم عن طاعته مع كونهم ملتزمين شرائع الإسلام).

ويقول (٢٠٤/٢): (وأن علياً مع كونه أولى بالحق من معاوية، لو ترك القتال لكان أفضل وأصلح وخيراً).

فأقواله هذه مخالفة لما رواه النسائى بالإسناد الصحيح فى الخصائص عن سيدنا على ﷺ قال: (أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين). والناكثون: هم الذين قاتلوه فى وقعة

الجمل، والقاسطون: هم الذين قاتلوه فى صفين، والمارقون: هم الخوارج، وهذا الحديث إسناده صحيح ليس فيه كذاب ولا فاسق كما ادعى ابن تيمية.

وكلامه هذا رد لقوله تعالى: ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ٩)، وقد اتفق العلماء على أن الإمام علياً هو أول من قاتل البغاة فشغل بهم عن قتال الكفار المعلنين- اليهود وغيرهم-، حتى قال الشافعى ﷺ: (أخذنا أحكام البغاة من سيرة على).

ويكفى أيضاً لإثبات ذلك الحديث الصحيح الذى رواه البخارى: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)، فعمار الذى كان فى جيش الإمام علىّ داع إلى الجنة بقتاله مع على، فعلىٌّ داع إلى الجنة بطريق الأولى.

فتسفيه ابن تيمية قتال الإمام على ﷺ دليل على أنه يضمر ضغينة لسيدنا علىّ، ويؤيد هذا قول الحافظ ابن حجر- فى لسان الميزان (٣١٩/٦) عند ترجمة والد الحلى الذى ألف ابن تيمية كتاب منهاج السنة النبوية فى الرد عليه- ونصه: (وكم من مبالغة له لتوهين كلام الحلى أدت به أحياناً إلى تنقيص على). ولقد صدق ابن حجر فى قوله هذا.

٢) التنقيص منهم وتجريحهم:

لم يقف ابن تيمية عند التكذيب بمنزلتهم ومناقبهم، بل تعدى وراء ذلك فأطلق عليهم لساناً لم تعرفه هذه الأمة إلا عند النواصب الذين امتلأت قلوبهم غيظاً وحقداً على آل الرسول.. وهذه نبذ من كلامه فيهم:

– إنه ينفى أن تكون هناك مصلحة من وجود أهل البيت ويقول: (لم يحصل بهم شئ من المصلحة واللطف) [منهاج السنة: ٢: ٨٤].

هذا والنبى ﷺ يقول: (إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله وعترتى أهل بيتى، لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض)[١].

وفى حديث آخر: (إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله فيه الهدى والنور. وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى [ثلاث مرات]) [صحيح مسلم حديث ٢٤٠٨].

لكن ابن تيمية أتى على هذه الأحاديث فأولها تأويلاً يضحك منه حتى البسطاء، فقال: الحديث الذى فى مسلم إن كان النبى قد

---

١) سنن الترمذى حديث ٣٧٨٨، ومسند أحمد ٣: ١٧، والمستدرك للحاكم ٣: ١٤٨.

قاله فليس فيه إلا الوصية باتباع الكتاب، وهو لم يأمر باتباع العترة ولكن قال: أذكركم الله فى أهل بيتى. [منهاج السنة ٤: ٨٥]. ترى ألم يقل ﷺ: (إنى تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله) ثم واصل الحديث حتى ذكر أهل البيت، فإذا كان الأمر باتباع الكتاب وحده فأين الثقل الثانى إذن؟!!.. حقاً إنه الهوى يعمى ويصم!!.

- استغراقه فى الطعن فى الإمام على عليه السلام والنيل منه، متمسكاً بالقصة الموضوعة فى خطبته كرم الله وجهه ابنة أبى جهل، والسيدة فاطمة الزهراء عنده، وكرر الكلام فيها فى أكثر من موضع فى كتابه منهاج السنة، هذه القصة التى نسجها المسور بن مخرمة، أو كذبها عليه الكرابيسى.

وكان الرجلان معاً ناصبيين- ناصبوا أهل البيت العداء- مشهورين ببغض سيدنا علىّ، والانحراف عنه بتعظيم أعدائه وموالاتهم.. وهذا معلوم جداً من حال الكرابيسى [شرح نهج البلاغة ٤: ٦٤].

أما المسور بن مخرمة، فكان لا يذكر معاوية إلا صلى عليه!! ومع ذلك فقد كان حليفاً للخوارج، يجتمعون عنده، ويستمعون حديثه، بل كانوا ينتسبون إليه فيعدونه قدوة لهم!! [انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ٣: ٣٩٠ - ٣٩٣].

أليس من دواعى الشك والاستغراب أن تقبل رواية هــؤلاء فى النيل من سيدنا على عليه السلام؟!!.

– وفى علم الإمام على يتكلم ابن تيمية كلاماً يجل عنه أدنى طلبة العلوم قدراً، فيقول: (ليس فى الأئمة الأربعة ولا غيــرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إلى على فى فقهه.. فمالك أخذ علمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون عن علــى!.. وأبو حنيفة والشافعى وأحمد تنتهى طرقهم إلى ابن عباس، وابن عباس مجتهد مستقل، ولا يقول بقول على!! [منهاج الــسنة ٤: ١٤٢ – ١٤٣].

هكذا يفعل الهوى بصاحبه، فما زال الهوى يحمله على قول بعد قول حتى غاص فى لجج العناد، فهو لا يدرى ما يقــول.. حتى يضع نفسه موضع سخرية العلماء بل والــسالكين طريــق العلم.. اللهم إلا مقلدوه الوهابية الذين تمسكوا بأقواله أشــد مــن تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم!!.

لقد صنف الإمام الشافعى كتاباً مفرداً أثبت فيه انتهــاء علــم أهل المدينة إلى سيدنا على عليه السلام وإلى سيدنا عبد الله بن عبــاس رضي الله عنه.

ونقل ابن قدامة الحنبلى فى المغنى عن ابن عباس أنه كــان يقول: (إذا ثبت لنا عن على قول لم نعده إلى غيره)، وعن ابــن

عباس أيضاً: (أعطى عليّ تسعة أعشار العلم، وإنه لأعلمهم بالعشر الباقى) [طبقات الفقهاء: ٤٢].

– وفى الحسين السبط الشهيد له كلام لا تجد له نظيراً حتى عند وعاظ يزيد الذين كانوا يتزلقون له فى حياته، فيقول مرة فى خروج الإمام الحسين على يزيد: (هذا رأى فاسد، فإن مفسدته أعظم من مصلحته، وقل من خرج على إمام ذى سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير) [منهاج السنة: ٢: ٢٤١].

إذن يا طلاب الحرية وعشاق الاستقلال ما أنتم إلا مفسدون.. وما عليكم إلا أن تذلوا للسلطان، وتمدوا ظهوركم لجلاديه، وأعناقكم لسيافيه، فإن الشيخ ابن تيمية يقول: إن مطالبتكم بالحرية عمل فاسد، مفسدته أعظم من مصلحته!!.

لكن العقاد أجاد فى تفسير هذه المقولة وأمثالها، فقال: (إن القول بصواب الحسين معناه القول ببطلان تلك الدولة.. والتماس العذر للحسين معناه إلقاء الذنب على يزيد، وليس بخاف كيف ينسى الحياء وتبتذل القرائح أحياناً فى تنزيه السلطان القائم، وتأثيم السلطان الذاهب) [عباس محمود العقاد: أبو الشهداء ١٠٦].

ويقول ابن تيمية مرة أخرى معتذراً ليزيد: (ويزيد ليس

بأعظم جرماً من بنى إسرائيل، كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء وقتل الحسين ليس بأعظم من قتل الأنبياء) [منهاج السنة ٢: ٢٤٧].

أرأيت عذراً أقبح من فعل كهذا!!.

٣) الميل إلى جانب أعدائهم على الدوام :

لقد كان ابن تيمية صريحاً فى ميله إلى جانب أعداء أهل البيت، ودفاعه عنهم بكل ما يمتلك من قدرة على الجدل، ولف فى القول، والتواء فى الكلام، يكافح عنهم، ويختلق لهم الأعذار، ويبرر عداءهم لأهل البيت، ويكذب لأجلهم أحاديث الرسول وأئمة السلف من الصحابة والتابعين، ويكذب لأجلهم حقائق التاريخ التى تواتر نقلها وأجمع عليها أهل العلم قاطبة، ويزور لأجلهم حقائق أخرى بأسلوب يتنزه عنه العلماء، بل حتى العوام البسطاء.

وله فى هذا كلام كثير لا يتسع له مثل هذا العرض الموجز، لذا سنكتفى بذكر القليل من شواهد ذلك وبكل إيجاز:

– صنف كتاباً أسماه (فضائل معاوية وفى يزيد وأنه لا يسب).

هذا مع أن الذى ثبت عن السلف أنه لا يصح فى فضائل

معاوية ولا حديث واحد. نقل ذلك الحافظ الذهبى عن إسماعيل ابن راهويه الذى كان يقرن بالإمام أحمد بن حنبل. (سير أعلام النبلاء ٣: ١٣٢).

وثبت ذلك عند النسائى صاحب السنن، الذى طلب أهل دمشق أن يكتب فى فضائل معاوية فقال: ما أعرف له فضيلة إلا: (لا أشبع الله بطنه) [سير أعلام النبلاء ١٤: ١٢٥، وفيات الأعيان ١: ٧٧].

أما يزيد فقد زور ابن تيمية حديث الإمام أحمد بن حنبل وبتره لأجل أن يمنع من لعنه.. ففى كتاب رأس الحسين لابن تيمية ص ٢٠٥، ينقل حديث الإمام أحمد بن حنبل فيقول: (قيل للإمام أحمد: أتكتب حديث يزيد؟

فقال: لا، ولا كرامة، أوليس هو الذى فعل بأهل الحرة ما فعل؟.

وقيل له: إن قوماً يقولون: إنا نحب يزيد. فقال: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟!.

فقال له ابنه صالح: لِمَ لا تلعنه؟

فقال الإمام أحمد: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً).

لكن الحق أن حديث الإمام أحمد لم ينته بعد، وإنما له تتمة

صرح فيها بلعن يزيد.. والحديث بتمامه رواه أبو الفرج ابن الجوزى وغيره، وفيه: (فقال أحمد: ولِمَ لا يُلعن من لعنه الله تعالى فى كتابه؟!).

فقيل له: وأين لعن الله يزيد فى كتابه؟.

فقرأ أحمد قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد:٢٢، ٢٣)، ثم قال: فهل يكون فساد أعظم من القتل؟![1].

– ثم زور ابن تيمية كل ما ثبت من حقائق التاريخ وكلام السلف فيه، وافترى عليهم كثيراً لأجل أن يختلق عذراً ليزيد فقال: (إن يزيد لم يظهر الرضى بقتل الحسين، وإنه أظهر الألم لقتله) [رأس الحسين: ٢٠٧].

فهل أتى بهذا الكلام من إجماع السلف، أم هو من محض الهوى؟

لقد نقل التفتازانى إجماع السلف فى هذه المسألة فقال فى كتابه (شرح العقائد النسفية) ما نصه: (اتفقوا على جواز اللعن

---

١) الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزى: ١٦، الإتحاف بحب الأشراف للشبراوى ٦٣، ٦٤.

على من قتل الحسين، أو أمر به، أو أجـازه، أو رضـى بـه. والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك، وإهانته أهل بيت رسول الله ﷺ مما تواتر معناه، وإن كان تفـصيله آحـاداً، فنحن لا نتوقف فى شأنه، بل فى كفره وإيمانه، لعنة الله عليـه وعلى أنصاره وأعوانه)[1].

– وكذب ابن تيمية أيضاً فقال: (ويزيد لـم يـسب للحـسين حريماً، بل أكرم أهل بيته) [منهاج السنة ٢: ٢٢٦]، وقال: (ولا سبى أهل البيت أحد، ولا سُبى مـنهن أحـد) (رأس الحـسين: ٢٠٨].

فهل اعتمد فى كلامه هذا على نقل من أحد سواء كان مـن الثقات أو من غيرهم؟.. كلا أبداً، إنما أطلقها حمية ليزيد.. أمـا أصحاب التاريخ فقد أجمعوا على صحة هذا الذى كذَّب به ابـن تيمية[2].

هذه هى خلاصة القول فى هذا الرجل الـذى وجـدت فيـه

---

١) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ١: ٦٨– ٦٩، وانظر الإتحاف بحب الأشراف للشبراوى ٦٢، ٦٦.

٢) راجع: الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزى ٤٩ – ٥٠، وترجمـة الإمام الحسين من الطبقات الكبرى لابن سعد، وتاريخ الطبرى، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

البدعة الوهابية خير قدوة لها، فتمسكت بكل ما شذ وانحرف من أفكاره، ثم زادت فوق ذلك شذوذاً وانحرافاً.

أرأيت هذا الذى ضيع الأمانة فى نقل حقائق تواتر نقلها، وأجمع عليها أهل الحديث والسير، اتباعاً للهوى والعصبية، أيكون مؤتمناً على الدين؟!.

نكتفى بهذا القدر خشية أن نكون قد أطلنا فى موقف الوهابية المتمسلفة ذيول ابن تيمية الكذاب فى حق أهل بيت النبى الأطهار.

ثامنا: كراهية الصحابة الكرام ﷺ

الوهابية كما رأينا أساءوا للنبى وأهل بيت النبى ﷺ، وسنرى أنهم أيضاً أساءوا إلى صحابته رضى الله عنهم كما يلى:

١ – طعنت الوهابية فى صحابة رسول الله ﷺ بما لا يصدقه عقل، فاتهموهم ﷺ بأنهم كفار.. حيث يقول مؤسس الوهابية ما نصه: (إن جماعة من الصحابة كانوا يجاهدون مع الرسول ويصلون معه ويزكون ويصومون ويحجون، ومع ذلك فقد كانوا كفاراً بعيدين عن الإسلام)[١].

---

١) الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب، رسالة كشف الشبهات:١٢٠ طبعة سنة ١٩٥٧.

٢ – كان الصحابى الجليل عبد الله بن عمرو يعلق على أعناق أطفاله الحروز التى من كتاب الله أو ذكر الله، روى ذلك [الترمذى، والبخارى فى كتابه (خلق أفعال العباد) وغيرهما]– أما الوهابية فيحرمون ذلك ويجعلونه من وسائل الشرك كما فى كتابهم (فتاوى مهمة)[١] ص ١١١.

٣ – الوهابية يتهمون الصحابى الجليل بلال بن الحارث المزنى ﷺ بالكفر والإشراك كما فى تعليقهم على كتاب فتح البارى (طبع دار الريان للتراث ج٢ ص ٥٧٥).

٤ – الصحابى الجليل عبد الله بن عمر ﷺ قال: (يا محمد) لما خدرت رجله [رواه البخارى فى كتابه الأدب المفرد]. والوهابية تقول من قال: (يا محمد) فهو كافر مهدور الدم، كما فى كتابهم (الأصول الثلاثة).. معنى هذا أنهم كفروا الصحابى عبد الله بن عمر، وكفروا البخارى، وكفروا رواة هذا الأثر من السلف والخلف.

٥ – اتهم ابن تيمية الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بأنه مبتدع فقال: (وتحرى هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل

---

٢) عبد العزيز بن باز.

هو مما ابتدع) [اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٩٠ طبعة دار المعرفة- بيروت].

٦ - يعترض ذيول الوهابية على تفسير ترجمان القرآن الصحابى الجليل عبد الله بن عباس ﷺ، حيث يقول هؤلاء فى مجلة (نداء الإسلام) التى طبعوها فى سيدنى فى العام الخامس جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ ما نصه ص ٢٨: (وفسر قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أى: هادى، وتأول صفة الساق بالكرب والشدة.. وهذا فى الحقيقة تأويل المعتزلة وقولهم).

انظر يا طالب الحق، إنهم يعترضون على ترجمان القرآن ابن عم الرسول ويعتبرونه من المعتزلة!!.

قال الحافظ ابن حجر فى (فتح البارى) ج١٣ ص ٤٢٨: (وأسند البيهقى الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن).

٧ - خطأ ابن تيمية سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ فى إيقاعه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ثلاثاً بمحضر علماء الصحابة مهاجرين وأنصارًا، فلا اختصاص للفاروق بالطعن والتخطئة، فقد طعن وخطأ الصحابة الذين وافقوه عليها، وخالف إجماعهم وإجماع من بعدهم من علماء الأمة، وقد تكلم ابن القيم فى هذه

المسألة فى (هديه) ومدح نفسه، وشيخه ابن تيمية. قال فى ج٤ ص ٦٢ منه: (وليس التحاكم فى هذه المسألة إلى مقلد متعصب ولا هياب للجمهور، ولا مستوحش من التفرد إذا كان الصواب فى جانبه، وإنما التحاكم فيها إلى راسخ فى العلم قد طال فيه باعه)، وأسهب فى إطراء نفسه.

٨ – ذكر العلامة ابن حجر الهيتمى فى فتاواه الحديثية عن بعض العلماء المعاصرين لابن تيمية أنه سمع على منبر جامع الجبل بالصالحية، وقد ذكر عمر بن الخطاب ﷺ فقال: (إن عمر له غلطات وبليات أى بليات).

وقال: وخطأ سيدنا علياً كرم الله وجهه فى سبعة عشر موضعاً خالف فيها نص الكتاب، ونسبوه أيضاً إلى النفاق لقوله هذا فى سيدنا على كرم الله وجهه، ولقوله أيضاً: إن عثمان بن عفان كان يحب المال. [التوسل بالنبى وجهلة الوهابيين لأبى حامد بن مرزوق ص ٢٢٦، ٢٢٧].

٩ – ذكرت جريدة المسلمون (الوهابية) العدد (٥٦٣) فتوى لأحدهم[١] بأن التمسح بأبواب وجدران وشبابيك الحرمين بدعة لا أصل لها والواجب تركها. ثم رأيناه يطعن بفعل الصحابى عبد الله بن عمر ﷺ ويقول: (ما نقل عن ابن عمر من استلامه

---

١) عبد العزيز بن باز.

المنبر اجتهاد منه لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من الصحابة وهم أعلم منه بهذا الأمر) وهذا الكلام من هذا الشيخ تدليس وخيانة علمية لأنه لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه اعترض على فعله ﷺ.

وهذا سيدنا أبو أيوب الأنصارى ﷺ الذى هو أحد مشاهير الصحابة، والذى نزل الرسول عنده لما هاجر من مكة إلى المدينة، جاء ذات يوم إلى روضة الرسول ﷺ فوضع وجهه على روضة النبى تبركاً وشوقاً، روى ذلك الإمام أحمد عن داود بن أبى صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فقال: أتدرى ما تصنع؟ فأقبل عليه أبو أيوب وقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله) [رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير والأوسط].

أما قول هذا الشيخ: إن التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك فهذا الشرك الأكبر.

فالجواب: إن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ – الذى يدعى هذا الشيخ أنه على مذهبه– يقول: إن تقبيل ومس منبر النبى وقبره

للتبرك إلى الله لا بأس به[1].

فتحريم هذا الشيخ ما أجازه الإمام أحمد، واتهامه من يفعل ذلك بالبدعة، هو بدعة لم يسبقه إلى ذلك أحد، بل حكمه على هذا الأمر الذى أجازه الإمام أحمد هو الكفر، وقوله: إنه شرك هو الشرك.

وقضية تكفيرهم للذين يتمسحون بالروضة النبوية الشريفة ليس له سند أو دليل، بل إن فعل الصحابة الكرام يدحض معتقدهم ويهدمه من أساسه، حين يمرغون وجوههم بتراب الروضة الشريفة كما مر فى حديث أبى أيوب الأنصارى، وكذلك ما قاله السمهودى فى كتابه وفاء الوفا الجزء الرابع ص ١٤٠٥: (لما قدم بلال ﷺ من الشام لزيارة النبى ﷺ أتى القبر فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه) وإسناده جيد، فماذا تقول الوهابية المتمسلفة عن مؤذن رسول الله ﷺ وقد مرغ وجهه بتراب روضة سيدنا رسول الله ﷺ، هل تكفره؟ أم أنها تخشى أن ينقم عليها أكثر مما هم عليه الآن!!.

١٠ – لما استولى الوهابية على المدينة المنورة هدموا القباب التى فيها وفى ينبع، ومنها قبة أئمة البقيع بالمدينة التى تحوى ثرى أعظم هداة فى تاريخ الإسلام وهم الإمام الحسن بن

---

١) رواه ابنه عبد الله عنه فى كتاب (العلل ومعرفة الرجال) ص ٣٥.

على ﷺ، والإمام على بن الحسين زين العابدين ﷺ، والإمام محمد بن على الباقر ﷺ، والإمام جعفر الصادق ﷺ، وكذلك السيدة فاطمة الزهراء على المشهور، والسيدة فاطمة بنت أسد أم الإمام على بن أبى طالب، وسيدنا إبراهيم بن الرسول ﷺ، وسيدنا العباس عم الرسول ﷺ، وبناته زينب وأم كلثوم ورقية، ومرضعته حليمة السعدية، وزوجاته أمهات المؤمنين، بالإضافة إلى روضات مئات من الصحابة والصالحين قدر بأكثر من عشرة آلاف.. ولكنهم لم يهدموا قبة النبى ﷺ خوفاً من انفجار الأوضاع فى العالم الإسلامى ضدهم، لأن رأى مؤسس الوهابية حول القبور شامل ولا تخصيص فيه لنبى ولا لرسول.

ولما دخلوا الطائف هدموا قبة سيدنا عبد الله بن عباس، والمعلومات تؤكد أن ثمة آثار أو معالم تاريخية هدمت فى الماضى القريب منها بيت السيدة فاطمة الزهراء، وسقيفة بنى ساعدة، ودار الأرقم بن أبى الأرقم، والعريش التاريخى فى بدر الذى أشرف منه رسول الله ﷺ على المعركة، وكذلك هدمت مساجد مثل مسجد ثنيات الوداع بالمدينة، ومسجد المنارتين، ومسجد المائدة، ومسجد الحمزة، ومسجد الإجابة، ومسجد سلمان، ومسجد الشمس، ومسجد جواثا وهو ثانى مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول ﷺ فى منطقة الأحساء، وكذلك مسجد العباس بن على فى نفس المنطقة.

وفى الوقت نفسه يحتفظون بالآثار اليهودية فى المدينة المنورة مثل حصن كعب بن الأشرف رأس اليهود حيث تحافظ عليه الوهابية من كل سوء، بل تحذر من يحاول هدمه بالعقاب الصارم!! حيث وضعت لوحة إلى جانبه كتب عليها: (تحذير منطقة آثار: يحظر التعدى عليها تحت طائلة العقوبات الواردة بنظام الآثار بالمرسوم الملكى رقم ٢٦ بتاريخ ١٣٩٢/٦/١٢ هـ).

كما أنهم قاموا بتوسعة مسجد قباء، وأدخلوا فيه المكان الذى كان عليه مسجد (ضرار) الذى بناه المنافقون، وأمر الرسول ﷺ بهدمه، وهذا المكان المشؤوم يسعون لإعماره بحجة توسعة مسجد قباء.

فهل الذين يهدمون الآثار والمقدسات الإسلامية ويحافظون على الآثار اليهودية فى المدينة وخيبر.. منا أم منهم؟!

تاسعاً : كراهية الصالحين

الصالحون لهم منزلة عظمى أثبتها القرآن الكريم، وأثبتها الرسول ﷺ، وأيقن بها المسلمون، ولم يمار فيها إلا من كان فى قلبه مرض.

– ومما جاء فى منزلة الصالحين فى كتاب الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ

اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ١١٣، ١١٤).

– وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾ (النساء: ٦٩).

– وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ القَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ (المائدة: ٨٤).

– وقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ (الإسراء: ٢٥).

– وقوله: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: ٣٢).

– وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: ٩).

* والأولياء من صفوة الصالحين كما فى قوله تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِياً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً﴾ (مريم: ٥).

* وكما فى قوله على لسان الملائكة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي

الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (فصلت: ٣١).

* وعن مقام الأولياء العالى ومكانتهم السامية عند ربهم يقول تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢ - ٦٤).

-ويكفى ونحن نتعبد ربنا فى صلاتنا كل يوم فى الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء نقول فى التشهد: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)

والمطلوب هنا: ما هو موقف الوهابية من هذه العقيدة المسطورة فى الكتاب والسنة؟!.

لقد كشف الوهابية عن عقيدتهم فى الصالحين، وموقفهم منهم بكل صراحة وبوضوح لا غبار عليه، ويمكن إجمال ذلك فيما يلى:

١) جاء فى كتاب التوحيد[١] طبعة ١٤٠٤ هـ للرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد ص ٧٦، ٧٧: [أول شرك حدث على وجه الأرض كان بشبهة الصالحين، وسبب ذلك كله

---

١) لمحمد بن عبد الوهاب.

مزج الحق بالباطل، فالأول محبة الصالحين، والثانى فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره).

الرد عليه: المعنى الخبيث لهذا الكلام هو صرف الناس عن محبة الصالحين، حتى يفقدوا القدوة، أما محبة مستر همفر رجل المخابرات الإنجليزية صديق مؤسس الوهابية فجائزة عنده، ومحبة جون سنت هارى فيلبى مستشار الملك عبد العزيز واجبة، والاستغاثة وطلب المدد من بوش رئيس أمريكا، وتاتشر رئيسة وزراء بريطانيا، وميتران رئيس فرنسا فى حرب الخليج الثانية أيضاً جائزة ويثاب فاعلها عند مفتى الوهابية عبد العزيز ابن باز.

٢) جاء فى كتاب (الأجوبة المكية فى الرد على الرسالة النجدية)، وهى رسالة أملاها علماء مكة المعاصرون لابن عبد الوهاب فى الرد على رسالته النجدية ص ٧٢:

قال النجدى: قال الله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِياً مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ

الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً﴾ (النساء: ١١٧ – ١٢١). بيّن الله تعالى بهذه الآيات حال مشركى زماننا حيث يقول واحد: يا ستى خديجة، وواحد يا ستى فاطمة، وواحد يا ستى رابعة، وواحد يا ستى رقية وغير ذلك. ونداؤه كنداء الشيطان فإنه اتخذ منهم نصيباً مفروضاً، وأضلهم فليبتكن الآذان، أى: يجعلونها لهن، ويقولون: هذه لفلانة.

وثبت أن جعل الحيوان وجعل ذبحه وكذا جعل أى شئ كان نذراً أو صدقة لغير الله، وكذا التشريك لغير الله كأن يقول: نذراً لله ورسوله، أو صدقة إلى الله وإلى رسوله شرك من إضلال الشيطان، والشئ المجعول لغير الله حرام نجس.

الرد عليه: انظروا كيف فسر القرآن برأيه، فإن التفسير الصحيح المأثور عن الصحابة إلى هذا الوقت: أنهم ما يعبدون من دون الله إلا آلهة؛ فإنهم يسمون آلهتهم التى كانوا يعبدونها إناثاً، يقولون: أنثى بستى فلانة، فكيف تكون الآية بياناً لحال من قال: يا ستى خديجة، ولم يعتقدها إلهاً ولا يعبدها؟!.

وإن كان مجرد نداء الأنثى مراد الآية وكان شركاً من غير دخول اعتقاد ألوهيتها وعبادتها، فإذا ناديت أمك وأختك تكون مشركاً لأن الشرك إذا ثبت يعم الحى والميت.

وما قال: (نذراً أو صدقة) فجرأة عظيمة، نعم النذر لغير الله حرام حيواناً كان المنذور أم لا، وأما الصدقة لغير الله فالكلام فيها سهو، ألم تسمع مذاهب أهل السنة أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره، واستدلوا بما روى أن النبى ﷺ ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن أقر بوحدانية الله وشهد له بالبلاغ؟. (أخرجه ابن ماجة وعبد الرزاق وأبو داود والترمذى).

فقد جعل النبى ﷺ ثواب تضحيته إحدى الشاتين لأمته، وسيدنا علىّ ضحى بكبشين وقال: أحدهما عن علىّ والآخر عن رسول الله ﷺ، وقال: أمرنى بذلك- أو أوصانى- فلا أدعه. (رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن أبى الدنيا والترمذى).

ألم تسمع أن سعد بن عبادة قال: قلت: يا رسول الله إن أمى ماتت فأى الصدقة أفضل؟ قال: (الماء) فحفر بئراً وقال: (هذه لأم سعد).

انظر أيها النجدى كيف سميت هذا شركاً وتدعى الإيمان!!.

وتحقيق النذر على ما فى الفقه أن النذر الشرعى، أى: إيجاب ما ليس بواجب على نفسه، بأن يقول: لله علىّ كذا، أو يقول: إن قضى الله حاجتى فعلى كذا مختص بالله تعالى، حرام لغيره بأن يقول: يا فلان إن قضيت حاجتى فعلى لك كذا، فإن

المؤثر بالحقيقة والمتصرف فى العالم بالاستقلال ليس إلا الله.

والشئ المنذور الحلال الطاهر فى هذا النذر باق على حلـــه وطهارته لا يصير حراماً ونجساً، وإن كان النذر حراماً فإن هذا النذر باطل لم ينعقد، وليس لقول الناذر المبطل فيه تأثير، وكمـــا يخرج المنذور فى النذر الصحيح من ملك المالك، لا يخرج فى النذر الباطل بل هو باق على ملكه، ويجوز له التصرف فيه بأى وجه شاء أكل أو أنفق وهو كسائر مملوكاتـــه، ويجـــوز أخـــذه بطريق الصدقة المبتدئة والهدية المنفصلة.

وإن كان النذر لله وذكر النبى والولى لبيـــان المـــصرف، أو بطريق التوسل بأن يقول: يا الله إن قضيت حاجتى أتصدق على خدام روضة فلان النبى أو الولى، أو أطعم الفقراء على بابه، أو يقول: يا الله إن قضيت حاجتى ببركة فلان له كذا، أى: أهـــدى لك ثواب صدقة يا نبى الله يا ولى الله ادع فى قضاء حاجتى من الله إن قضى حاجتى أهدى لك ثواب صدقة كذا، فالنذر فى هذه الصور كلها جائز.

وأما ما يقول هذا نذر النبى، هذا نذر الـــولى، فلـــيس بنـــذر شرعى ولا داخلاً فى النهى، وليس فيه معنى النذر الشرعى ما يهدى للأكابر يقال فى العرف نذر، فهذا الجاهل لا يعرف معانى الألفاظ، ولا يميز بين المعانى اللغويـــة والـــشرعية والعرفيـــة،

ويجترئ فى الدين ويخترع.

يقول الشيخ أبو حامد بن مرزوق فى كتابه (التوسل بالنبى وجهلة الوهابيين) ص ٨٤، ٨٥: (والنذر للولى الحى عند الشافعية صحيح يجب صرفه إليه ولا يجوز صرف شئ منه لغيره، والنذر لولى ميت إن قصد الناذر الميت بطل نذره لأن الميت لا يملك، وإن قصد قربة أخرى كأولاده وخلفائه أو إطعام الفقراء الذين عند قبره أو غير ذلك من القرب صح النذر ووجب صرفه فيما قصده الناذر، وإن لم يقصد شيئاً لم يصح نذره، إلا إن كانت عادة الناس فى زمن الناذر ينذرون للميت ويريدون جهة مخصوصة وعلمها الناذر فينزل نذره عليها.

ونذر ما لا يهدى للكعبة كالدراهم والثياب والطعام لنبى أو ولى عند المالكية صحيح، فإن قصد الناذر الفقراء الملازمين للمحل أو للخدمة وجب عليه بعثه إليهم، وإن قصد به نفع الميت تصدق به حيث شاء، وإن لم يكن له قصد حمل على عادة موضع ذلك الولى، ونذر ما يهدى للكعبة بغير لفظ هدى وبدنة وكشاة وبقرة وجمل لولى يلزمه ولا يبعثه له، بل يذبحه بموضعه ويتصدق به على الفقراء ولا يأكل منه ولا يطعم غنياً، وله إبقاؤه حياً والتصدق عليهم بقدر لحمه ويفعل به ما يشاء، وهذا إذا قصد به المساكين بلفظ أو نية، فإن قصد به نفسه

وعياله ونحوهم فلا يلزمه، ولا يضر فى زيارة ولى استصحاب حيوان ليذبح هناك للتوسعة على أنفسهم وعلى فقراء المحل من غير نذر ولا تعيين.. والنذر للمخلوق عند الحنفية لا يصح، ومع هذا لم يقولوا بكفر من نذر له.. فجعل ابن عبد الوهاب النذر والذبح لغير الله من أنواع العبادة فى رسالته (الأصول الثلاثة) جهل فادح) أ. هـ.

٣) قال النجدى كما ورد فى كتاب الأجوبة المكية ص ٧٥: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٦).. هكذا يفعل مشركو زماننا عرباً وعجماً فإنهم يجعلون شيئاً منها لله وشيئاً لنبى وولى وإمام شريف ويكونون مشركين بهذه الشنيعة.

الرد عليه: إن المشركين قالوا: هذا لشركائنا، والمسلمون يقولون: لنبى وولى، هل القول بالنبى والولى أم القول بالشركاء يستلزم الشرك؟!.

ألم تسمع قول سعد بن عبادة: (هذه لأم سعد)، وقول رسول الله ﷺ: (إن من البر أن تصلى لهما مع صلاتك، وأن تصوم لهما مع صومك) (الحديث ذكره المحقق الكمال بن الهمام فى

فتح القدير باب الحج نقلاً عن الإمام الدارقطنى).

٤) قال النجدى فى الكتاب السابق ص ٧٦: قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٣٨)، هذا بيان ما عليه الناس فى زماننا فإنهم يخصصون الآكلين فى نذورهم وصدقاتهم ويحجرون بعضاً، كما لا يطعمون طعام الصدقة للحدَّاد- إمام للمسلمين باليمن- لغير من هو فى سلسلة إرادته ويخصصونه لمريديه، وما يجعلونه للعيدروس يخصصونه لأولاده، ويجعلون بعض الأنعام لغير الله ويقولون هذه لمحمد وهذه لعلى ولا يذكرون اسم الله عليه ولا يقولون هى لله.

الرد عليه: معنى الآية أن المشركين قالوا: (هذه) إشارة إلى ما جعلوه لآلهتهم ﴿أنعام وحرث وحجر﴾ أى حرام ﴿لا يطعمها إلا من نشاء﴾ يعنى البحائر وأمثالها ﴿لا يذكرون اسم الله عليها﴾ فى الذبح وإنما يذكرون اسم آلهتهم افتراء عليه بأن الله أمرهم بذلك ﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾.

فكيف يكون بياناً لحال من لم يعتقدوا الأنبياء والأولياء آلهة، ولم يجعلوا الأنعام والحرث لآلهتهم، ولم يقولوا: إن الله حرمها،

ويذكرون اسم الله عليها فى الذبح؟!.

أما تخصيص الآكلين فى النذور وفى الصدقات فاختيار الناذر والمتصدق، والصدقة للميت تبلغه وتنفعه ويسر بها. فأكل محبه ومنتسبه يكون سبباً لمزيد سروره، فالتخصيص لهذا السبب أو لغيره- من غير أن يقال إنه حكم الله تعالى- لا يدخل فى حكم الآية.

ألم تسمع ما قالت السيدة عائشة: (ما غرت من أحد من نساء النبى ﷺ ما غرت من خديجة، وما رأيتها قط ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح شاة ثم يقطعها أعضاء يبعثها فى صدائق خديجة) (أخرجه الشيخان).

٥) قال النجدى فى الكتاب السابق ص ٧٨: عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من حلف بغير الله فقد أشرك) (راوه الترمذى)، أنظروا كيف صرح النبى بشرك من حلف بغير الله، فكيف نقول بإيمان من يقول بأبى وأمى وبالنبى والولى، فالحالف بهم مشرك كالحالف باللات والعزى.

الرد عليه: أيها الجاهل كيف تقول ذلك وقد قال النبى ﷺ لفظ: (وأبيه) فى الحديث الذى رواه مسلم والبخارى وأبو داود والنسائى والدارمى والإمام مالك: (أفلح وأبيه إن صدق).. ومعنى الحديث من حلف بغير الله على اعتقاده الغير إلهاً.

وفى المسألة تفصيل: إن حلف بغير الله على الاعتقاد يكفر، وعلى المودة لا يكفر ولكن لا يخلو من المعصية، وعلى العادة لا كفر ولا معصية، وقد خرج من بعض الصحابة بحضرته ﷺ ولم ينكر عليه.

والحلف بالنبى ﷺ صحيح على مذهب إمامه- ابن حنبل- الذى يتغالى فيه فى غير هوى شيخه- ابن تيمية- الذى أصمه وأعماه، فاليمين بالنبى ﷺ عند الإمام أحمد وأصحابه منعقدة يلزم الحانث فيها الكفارة، قالوا: لأنه ﷺ شطر الإيمان، وقد أقسم الله به فى قوله تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون﴾ (الحجر: ٧٢)[١].

٦) قال النجدى فى الكتاب السابق ص ٧٨: عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابى فقال: جهدت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فقال النبى: (سبحان الله) حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه فقال: (ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدرى ما الله إن عرشه على سمواته هكذا).. أنظروا كيف تغير حال النبى باستماع قول الأعرابى: إنا نستشفع بالله عليك، ولا يبالى

---

١) التوسل بالنبى وجهلة الوهابيين، لأبى حامد مرزوق ص ٩٠.

مشركو زماننا شركياتهم وكفرياتهم، يقولون: يا محمد أغثنى لله.. يا على أدركنى لله.. يا عبد القادر أعطنى لله!.

الرد عليه: ألم تسمع قوله ﷺ: (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) (رواه أبو داود والضياء المقدسى والسيوطى) وقوله ﷺ: (من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه) (رواه أحمد وأبو داود والسيوطى).

ألا ترى الفرق بين نستشفع بالله عليك وبين أعطنى لله؟!.

٧) كان ابن تيمية حاقداً على الصالحين، يحاول التقليل من شأنهم- وهو من السمات المميزة لشخصيته- فقد كان كثير السب لابن عربى، والعفيف التلمسانى، والإمام الغزالى، والفخر الرازى، وكثير النيل والتهكم عليهم ويصفهم بأنهم فراخ الهنود واليونان.. وإذا ذكر العلامة ابن المطهر الحلى، يقول: ابن المنجس.!

وإذا ذكر دَبيران بفتح الدال صاحب المنطق، لا يقول إلا: دُبيران بضم الدال. [انظر الوافى للصفدى ٧: ١٨ - ١٩] وقد دون ذلك من سماعه المباشر عن ابن تيمية فى دروسه.

أبو جهل وأبو لهب أفضل من المسلمين:

٨) جاء فى كتاب (كيف نفهم التوحيد)، طبع الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة بالرياض طبعة ١٤٠٨- ١٩٨٧ ص ١٦: [أبو جهل وأبو لهب ومن على دينهم من المشركين، كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه فى الربوبية خالقاً ورازقاً، محيياً ومميتاً، ضاراً ونافعاً، لا يشركون به فى ذلك شيئاً، عجيب وغريب أن يكون أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيداً لله وأخلص إيماناً به، من المسلمين الذين يتوسلون بالأولياء والصالحين، ويستشفعون بهم إلى الله!! أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيداً وأخلص إيماناً من هؤلاء المسلمين الذين يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله][1]!!.

الرد عليه: لا تعليق!!!.

٩) الوهابية يطعنون بسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فيقولون: الغبار الذى دخل فى أنف فرس معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز بألف مرة. [انظر كتابهم إطلاق الأعنة ص ١٦، ومجلتهم نداء الإسلام العدد الخامس جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ].

---

١) تأليف محمد أحمد باشميل.

الرد عليهم: لا تعليق!!

١٠) الوهابية يقولون: عن عقيدة الأزهر إنها عقيدة شركية، والأزهر يخرج عاهات.. كما فى مجلتهم الذكرى.

الرد عليهم: إن الأزهر هو منارة الإسلام منذ أكثر من ألف عام، يشهد بذلك الحبيب والعدو، وما من بلد إسلامى إلا وللأزهر أيادٍ بيضاء عليه، ولم يجرؤ مسلم على مدار التاريخ أن يهاجم الأزهر وخصوصاً فى عقيدته، لأنها عقيدة حقة، فإذا جاء الوهابيون اليوم ليطعنوا فى عقيدة الأزهر فإنهم يصرحون بفكرهم اليهودى، وحقدهم على الإسلام، وهيهات هيهات أن تستطيع جامعة الوهابية- جامعة محمد بن سعود- أن تكون منافساً للأزهر مهما أرجفوا فى المدينة، وبثوا سمومهم ضد الأزهر الشريف.

١١) جاء فى جريدة (نداء الوطن) اليمنية يوم ١٩٩٤/٩/٣ تحت عنوان: يهاجمون أضرحة أولياء عدن: [حتى أن أمواتنا المسلمين لم يسلموا منهم فقد دخلوا إلى اليمن ونبشوا القبور بالجرافات، وكانوا مزودين بالقاذفات الصاروخية والرشاشات].

تعليق: أين هذه القاذفات الصاروخية والرشاشات من اليهود الذين يقتلون أهل فلسطين ويدنسون المقدسات الإسلامية؟ وأين هذه القاذفات والرشاشات من الصليبيين وهم يبيدون إخواننا

المسلمين فى أفغانستان والشيشان والعراق؟ وأين هذه القاذفات والرشاشات من الوثنيين الذين يقتلون إخواننا فى كشمير؟ وما هى الفائدة التى ستعود على الإسلام من نبش قبور الأموات وهدم روضات الصالحين؟ وأين هؤلاء من قوله ﷺ: (اذكروا محاسن موتاكم)؟ فإذا كان مجرد الحديث عن الأموات لابد أن يكون حسناً.. فكيف بمن هتك حرمة الأموات- فضلاً عن الأولياء والصالحين- بزعم أنه موحد وغيور على السنة؟!!.

١٢) جاء فى كتاب (عقيدة المؤمن) لكبير مرتزقة الوهابية[١] ص ١٤٤ قوله: (إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم، والتوسل بجاههم لم يكن فى دين الله تعالى قربة ولا عملاً صالحاً فيتوسل به أبداً، وإنما كان شركاً فى عبادة الله محرماً، يخرج فاعله من الدين، ويوجب له الخلود فى جهنم).

الرد عليه: قال ﷺ: (اللهم بحق السائلين عليك) (رواه ابن ماجة، والإمام أحمد، والطبرانى، والبيهقى).

ففى هذا الحديث دليل على جواز التوسل بالأحياء والأموات، لأن لفظ السائلين جمع يشمل الأحياء والأموات، من كان حاضراً ومن كان غائباً، فظهر تلبيس هذا المرتزق وشيوخه ابن تيمية وابن عبد الوهاب، والحق فى هذا الحديث هو الحرمة

---

١) أبو بكر الجزائرى.

والمنزلة والجاه قطعاً، أيكون يا عباد الله لكل مؤمن سائل حق وحرمة عند الله ولا يكون ذلك للصالحين فضلاً عن سيد الوجود ﷺ.. إنها لا تعمى الأبصار.

١٣) جاء فى كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)[١]، علق عليه كبير سدنة الوهابية الهمفرية[٢] ص ٢١٥: [فكل من دعا نبياً أو ولياً من دون الله فقد اتخذه إلهاً، وضاهى النصارى فى شركهم، وضاهى اليهود فى تفريطهم.. فإن النصارى غلوا فى عيسى عليه السلام، واليهود عابوه وسبوه وتنقصوه، فالنصارى أفرطوا، واليهود فرطوا].

الرد عليه: لقد جهل هذا المتعالم سليل مؤسس الوهابية معنى الدعاء الوارد فى القرآن فى مواضع كقوله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ (الحج: ١٣)، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ (الأحقاف: ٥)، ظنوا أن هذا الدعاء هو مجرد النداء، ولم يعلموا أن معناه العبادة التى هى غاية التذلل، فإن المفسرين قد أطبقوا على أن ذلك الدعاء هو عبادتهم لغير الله على هذا الوجه، ولم يفسره أحد من اللغويين والمفسرين بالنداء، لذلك صار هؤلاء يكفرون من

---

١) تأليف عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، حفيد محمد بن عبد الوهاب.
٢) عبد العزيز بن باز.

يقول: يا رسول الله، أو: يا أبا بكر، أو: يا على، أو: يا جيلانى، أو نحو هذا فى غير حالة حضورهم فى حياتهم وبعد وفاتهم، ظناً منهم أن هذا النداء هو عبادة لغير الله، هيهات هيهات، ألم يعلم هؤلاء أن القرآن والحديث لا يجوز تفسيرهما بما لا يوافق اللغة.

وماذا يقولون فيما رواه البخارى فى الأدب المفرد عن ابن عمر أنه خدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك، فقال: (يا محمد)، فهل يكفرونه لهذا النداء أم ماذا يفعلون؟

ومن شبه هؤلاء إيرادهم لحديث ابن حبان والترمذى: (الدعاء هو العبادة)، فالجواب أن معنى الحديث أن الدعاء الذى هو الرغبة إلى الله- كما عرف بذلك علماء اللغة الدعاء- من أعظم أنواع العبادة، بمعنى ما يتقرب به إلى الله، لأن الصلاة التى هى أفضل ما يتقرب به إلى الله بعد الإيمان مشتملة على الدعاء، فهذا من العبادة التى هى أحد إطلاقى لفظ العبادة فى عرف أهل الشرع كإطلاقها على انتظار الفرج فى قوله ﷺ: (انتظار الفرج عبادة) (أخرجه الترمذى والطبرانى)، وهذا الإطلاق راجع إلى تعريف العبادة العام الذى هو غاية التذلل، لأن العبد لما يدعو الله تعالى راغباً إليه حيث إنه خالق المنفعة والمضرة، فقد تذلل له غاية التذلل.

الوهابية يكفرون شيوخهم

١٤) تنكر الوهابية أن ينفع الأمـوات غيـرهم، وزعـيمهم النجدى ابن عبد الوهاب ذكر فى كتاب (أحكام تمنـى المـوت) ص ٥٥ خلاف ما يدعونه، وأثبت نفع بعض الأموات لـبعض الأحياء، وذكر فى ص٧٥ ما نصه: [أخرج سعيد الزنجانى عن أبى هريرة مرفوعاً- أى إلى النبى ﷺ-: من دخل المقابر ثم قرأ فاتحة الكتاب و ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿ألهاكم التكاثر﴾ ثـم قـال: إنى جعلت ثواب ما قـرأت لأهـل المقـابر مـن المـؤمنين والمؤمنات، كانوا شفعاء له إلى الله تعالى].

ويستمر الوهابيون فى تخبطهم حيث ينكرون على من وقف عند قبر المسلم ليقرأ سورة يس، عاملاً بقـول رسـول الله ﷺ: (اقرأوا يس على موتاكم)، فإن كانوا على حق فماذا يقولون فى زعيمهم النجدى حين قال ص ٧٥ من الكتاب السابق ما نـصه: [وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال بسنده عن أنس مرفوعـاً: (من دخل المقابر فقرأ سورة يس، خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات)؟..

إنكم أيها الوهابيون المتمسلفون أمام أمرين:

أ - إما أن تحكموا على أنفسكم بالجهل والضلال ومخالفـة القرآن والسنة والأمة.

ب – وإما أن تحكموا بذلك على شيخكم النجدى.

ويواصل الوهابيون إظهار جهلهم المركب فيقول أحـــدهم[1] فى ص ٧٤ من كتابه (فتاوى مهمة لعموم الأمة): [القراءة على القبور غير مشروعة وهى بدعة (أى ضلالة)] أما ابـــن القـــيم شيخهم وتلميذ إمامهم ابن تيمية فيقول فى رسالته (مـــشروعية زيارة القبور) ص ١٧ ما نصه: (وقد ذكر عـــن جماعـــة مـــن السلف أنهم أوصوا بأن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن).

فهل يكفر الوهابية شيخهم على ذلـــك أم يعترفـــون بجهلهـــم وضلالهم؟!.. وماذا يقولون فيما ذكره ابن القيم: أن سيدنا عبـــد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة؟!.

وماذا يقولون فى كلام الشوكانى فى كتابه (تحفة الـــذاكرين) ص ٥٩ طبعة دار الكتب العلمية: [إن من أماكن إجابة الـــدعاء قبور الأنبياء وقبور الصالحين، ووجه ذلك مزيد الشرف ونزول البركة، وقد قدمنا– الكلام للشوكانى– أنها تسرى ببركة المكـــان على الداعى كما تسرى ببركة الصالحين الذاكرين الله على مـــن دخل فيهم ممن هو ليس منهم كما يفيده قوله ﷺ: هـــم القـــوم لا يشقى جليسهم؟].

---

١) محمد بن صالح العثيمين.

عاشراً: شغل الأمة الإسلامية بفروع لتضييع الأصول

على نهج ابن عبد الوهاب الفاسد تسير الوهابية اليوم، بل وأصبح عداؤهم للأمة الإسلامية واضحاً وصريحاً، ونلمس ذلك فى الكتيب الذى ألفه مفتى الوهابية[١] وتابعه[٢] بعنوان: (فتاوى مهمة لعموم الأمة) هذا الكتاب يقسم المسلمين إلى ثلاث طوائف: كافر، ومشرك، ومبتدع.

فالمشرك: من يحلف بغير الله حتى ولو كان بالنبى ﷺ، وكذلك من يزور روضات الأولياء والصالحين، ويتوسل بهم أو بالنبى ﷺ، ومن يدعو عند روضاتهم يعتبر عابدا لغير الله وهو شرك أكبر، ولا يجوز زيارة روضة النبى ﷺ، بل يجوز زيارة مسجده، ويحرم تعليق الصور بالمنازل وغيرها، ويحرم زيارة النساء للقبور.

والكافر: الشيعة، الذين يبلغ عددهم أربعمائة مليون مسلم- فى نظر الشيخين[٣] - رافضة، والرافضة كفار. والمرأة المتزوجة وزوجها لا يصلى- يستوى التهاون مع إنكار

---

١) عبد العزيز بن باز.

٢) محمد بن صالح العثيمين.

١) ابن باز والعثيمين.

الصلاة- ينفسخ نكاحها لأنها صارت أجنبية عنه، ويجب عليها أن تذهب إلى أهلها حتى ولو كانت ذات أولاد منه، لأن زوجها كفر بعد إسلامه، ولا حق للزوج الكافر فى حضانة المسلم، وإن صلى زوجها عادت إليه مادامت فى العدة، وإن مرت العدة تعود إليه إن شاءت بعقد جديد.

والمبتدع: من يبنى المساجد على القبور، وكذلك القباب على القبور، ومن يقرأ القرآن عندها، والمحتفل بالموالد لإحياء ذكرى الصالحين، وكذلك من يحتفل بالمولد النبوى الشريف، أو بليلة القدر، أو ليلة الإسراء والمعراج، أو ليلة النصف من شعبان.

وعلى هذا التقسيم: لن يفلت مسلم واحد من الشرك أو الكفر أو البدعة.

فإلى متى هذا العبث بالدين وتشتيت الأمة الإسلامية؟.

- ولماذا تصدر مثل هذه الكتب فى هذا الوقت الذى نحن فى أمس الحاجة إلى الوحدة ولم الشمل الإسلامى لمواجهة هذه الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين؟.

- هل هز مشاعر شيوخ الوهابية وأمرائهم ما جرى لبيت المقدس وفلسطين، ولمسلمى البوسنة والهرسك والشيشان وأفغانستان ولبنان والعراق، كما هزهم روضة سيد الشهداء

حمزة بن عبد المطلب الذى كان الصحابة يزورونه ويصلون عنده؟!.

– أم أثارهم التسلط الأمريكى على منابع النفط فى بلادنا الإسلامية، كما أثارهم روضة ريحانة الرسول الحسين بن على الذى كان الصالحون يشدون الرحال لزيارته وحتى فى زمن الإمام أحمد بن حنبل كما نقله ابن تيمية؟!.

– وهل أثارهم الحصار المفروض على ليبيا والسودان والعراق بلا حجة وبلا أدنى ذريعة يمكن قبولها، كما أثارهم ما وجدوه من هدايا علقت عند روضة الرسول الأكرم ﷺ فسرقوها؟!.

إنها لمن دواعى الأسى أن تنفق كل هذه الأوقات والجهود والأموال والطاقات الفكرية فى الخوض فى سفاسف الأمور، وتوافه الكلام، التى لا ينشد لها إلا الجهلة والغوغاء والعاطلون من الناس.. وإليك بعض الأمثلة التى شغلوا أنفسهم بها:

– جاء فى كتاب التوحيد على طريقة السؤال والجواب [1]، نشر رابطة العالم الإسلامى (الوهابية)، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ص ٧٩:

---

١) تأليف محمد المرزوقى بن عبد المؤمن.

س: ما حكم أهل الطرق، هل هم من أولياء الرحمن أم من أولياء الشيطان؟.

ج: بل هم من أولياء الشيطان.

س: ولم قلت ذلك؟

ج: لأنهم خالفوا الله وخالفوا رسوله ﷺ الذى طاعته طاعة لله ومخالفته مخالفة لله.

وجاء فى الكتاب السابق ص ١١٩ ، ١٢٢، ١٣٨:

س: ما حكم حالق اللحية؟

ج: حالق اللحية منافق فاسق خارج عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والفاعل والمفعول فى ذلك سواء، الفاعل الحالق، والمفعول المحلوق له.

س: هل تجوز إمامته أم لا؟

ج: لا تجوز إمامته ولا شهادته ولا صحبته خليلا لك، لقول الرسول ﷺ: (المرء مع من أحب)، وإذا قدمته إماما لك فقد عظمته وتعظيمه لا يجوز.

س: هل يجوز أن يكون حالق اللحية مؤذنا أم لا؟

ج: كما لا تجوز إمامته كذلك لا يجوز كونه مؤذنا.

س: ولم لا يجوز ذلك؟.

ج: لأنه خائن، والخيانة نقض ما جعل عليه أمينا سواء في أمور الدين أو الدنيا.

- وجاء فى الكتاب السابق ص ١٤٠:

س: ما حكم من يترك الشوارب ولا يقصها؟

ج: إنه مخالف لله ولرسوله ﷺ مثل حالق اللحية فى جميع ما قدمناه فيه.

س: وهل تجوز إمامته أم لا؟

ج: لا تجوز إمامته ولا شهادته ولا صحبته لغير ضرورة شرعية.

س: ولم قلت ذلك؟

ج: لأنه عاص لله ولرسوله ﷺ عصيانا ظاهرا لا شبهة فيه ولا إشكال.

* * *

إن الذى جعل الوهابية يجدون شغلهم الشاغل في هذه المواضع عدة أمور كلها تصدق عليهم:

منها: الضحالة الفكرية وضيق الأفق.. فهم لا يحسنون شيئا

إلا هذا النوع من الكلام، ولا تستوعب أذهانهم سوى هذا المدى من التفكير.

ومنها: العجز عن فهم الحياة وعن مواكبة العصر.. فهم عاجزون تماما عن التقدم في البحوث الدينية والعلمية والاجتماعية تقدما مقبولا في هذا العصر الحديث، فينكبون على الكلام البالي والمهترئ، فيبالغون في تعظيمه وتقديسه لكي يجدوا لأنفسهم منفذا يطلون منه على هذا العالم المتقدم.. وياليتهم نجحوا في تقديم المعلومات والأحكام الشرعية الصحيحة للناس، إذ ليس من شروط الإمامة أو الشهادة أو الأذان أو الصحبة في الإسلام إطلاق اللحية أو قص الشارب.. ولو كانوا صادقين فليأتوا لنا ببينة، وإن كانوا منصفين فليقرأوا شروط الإمامة والأذان والشهادة والصحبة وسوف ينقلب إليهم البصر خاسئا وهو حسير.

ومنها: ضيق صدورهم وامتلاء قلوبهم بالحقد وكراهية الخير وحب الشر لهذه الأمة.. فمن تتبع لهجاتهم ونبراتهم المتشنجة والمتوترة، وإنشدادهم انشدادا في غير محله، وتهورهم في الخطاب، لمس فيهم الضحالة وضيق الأفق والحقد والبغض والهمجية والتخلف بكل معانيها.

ومنها: موالاتهم الصريحة والعلنية لأعداء الإسلام.. وهذا

موضوع لا يحتاج إلى بيان، وليس هو بخاف على أحد، فليس بين فئات المسلمين من يدين بالولاء للصليبية والصهيونية كما يدين لهم الوهابية، واقرأ فتاواهم. وأفعالهم العملية تؤكد ذلك، فهم يخضعون لهم، ويتقربون إليهم، ويدافعون عن عملائهم الخونة، وما يزال هذا هو دينهم الذى لا يرتضون له بدلا، وليس أدل على ذلك من وجود قوات صليبية وصهيونية فى منطقة حفر الباطن ببلد الوهابية.

إن وجودهم فى بلاد الإسلام فتح ولا يزال يفتح الأبواب أمام الصهيونية والصليبية المعتدية لتنفذ كيف تشاء فى الكيان الإسلامى، فتمزق وتنهب وتدمر وتحاصر وتبسط نفوذها، وهؤلاء يمهدون لها كل شئ ويساندون إخوانهم الخونة فى كل مكان.

إنهم الجرثومة الخبيثة التى مهدت للغرب سابقا أن يزرع إسرائيل اللقيطة فى قلب هذه الأمة.. وهم الذين ساندوا على الدوام جميع الأنظمة العميلة للغرب ووقفوا معها بوجه حركات التحرر الأبية.

وهم الجرثومة الخبيثة التى تمهد لتثبيت أقدام المعسكر الغربى فى قلب العالم الإسلامى.. ولتثبيت إسرائيل اللقيطة حتى لا يفكر أحد فى إزالتها.

وهم الأيادى اللعينة التى يحركها الغـرب لمواجهـة أهـل الصلاح فى الأمة الإسلامية، ومساندة الأنظمة العميلة والمنافقة التى تتولى قمعهم بالنار والحديد.

هذه هى حقيقة ما أنجزه الوهابيون وما ينجزونه اليوم ومـا يدينون به لمستقبلهم!!.

إنهم يخشون الأمة الإسلامية كمـا تخـشاها إسـرائيل، لأن مصيرهم أصبح رهينا بمصير إسرائيل.

ولتوضيح عمالتهم للصهيونية والصليبية عليك بقراءة، البنـد الحادى عشر من التجديد الوهابى السعودى.

الحادى عشر: الولاء التام للصهيونية والصليبية

ما أن يفتح المسلم عينيه إلا ويدرك أن الوهابية هم أول خدام الاستعمار الغربى فى بلاد المسلمين.. وليس هذا فقط، بل إنـك لو تتبعت تراث مؤسس الوهابية وقادة الوهابية من بعده فلا تجد أثرا لعمارة الأرض، وإقامة العدل، وإنصاف المظلوم، ومكافحة الفقر والجهل، ولا تجد فيه أثرا لتحسين وجه الحيـاة، وتحقيـق التقدم العلمى والاقتصادى والجماعى، ولا أثرا للسلم والرخاء.

بل لا تجد فيه سوى تكفير المـسلمين ورمـيهم بالـشرك، وإيجاب قتالهم واستباحة دمائهم وأموالهم!!، إن كل الذى يشغلهم

هو وجود قبر هنا، ومسجد هناك، ورجل يقول: يا نبى الرحمة اشفع لى عند الله!!، هذا هو شغلهم الشاغل لا غير، وهذا هو همهم الوحيد الذى انطلقوا تحت غطائه يسفكون دماء المسلمين، ويستبيحون المحرمات، ويثيرون الفتن واحدة بعد الأخرى، ولا يهمهم بعد ذلك أن تكون بلاد المسلمين غرضا للأعداء من مشركين وكفار وملاحدة وصليبيين وصهاينة.

وموالاتهم الصريحة والعلنية لأعداء الإسلام لا تحتاج إلى بيان، وليس أدل على ذلك من وجود هذه القوات الهائلة للصليبية والصهيونية بشبه الجزيرة العربية.

لن نبعد بك كثيرا أيها القارئ الكريم إلى أيام تجنيد مستر همفر رجل المخابرات البريطانى لمحمد بن عبد الوهاب ليكون عميلهم الأول فى بلاد الإسلام، ولا لبداية المؤامرة على الأمة بين محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب، ولكن سنبدأ حديثنا معك منذ بداية القرن العشرين، كما جاء فى كتاب (بريطانيا وابن سعود) لمحمد على سعيد، ص ٢٢١- ٢٢٥، حيث قال المؤلف: (يمكننا تقسيم الفترة التى خضع فيها ابن سعود لبريطانيا على عدة مراحل):

١) **المرحلة الأولى:** وتمتد بين عامى (١٩٠١-١٩٣٣)، أى منذ استيلاء عبد العزيز على الرياض إلى أن وقع على تسليم

الامتياز النفطى إلى الشركات الأمريكية.. فى هذه الفترة، كانت بريطانيا المسيطر الفعلى على ابن سعود، بل إن العلاقات بينه وبين الدول الأخرى كانت معدومة ، وإذا اتصل به أحد مسئولى الدول يبلغ بريطانيا على ذلك فورا، والأكثر من ذلك، رفضت بريطانيا السماح لعبد العزيز بإقامة علاقات مع الزعماء العرب، وخصوصا الزعماء الفلسطينيين.

وقد ذكر ناصر السعيد فى كتابه (تاريخ آل سعود) ص ٩٥١، أنه قبل وعد بلفور كتب الملك عبد العزيز اعترافا يجعل فلسطين وطنا لليهود يقول فيه: **(أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود، أقر وأعترف ألف مرة للسير برسى كوكس مندوب بريطانيا العظمى، لا مانع عندى من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم، كما ترى بريطانيا، التى لا أخرج عن رأيها حتى تصيح- تقوم- الساعة).**

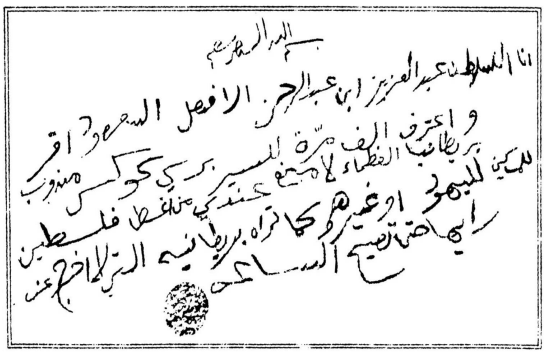

٢) **المرحلة الثانية:** وهى الفترة الواقعة بين عامى (١٩٣٣-١٩٣٩م)، أى فى الفترة التى تلت توقيع امتياز النفط إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية، ويمكننا تسمية هذه المرحلة (مرحلة الانفتاح النسبى الخاضع للسياسة البريطانية)، ففى هذه المرحلة ابتليت بريطانيا ببعض المشاكل فى مستعمراتها، وبالذات فى فلسطين، فأوعزت إلى عبد العزيز أن يقوم بتهدئة الثورات فى فلسطين، فكان له علاقات جيدة ببعض ملوك العرب وأمرائهم وبعض الزعماء الفلسطينيين، ولم تتعد العلاقات الخارجية هذه الحدود إلا بالاستئذان من بريطانيا، وقد اعترف ابن سعود بهذه العمالة الواضحة لبريطانيا بقوله: (**إننى منذ أن أوجدنى الله، وصرت أسعى لاستعادة ملك آبائى وأجدادى، ما عرفت من الدول غير بريطانيا- وكانت صديقتى- رأيت منها ما سرَّنى، ورأت منى ما سرها، ولما نشبت الحرب أيدت سياستها وسياسة حلفائها، وثوقا منى بأن ذلك فى مصلحتى أولا، ومصلحة العرب جميعا ثانيا**).

٣) **المرحلة الثالثة:** وهى فترة الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، ويمكن تسمية هذه المرحلة (بمرحلة الصراع) ففى هذه الأثناء دخلت بريطانيا الحرب ضد هتلر، فكانت بحاجة لدعم الحلفاء الأمريكيين الذين لم يتوانوا فى ممارسة ضغوطهم لتثبيت مواقعهم فى مملكة ابن سعود، وكان

ابن سعود على اتصال بالجانبين، ورغم أنه كان يميل إلى بريطانيا الصديقة التقليدية، إلا أن المعونات الاقتصادية الأمريكية، ودور شركات النفط الأمريكية رجحت جانب الأمريكان.

٤) **المرحلة الرابعة:** وهى المرحلة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية إلى اليوم، حيث أصبحت أمريكا المسيطر الفعلى على مجمل الأوضاع فى الجزيرة، وشرعت أمريكا بتصفية كل الأملاك البريطانية- بسبب أزمة بريطانيا الاقتصادية- واستلام زمام الأمور مكانها، أما عبد العزيز فإنه كان مع المنتصر القوى (أمريكا) إذ لا مجال للضعيف المتردى). أ.هـ.

وعشية إصدار قرار تقسيم أرض فلسطين فى ١٩٤٧/١١/٢٩م وتأسيس دولة صهيونية على أرض فلسطين، أرسلت الوفود العربية برقية إلى ابن مسعود يلحون عليه بإصدار تصريح يهدد فيه بقطع البترول إذا صوتت أمريكا على قرار التقسيم، فما كان منه إلا أن قال معاكسا: (**إن المصالح الأمريكية فى السعودية محمية، وإن الأمريكيين هم من أهل الذمة وإن حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه فى القرآن الكريم**) (بريطانيا وابن سعود، لمحمد على سعيد، ص٢٨١، ٢٨٢). ويمكن أن نفهم ضمنا من رسالة ابن سعود

أن حماية أرض فلسطين ليس منصوصا عليها فى القرآن لأنهم ليسوا من أهل الذمة!!.

وواصل أبناء عبد العزيز وأحفاده المسيرة، فى خدمة المصالح الأمريكية والصهيونية، فحين اندلعت الانتفاضة الفلسطينية، وعقدت القمة العربية بلبنان فى مارس ٢٠٠٢م، تقدم الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد السعودى بمبادرة لحل الصراع الصهيونى الفلسطينى العربى الإسلامى، وذلك بتثبيت الكيان الصهيونى العنصرى فى مكانه مقابل الانسحاب إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧م أى: الانسحاب من ٢١% فقط من أرض فلسطين، مقابل التطبيع الكامل معه، والاعتراف بوجوده، ووقف والجهاد المسلح لتحرير الأرض والمقدسات.

تغليف العمالة بالدين:

الوهابية ينوعون الوسائل والأساليب وفق ما ينسجم ومخططهم، ويلبسون أعداء الإسلام من الثياب ما يعينهم على إخفاء حقيقتهم، ويدفعهم تحت جنح الظلام باتجاه الهدف المنشود، فكثرت مؤلفاتهم ومنشوراتهم وفتاواهم الممولة بعملة العمالة، وبما تأباه النفوس الكريمة لما فيه من الضلال والفساد، وإليك جملة من هذه الفتاوى:

١) ذكرت مجلة (منار الهدى) فى عددها (٣٠) الصادر فى

ذى القعدة ١٤١٥هـ فتوى لابن باز مفتى السعودية السابق، يدعى فيها جواز الصلح الدائم بلا قيد ولا شرط مع اليهود، مما جعل شيمون بيريز رئيس الوزراء الصهيونى الأسبق يعلن تأييده للفتوى داعيا الناس إلى أن يحذو حذوه.

٢) أصدر ابن باز فتوى تجيز الاستعانة بالأمريكان وذيولهم لمحاربة المسلمين فى العراق فى حرب الخليج الثانية ١٩٩١م، بل ويعتبر ذلك واجبا.. وحتى الآن فإن هذه القوات مازالت موجودة تعيث فسادا بجوار المقدسات الإسلامية، فقد نشرت مجلة (الكفاح العربى) العدد (٩٤٢) السنة ٢٣ بتاريخ ١٩٩٦/٨/١٩م مقالا قالت فيه: (دعارة وشذوذ ومخدرات فى القوات السعودية والأمريكية) وأضافت المجلة: (إن هناك تحقيقات تجرى داخل القوات المسلحة السعودية لمختلف الفئات بتهمة الفساد الأخلاقى داخل الجيش).. هذه القوات كانت تخرج من قواعدها لتضرب المسلمين فى العراق عام ١٩٩١-١٩٩٨- حتى احتلتها العام ٢٠٠٣م، وتضرب المسلمين أيضا فى أفغانستان العام ٢٠٠٢م، حتى احتلتها بحجة القضاء على عميلهم أسامة بن لادن الوهابى الذى صنعه ومولـه ثالوث الشر (الوهابى الصهيونى الصليبى) لقتل المسلمين فى أفغانستان والسودان وغيرهما.

٣) كانت الطامة الكبرى فى الفتوى التى أصدرها ابن بـــاز ونشرت فى جريدة (المسلمون) السعودية العدد (٦٣١) الـــصادر فى ٢٨ شوال ١٤١٧هـــ الموافق ١٩٩٧/٣/٧م حيث ورد سؤال يقول: (البعض يضع ماله فى البنوك الربوية ويأخذ فائدة علـــى هذا المال، فهل يجوز أخذ هـــذه الفائـــدة وصـــرفها للأعمـــال الخيرية، لأنه لو لم يأخذها فسوف تذهب لليهـــود والنـــصارى ويستفيدون منها فى محاربة الإسلام؟) فماذا كانت الإجابة؟!!.

قال الشيخ العميل بالحرف الواحد: (ليس له أن يأخـــذ الربـــا مطلقا، ولو قال إنه سيتصدق بها، ليس له أن يتعامـــل بالربـــا.. نفس مباشرة العمل بالربـــا منكـــر، وإذا ذهبـــت إلـــى اليهـــود والنصارى فالإثم على من فعله وليس عليه هو).

ونلاحظ فى هذه الفتوى: أنه لم يعترض على وضع الأموال فى بنوك اليهود والنصارى، وحـــرم علـــى فقـــراء المـــسلمين الاستفادة من الفائدة، وأحل لليهود والنصارى أخذ الفائدة، ووافق على محاربة اليهود والنصارى للمسلمين بفوائد أمـــوال أغنيـــاء المسلمين.

٤) نشرت مجلة (الحرس الوطنى) السعودية السنة ١٤ العدد (١٣٤) ربيع الآخر ١٤١٤هـــ الموافق أكتوبر ١٩٩٣م ما يلى: (أفتى ناصر الألبانى بوجوب هجرة أهل فلسطين المقيمين فـــى

الأراضى المحتلة وترك ديارهم ووطنهم لليهود! وحجته فى ذلك أن أهل فلسطين يتعرضون لـــلأذى فـــى ديـــنهم وأعراضـــهم وأموالهم على يد إسرائيل، وأن الرسول هاجر من مكة وتركها للكفار).

٥) فى شهر مايو ٢٠٠١م أفتى عبد العزيز آل الشيخ مفتـــى السعودية الحالى بأن العمليات الاستـــشهادية التـــى يقـــوم بهـــا الفلسطينيون نوعا من قتل النفس وليس الاستشهاد. وهذه الفتوى وسابقتها لا تحتاجان إلى تعليق لوضوح العمالة والخيانة للإسلام والمسلمين فيهما، خدمة لأسيادهم الـــصهاينة، وحرصـــا علـــى حياتهم وراحتهم، فى حين أنهم اعتبروا الوهابى الذى فجَّر نفسه فى مسجد شيعى بباكستان شهيدا!!.

الوهابية وحرب العراق:

بعد الحصار الصليبى الصهيونى على العـــراق منـــذ عـــام ١٩٩١م، والذى أدى إلى وفاة مليون ونصف المليون من شعبه المسلم، جاءت أمريكا وحلفاؤها بحاملات الطائرات والصواريخ والجنود لاحتلاله ٢٠٠٣م، ففتحت لهم الوهابية الجزيرة العربية، لتكون قاعدة الانطلاق لضرب العراق، وزعمت أمريكـــا أنهـــا تريد الحرية لشعب العراق، وتدمير أسلحة الدمار الشامل التـــى لم يعثر عليها حتى الآن، والإطاحة بصدام حسين، وهى أسباب

تافهة، وأكاذيب مغلوطة، فلا وجود للحرية مـــع الاحـــتلال أو فرض نظام حكم عميل، أما صدام حسين فهو حامى حمى حزب البعث الذى أسسه ميشيل عفلق الـــصهيونى زوج ابنـــة جولـــدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة، وصدام حسين نفسه وصل إلى الحكم بمعاونة CIA (المخابرات الأمريكية)، وصدام حسين طوال حكمه لم يقتل إلا المسلمين: ففى حرب العـــراق وإيـــران قتل مليون مسلم، وأهدر ألف مليار من الـــدولارات، وصـــدام حسين قتل الأكراد بأسلحة محرمة دوليا كتلك التى اســـتخدمتها أمريكا فى ضرب العراق أخيرا، وحرضت أمريكا- عن طريق سفيرتها بالعراق إبريل جلاسبى- عميلها صدام علـــى دخـــول الكويت كى تتخذ ذلك ذريعة لاحتلال منطقة الخليج بالتراضـــى، وبأجر مدفوع من أموال المسلمين وبأيدى الوهابية!!.

أما عن موقف السعودية من الحـــرب الـــدائرة الآن علـــى العراق، فبدأت بالنصائح للعراق أن يوافق على عودة المفتـــشين (الجواسيس) لدراسة المواقع التى سيتم ضربها من قبل قـــوات تحالف الشيطان (الصليبى الصهيونى الوهـــابى)، ولمـــا بـــدأت الحرب اتخذ وزير الخارجية السعودى ســـعود الفيـــصل عـــدة خطوات كما يلى:

١- أعلن أنه لو طالت الحرب ستتأثر العلاقات الأمريكيـــة

السعودية، ولعله يريد الانتهاء من احـــتلال العـــراق ســـريعا.. ورفض استخدام سلاح البترول ضد الغرب بزعم أن النفط ليس سلاحا وليس دبابة.

٢- طالب صدام حسين بالتنحى حماية لشعب العراق، ممـــا دعا طه يس رمضان نائب الرئيس العراقى أن يرد عليه قـــائلا: (إنك عار على العرب).

٣- بعد سقوط أربعة صواريخ على الأراضـــى الـــسعودية، وافتضاح أمر المهلكة باستخدام أجوائها فى ضـــرب العـــراق، طالب وزير الخارجية بوقف ضرب الصواريخ مـــن الأجـــواء السعودية.

٤- بعد اختفاء صدام (المتفق عليه مع شـــركائه الـــصهاينة والأمريكان)، عقد مؤتمراً لوزراء خارجية الـــدول المجـــاورة للعراق بالسعودية، وصرح وزير الخارجية السعودى أنهم اتفقوا على سرعة انسحاب قوات الاحتلال، مع إلزامها بضمان أمـــن العراق حتى يتم انتخاب حكومة عراقية، وهو مطلـــب يكـــرس الاحتلال الصليبى الصهيونى للعراق إلى ما شاء الله، وهو نفس الدور الذى قامت به الوهابية قديما مع فلسطين.

- قدم ولى العهد السعودى مبادرة بإرسال قـــوات مـــسلمة للعراق لتكون دروعاً بشرية لحماية القوات الأمريكية المحتلـــة،

ويكون الصراع بين مسلم ومسلم.

تسخير الدين لخدمة العمالة:

وكررت الوهابية مواقفها القديمة بتسخير الدين لخدمة أسيادهم الصهاينة والصليبيين كما يلى:

١) بعد أن هاجم أحد المواطنين الكويتيين مجموعة من الجنود الأمريكان فى الكويت، وقتلهم، سارعت الوهابية بإصدار فتوى تحرم الهجوم على غير المسلمين، وتعد ذلك جرائم لا يقرها الشرع (مجلة الوعى الإسلامى العدد (٤٤٩) محرم ١٤٢٤هـ الموافق مارس/ أبريل ٢٠٠٣م).

٢) فى أواخر شهر مارس ٢٠٠٣م- والحرب على العراق على أشدها- سارعت هيئة كبار العلماء بالسعودية بإصدار بيان تعارض فيه الدعوة إلى الجهاد ضد الغزاة فى العراق، وأشارت الهيئة إلى أن أحد الطرفين المتحاربين لن يخرج منتصرا، ودعا البيان إلى الالتفاف حول قيادتهم (جريدة الوطن السعودية).

٣) ولما لم تجد الأمة شيئا تجاهد به سوى الدعاء على أعداء الإسلام، قال وزير الشؤون الإسلامية السعودى الشيخ صالح آل الشيخ: (إن الدعاء بعامة فى صلاة الجمعة فى المساجد على أهل الكتاب من النصارى واليهود هو من الاعتداء المنهى عنه ولا يجوز) (مجلة الوعى الإسلامى، العدد السابق).

وسنذكر ما هو أدهى، وهو محاولاتهم اليائسة في منع الدعاء على اليهود والنصارى، وإلجام الخطباء عن فعل ذلك، فقد صدر تعميم على كافة الخطباء والوعاظ بتاريخ ١٤٠٩/٥/١٣ هـ من وزارة الحج والأوقاف تحت رقم ٣٧١٩ وهذا نصٌ منه (.. لوحظ أن بعض الخطباء يضمنون خطبهم الدعاء والهلاك وما شابه ذلك على اليهود والنصارى وطوائف دينية أخرى، مع تسمية الدول بأسمائها، وليس هذا مما أرشدنا إليه القرآن الكريم!) هذه هي العقيدة التي ينادي بها الوهابية، عقيدة المحبة لأعداء الله والدفاع عنهم، وفي المقابل تقتيل المسلمين والحضٍّ على سفك دمائهم حتى في بيت الله الحرام، وقام خطباء الوهابية المخلصون ساعة الهجوم الصليبى على أهل العراق، فصدع الخطباء بالدعاء بالنصر لمن أسموهم جند الله، وليس ذلك بالجديد عليهم فقد أرسل أمير الوهابية في نجد ببرقية إلى المندوب البريطاني السير برسي كوكس بمناسبة احتلال الإنجليز للبصرة وانتزاعها من أيدي المسلمين قال فيها:

(سيدي برسي كوكس مندوب بريطانيا العظمى دام عزها.. دخول جيوشكم الإنجليزية العظيمة للعراق نصر مبين للمسلمين، وعزٌّ مكينٌ لنا.. عبوديتنا وخدمتنا لبريطانيا العظمى، وولاؤنا لكم إلى الأبد).

٤) لما بدأ الشعب العراقى يفيق من صدمة الاحتلال وخرجت الشعارات تهتف: (لا سنية ولا شيعية.. إسلامية

إسلامية) سارعت الوهابية بإشاعة تكفير الشيعة وإبراز الفتاوى المدموغة بالعمالة لتأييد ذلك، مما دعا الدكتور أحمد القبيسى فى خطبة الجمعة يوم ٢٠٠٣/٤/١٨م بمسجد الإمام أبى حنيفة النعمان ببغداد إلى الرد على هذه الفتاوى، وتأكيد الأخوة بين الشيعة والسنة.

٥) ذكر الشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان الوهابى فى سبتمبر ٢٠٠٤م فى قناة mbc الوهابية فى برنامج (الحوار الغائب) أن ما يحدث فى العراق ليس بجهاد بل هو فوضى تقتل الأطفال والمسلمين، وطالب بأن نصبر على بلاء الأمريكان لأننا مستضعفون، حتى نقوى بعد مدة فنحاربهم، ونبه إلى أن بيننا وبينهم مواثيق، والإسلام أمرنا باحترامها، وأن نعاملهم بما عامل رسول الله ﷺ مشركى قريش (العفو).

ورفض الذهاب إلى العراق لحرب الأمريكان لعدم موافقة الحكام، وأن من يفعل ذلك يلقى بيده فى التهلكة، حتى وإن كان هؤلاء الحكام عملاء لأمريكا، أو هى التى عينتهم، فيجب أن نطيعهم مهما كان من أمرهم!!.

هذه هى بعض الفتاوى التى صدرت عن الوهابية وآل سعود لمصلحة الصهيونية والصليبية ضد الأمة الإسلامية.. فهل زالت الغشاوة عن أعين المخدوعين؟ أم يحتاجون إلى المزيد؟!!.

يقول جون سنت هارى فيلبى مستشار الملك عبد العزيز فى مذكراته: (عندما قررت الذهاب إلى الحجاز فى مهمة حج لقضاء حاجة، حملنى بن جوريون رسالة إلى عبد العزيز آل سعود نصها: **(يا صاحب الجلالة.. يا أخى فى الله والوطن، إن مبلغ العشرين ألف جنيه إسترلينى ما هو إلا إعانة منا لدعمك فيما تحتاج إليه فى تصريف شؤون ملكك الجديد فى هذه المملكة الشاسعة المباركة، وإنى أحب أن أؤكد لك :أنه ليس فى هذا المبلغ ذرة من الحرام، فكله من تبرعات يهود بريطانيا وأوروبا الذين قد دعموك لدى الحكومة البريطانية فى السابق ضد ابن الرشيد وكافة خصومك، وجعلت بريطانيا تضحى بصديقها السابق حسين لأجلك، لكونه رفض حتى إعطاء قطعة من فلسطين لليهود الذين شردوا فى العالم)** وقد استفسر منى عبد العزيز عن بعض العبارات الواردة، فأفهمته أن اليهود هم حكام بريطانيا بالفعل، إنهم الحكم والسلطة والصحافة والمخابرات ولهم النفوذ الأقوى وكانوا وراء دعمك، وكانوا ووراء الاستمرار فى صرف مرتبك حتى الآن عن طريق المكتب الهندى، كما كانوا فى السابق وراء قطع المرتب لاختبارك هل ترفض أو لا ترفض التوقيع بإعطاء فلسطين لليهود). وقد حملنى عبد العزيز رسالة إلى ابن جوريون هذا نصها: **(الأخ بن جوريون، إننا لن ننسى فضل أمنا وأبونا**

بريطانيا العظمى، كما لم ننس فضل أبناء عمنا اليهود فى دعمنا وفى مقدمتهم السير بيرسى كوكس، وندعوا الله أن يحقق لنا أقصى ما نريده، ونعمل من أجله، لتمكين هؤلاء اليهود المساكين المشردين فى أنحاء العالم لتحقيق ما يريدون من مستقر لهم يكفيهم هذا العناء).

هذه هي الحقيقة المرَّة يا أبناء المسلمين الذين غررت بهم الدعوة الوهابية، وضربت عليهم حجاباً مظلماً من التعتيم، كي لا يطلع أحدهم على شيء من كتب المسلمين التي تخالف النهج الوهابي، وإذا وجدوا أن لا محيص من دخول كتاب من أمهات كتب المسلمين، فإنهم يعمدون إلى إعادة طباعته فيحذفون ويحرفون بما يناسب أهواءهم.

نعم لقد حاول البعض مخالفة ذلك التعميم القاضي بعدم شتم النصارى واليهود ودولهم، ولكنهم تعرَّضوا للأذى والتعذيب، بل ولقد تعرض للأذى حتى من يسبُّ الشيوعية، فلقد تعرَّض صاحب كتاب (السيوف الباترة على إلحاد الشيوعية الكافرة) للأذى لا لشيء إلا لأنه كتب هذا الكتاب، مع أنه من المخلصين للفكر الوهابي التيمي، وكتابه ما يزال مُصادرا، ولا يتردد أهل الفتوى من أئمة هذه النحلة الحشوية كابن باز وأتباعه من رمي كلِّ مخالف له بالبدعة والفسوق من الدين.

فهل ما يزال بعضنا يستغرب لماذا يحرق الوهابية كتب المسلمين؟!.

الملف الأسود لذيول الوهابية فى قتل المسلمين:

سجل القرآن الكريم على اليهود فى كثير من آياته قتلهم الأنبياء، والذين يأمرون بالقسط من الناس..فقال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران: ٢١).

وكتابهم التوراة طافح بجرائمهم وشرورهم التى ارتكبوها فى حق البشرية من قتل وسلب وسبى وحرق وإبادة.

والذى يتتبع التاريخ فى جميع مراحله، يجد أن رذيلة القتل والاغتيال طبيعة عند اليهود فى كل عصورهم، ومن يستعيد التاريخ القريب والبعيد، يدفعه إلى ذلك أنين الجرحى، وحزن الثكالى، ورائحة الدماء.. يتأكد من أن الإرهاب والإجرام صفة صهيونية، حتى قبل تأسيس الكيان الصهيونى فى فلسطين..فالصهاينة يترجمون وصايا كتابهم (المقدس) على حساب العرب والمسلمين كما قال موشى ديان..وذلك يكون عبر المجازر الوحشية وحرب الإبادة. ولكن الشىء العجيب أن يتوافق فعل ذيول الوهابية فى القتل وسفك الدماء والسرقة والنهب والسبى والحرق مع أفعال اليهود، حيث يحذون حذوهم حذو النعل بالنعل٠٠ وإليك تفصيل هذا الأمر الخطير:

١-تدمير القرى:

– إذا كان اليهود قد قاموا بالهجوم على قرية سعسع الفلسطينية ليل١٤/٢/١٩٤٨م ونسفوا ٢٠ منزلا على سكانها، ودمروا قرى الجودرة، وخصاص، وفعليا الجيدة، وهديبا، ودير أبو سعيد فى ٢٧/١٠/١٩٤٨م، وأبادوا سكانها عن بكرة أبيهم.

– فإن المتمسلفة ذيول الوهابية قتلة المسلمين قاموا يوم الخميس١٧/٨/١٩٩٥م فى الجزائر بمحاولة تدمير قرية صغيرة باستخدام البلدوزرات والشاحنات الضخمة بدعوى تعاونها مع قوات الأمن٠

وقاموا يوم الخميس ١٠/١٠/١٩٩٦م بقتل ٣٨ مدنياً فى ليلة واحدة فى منطقة الحيران قرب الأغواط جنوب الجزائر، حيث نصبوا حاجزاً عند تقاطع طرق، وأوقفوا جميع السيارات التى مرت، وقتلوا ركابها بالرصاص أو بالسلاح الأبيض.

وفى يوم السبت ٢/١١/١٩٩٦م قام عشرون من ذيول الوهابية بالجزائر بالهجوم على قرية دواودة غربى العاصمة مستخدمين السلاح الأبيض، واستمرت المذبحة ثلاث ساعات، واستهدفت إحدى العائلات الكبيرة، حيث تم ذبح عشر سيدات وثلاثة أطفال، بعد أن جمع هؤلاء القتلة الضحايا فى غرفة واحدة قبل ذبحهم واحداً تلو الآخر٠٠ وسط صراخ الأطفال

وتوسل النساء.

وعندما دخلت حركة طالبان الوهابية منطقة مـزار شـريف بأفغانستان التى تقطنها أغلبية شيعية عام ١٩٩٨م قاموا بمجزرة بشعة راح ضحيتها ٢٠٠٠ شخص مسلم، من بينهم عدد كبيـر من النساء والأطفال، وفى خرق لكافة المواثيق والأعراف قتلوا تسعة من الدبلوماسيين الإيرانيين المسلمين.

٢-الفخاخ الغادرة:

– إذا كان اليهود قد استعملوا فى القضاء علـى خـصومهم أخس أنواع الغدر والنذالة، فهم لا يواجهون أعداءهم فى وضح النهار، وإنما يرتكبون بعض جرائمهم عـن طريـق الخيانـة والخديعة.. من ذلك أنهم فى مارس سنة ١٩٦٣م أرسلوا طرداً من المتفجرات إلى ستة من الخبراء الألمان فى القاهرة، فقتلـوا جميعاً.

– فإن ذيول الوهابية المتمسلفة قتلة المسلمين قاموا فى شهر فبراير ١٩٩٥م بوضع سيارة مفخخـة أمـام مركـز شـرطة جزائرى، فانفجرت، وقتل ٦٨ مسلما وأصيب ٢٥٨ آخرون.

وذكرت مجلة منار الهدى فى عددها رقم (٦٩) أن الوهابيـة قتلوا مفتى داغستان محمد سعيد أبو بكروف وأخوه فى انفجـار عبوة ناسفة فى العاصمة الداغستانية محج قلعة.. وكان المفتـى

معروفا بمواقفه التى تنتقد الوهابيين فى داغستان الواقعة علـــى حدود الشيشان.

٣- قتل تلاميذ المدارس:

– إذا كان الطيران اليهودى قد قام يوم ١٩٧٠/٤/٨م بقصف مدرسة بحر البقر فى محافظة الشرقية بمـــصر، فاستـــشهد ٥٦ طفلا.

– فإن المتمسلفة قد قاموا يوم الأحد ١٩٩٧/١٠/٥م بنـــصب كمين قرب قرية بوعنان القريبة من البليدة جنـــوب العاصـــمة الجزائر لـــ١٦ تلميذا– أعمارهم بين ١٢–١٥ سنة– وســـائقهم وقتلوهم جميعاً، وكانوا قبلها بأسبوع قد ذبحوا ١١ مدرسة على مرأى من تلامذتهن فى سيدى بولعباس فى جنوب غرب البلاد.

وإذا كانوا فى الجزائر قتلوا التلاميذ والمدرسات، فإنهم فى مصر قتلوا آباءهم خارج المدارس وذلـــك يـــوم ١٩٩٥/٦/٣م حيث قام هؤلاء المجرمون بفتح نيران بنـــادقهم الآليـــة علـــى المواطنين الأبرياء العزل فى قرية تندة مركز ملـــوى محافظـــة المنيا، وهم ينتظرون خروج أبنائهم من المدرســـة عقـــب أداء امتحاناتهم فى الشهادة الإعدادية، حيث قتلوا (٩) أشخاص مـــن بينهم طفل فى الثالثة من عمره.

٤- قتل المصلين فى المساجد:

– إذا كان اليهود قد شنوا هجوما بالدبابات على بلدة الدوايمة الفلسطينية فى ١٩٤٨/١٠/٢٦م فقتلوا حوالى ٧٥ مصلياً فى مسجدها، ثم تعقبوا المدنيين فى منازلهم حتى وصل مجموع الضحايا إلى ٥٨٠ شهيداً، قتلوا بوحشية لا توصف بهدف حمل الفلسطينيين على الفرار من بلادهم.

كما قام حرس الحدود فى أكتوبر ١٩٩٠م بإطلاق الرصاص على المصلين بالمسجد الأقصى فاستشهد أكثر من ٢١مسلماً، وجرح حوالى ١٥٠، واعتقل ١٧٠ شخصاً داخل وخارج الحرم، وقد عمل حرس الحدود لمنع نقل الجرحى، ومنع وصول سيارات الإسعاف لمدة ٦ ساعات، وأصيب فيما بعد أطباء وممرضون حاولوا إسعاف الجرحى.

– فإن الوهابية المتمسلفة قتلة المسلمين قاموا يوم السبت١٩٩٥/١٠/٢١م بمجزرة بشعة أثناء صلاة الجمعة بمسجد بلدة جبا بمنطقة بيشة السعودية، حيث لقى ستة أشخاص مصرعهم وأصيب مائة شخص وواحد.

وفى يوم الجمعة ١٩٩٦/٦/٢م ألقوا قنبلة على المصلين فى بلدة بركة الجزائرية أثناء أداء المصلين لصلاة المغرب، فقتلوا مالا يقل عن ستة أشخاص.

وفى يوم السبت ١٩٩٨/٨/١٥م قتلوا الشيخ المصرى محمد صلاح عبد المطلب إمام المسجد الحسينى فى مدينة صنعاء باليمن، لأنه فضح أساليبهم، وبدلا من أن يردوا الحجة بمثلها قام أحدهم بطعنه بخنجر فأرداه قتيلاً.

٥- قتل المصلين فى رمضان:

– إذا كان اليهود قاموا يوم١٩٩٤/٢/٢٥م بإطلاق القنابل اليدوية وطلقات الرصاص فى جنبات الحرم الإبراهيمى الشريف فى الخليل، فاخترقت شظايا القنابل والرصاص رؤوس المصلين ورقابهم وظهورهم وهم يؤدون صلاة الفجر فى يوم الجمعة من شهر رمضان، لتصيب أكثر من (٣٥٠) بين شهيد وجريح فى أقل من (١٠) دقائق.

وقيل يومها: إن منفذ العملية رجل واحد هو الطبيب باروخ جولد شتاين، فيما ساعده آخرون فى تعبئة الذخيرة..وفى الخارج أطلق الجيش الإسرائيلى النار على من حاول الهرب من المسجد، ومنعوا السكان من الوصول لإنقاذ الجرح، وأطلقوا النار على الداخلين للتبرع بالدم.

– فإن الوهابية المتمسلفة قتلة المسلمين قاموا فى رمضان ١٤١٧هـ بإخراج المسلمين فى قرية جزائرية أثناء صلاة التراويح، وكان عددهم (٣٥) مصلياً وذبحوهم أمام المسجد.

وقتلوا شيخاً كبيراً فى الثمانين من عمره لأنـــه قـــال: إن هـــذا إجرام، بعد أن أنزلوه من على المنبر وهو يخطـــب الجمعـــة. وبلغ إجمالى القتلى الجزائريين فى شهر رمضان عام ١٤١٧هـــ من عمليات عربات مفخخة أكثـــر مـــن ٤٠٠ شـــخص مـــسلم (جريدة المسلمون الوهابية ١٩٩٧/٥/٩).

وفى مساء أول ليلة من رمضان ١٤١٨هـــ بلغـــت المـــذابح ذروتها حيث تم قتل ٤١٢ قروياً جزائرياً، منهم كثير من النساء والأطفال ذبحوا، وتم التمثيل بجثـــثهم بـــشكل بـــشع بـــالفؤوس والسيوف.

٦- السرقة والقتل:

- إذا كان اليهود يطبقون ما جاء فى سفر يوشع- الإصحاح الثامن- العدد٢٤-٢٨: [ولما أفرغ بنو إسرائيل من قتل جميـــع سكان (العى) فى الصحراء ، وفى البرية حتى لحقوهم وسقطوا جميعهم بحد السيف عن آخرهم، رجع جميع إسرائيل إلى العـــى وضربوها بحد السيف* وكان جملة من قتل فى ذلك اليوم مـــن رجل وامرأة اثنى عشر ألفاً جميع أهل العى* ولم يرد يشوع يده التى مدها بالحربة حتى أبسل جميع سكان العى* فأمـــا البهـــائم وسلب تلك المدينة فغنمها إسرائيل لأنفسهم علـــى حـــسب أمـــر الرب الذى أمر به يشوع*وأحرق يشوع العى وجعلها تـــل ردم

إلى الأبد خراباً إلى هذا اليوم].

تعليق:

الغنيمة التى تتحدث عنها التوراة إنما هى سرقة وسلب لأن الغنائم لم تحل إلا لسيدنا محمد ﷺ كما جاء فى حديث صحيح: (وأحلت لىّ الغنائم ولم تحل لأحد من النبيين من قبلى).

– فإن الوهابية المتمسلفة قتلة المسلمين قاموا يوم الثلاثاء ١٩٩٦/٨/٦م بالهجوم على بنك مصر فرع العياط وسرقوا (٤٠٠) ألف جنيه مصرى، وقتلوا حارس الأمن بالبنك عبد الحميد نادى عبد المنعم، ويتموا أولاده الستة، وناصر مصطفى عبد الحميد (مكوجى) ، وصادق صديق (صاحب مصنع طوب) وسرقوا سيارته البيجو.

كما قاموا يوم الأحد ١٩٩٦/٨/١٨م بسرقة محلات الذهب فى مدينة طهطا محافظة سوهاج، بعد قتل كل من: مترى عطا عطية، وصفوت شفيق، وإصابة جورج عطا عطية، وعابدين ثابت محمد، والطفل برسوم ثروت، وقاموا بسرقة سيارة نصف نقل من سائقها أحمد الكشكى.

٧- القبور الجماعية:

– إذا كانت وحدة الهاجاناه اليهودية دفنت ٢٤٥ جثة من النساء والأطفال والشيوخ والرجال فى قبر جماعى بعد مذبحة

دير ياسين، فيما تقدر مصادر أخرى أن العدد ٣٦٠ جثة من أصل ٦١٠ هم سكان القرية.

– فإن الوهابية المتمسلفة قتلة المسلمين فعلوا ذلك أيضاً كما تذكر مجلة منار الهدى فى العدد (٧٤) أن السلطات الجزائرية عثرت على نحو أربعين جثة فى بئر مهجورة فى مدينة سيدى موسى الواقعة على مشارف العاصمة الجزائرية، بعد أن تعرضوا للاختطاف والتعذيب قبل اغتيالهم. وكذلك تم انتشال أشلاء نحو مائة وعشرة أشخاص فى منطقة مفتاح جنوبى غرب الجزائر فى قبر جماعى.

٨- تهجير السكان:

– إذا كان اليهود يقومون بجرائم بشعة من أجل طرد الفلسطينيين من أرضهم، وقد نجحوا فى ذلك، حيث كان عدد السكان العرب سنة ١٩٤٨م داخل المنطقة التى احتلها اليهود من فلسطين ٣٠٠ ألف نسمة، وصلوا فى سنة ١٩٦٤م إلى ٢٢٠ ألف نسمة، أى أنهم نقصوا ٨٠ ألف نسمة فى ١٦ سنة.

– فإن الوهابية المتمسلفة قتلة المسلمين قاموا أيضاً بأعمال عنف واسعة النطاق فهاجر ٣٠ ألف جزائرى من المميزين فى شتى المجالات إلى أوروبا، وهم من خيرة شباب الجزائر من المثقفين والصحافيين والكوادر.. وذلك بخلاف حوالى مليون

جزائرى متفرقين فى أوروبا، يوجد فى فرنسا وحدها ٩٣٢ ألفاً.

٩- ضرب السفارات:

– إذا كان اليهود قد برعوا فى ضرب السفارات بقصد الفتن والدسائس بين الدول، كان آخرها ضرب السفارتين الأمريكيتين فى كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨م.

– فإن الوهابية المتمسلفة أيضاً قاموا بذلك، حيث كان أشهرها هو ضرب السفارة المصرية فى باكستان عام ١٩٩٥م.

١٠- اغتصاب المسلمات:

– إذا كان اليهود فى فجر يوم ١٩٤٨/٤/١٠م، انقضت عصاباتهم على قرية دير ياسين، وراحت تذبح سكانها وتحرق البيوت وهم بها نيام، وكلما احتلوا منزلاً فجروهّ بعد أن يهرب سكانه مذعورين طالبين النجاة لأطفالهم ونسائهم، وعنده كانت عصابات شتيرين والأرجون تصطادهم وتحصدهم فى الطرقات، واستمرت العملية إلى ظهر ١٩٤٨/٤/١٠م. وعندما انتهت عملية تفجير القرية تم جمع من بقى حياً وقتل بالرصاص.. بعد اغتصاب البنات الصغيرات، وبقر بطون النساء الحوامل بسكين الجزار، وقطع أيدى وآذان النساء لسرقة الأساور والأقراط الذهبية.. وطافوا بالأطفال والنساء وهم عرايا.. شوارع الأحياء اليهودية فى مدينة القدس.

– فإن المتمسلفة قتلة المسلمين فعلوا ذلك أيضاً اقتداء بإمـــام التوحيد ابن عبد الوهاب وإمام الوحدة ابن سعود، حيـــث أباحـــا سبى المسلمة الحرة والتمتع بها، وهو زنا فى شريعة الإســـلام لأن الحرة المسلمة لا تسبى.. فقـــد نـــشرت جريـــدة الأخبـــار القاهرية يوم ١٩٩٦/٢/٢٤م أنه بعد أن أصدر شريف قو سامى أمير الوهابية المتمسلفة فى الجزائر فتـــوى بإباحـــة اغتـــصاب الفتيات المسلمات، قام أتباعه باختطـــاف آلاف الفتيـــات وتـــم اغتصابهن بحجة أنهم مجاهدون وهـــؤلاء غنـــائم لهـــم.. وقـــد اعترف أكثر من (٣٠٠٠) سيدة وفتاة على شاشات التليفزيـــون الجزائرى بذلك، ولم تعترف الآلاف من النساء خوفاً من العـــار الذى قد يلحق بأسرهن.. ونتيجة لذلك قامت (١٠٠) ألف امـــرأة جزائرية بأضخم مظاهرة ضد الإرهاب الوهابى القبيح.

١١- ضرب الاقتصاد:

– إذا كان اليهود يقومون بحصار الفلسطينيين، وطردهم من أعمالهم، وعدم السماح لهم بتصدير منتجـــاتهم بهـــدف تـــدمير الاقتصاد الفلسطينى. ويحاربون الاقتـــصاد الإســـلامى بنـــشر الدعارة والمخدرات والأمراض القاتلـــة كالإيـــدز فـــى الـــبلاد الإسلامية.

ويدمرون السياحة فى مصر عن طريق حوادث قتل الأجانب

كما فعلوا عام ١٩٩٨م بالأقصر. ويقتلون النابغين فى المجالات المختلفة بقصد إصابتها بالشلل كما فعلوا بالدكتور المشد عالم الذرة المصرى.

– فإن المتمسلفة قتلة المسلمين قاموا فى الجزائر– طبقا لما أعلنته الحكومة الجزائرية ثالث أيام عيد الفطر المبارك عام ١٤١٥هـ– بقتل ٦٨٣٣ جزائرى خلال عام ١٩٩٤م، ولم توجد فئة من فئات الشعب الجزائرى نجت من هذه المذابح، فقد قتل سبعة من المسؤولين الكبار، و٢١ صحافياً، و٦٨٢ مواطناً مدنياً، و١٠١ مدرساً، ٢٢٠٧ عاملاً، و١٥ قاضياً، و٥٢ واعظاً وإمام مسجد ومفتيا، ولم يتم الإعلان عن القتلى فى الجيش.. وأحرقت ٦٠٠ مدرسة، و٢٢٤ بلدية ولاية، و٧٨ مركز تليفون، و١٢١٨ شاحنة، و٣٥٦ حافلة نقل، و٧ قطارات [جريدة المسلمون الوهابية ١٩٩٥/٦/٢م].

وآخر الإحصائيات تقول: إنه تم قتل ١٧٠ ألف جزائرى منذ بداية الجهاد الوهابى فيها عام ١٩٩٢م، أى بمعدل ٦٦ شخصاً كل يوم.

وفى هجوم على (فرن) قرية إتقا مركز ملوى محافظة المنيا يوم الجمعة ١٩٩٥/٥/١٢م، استشهد أربعة أشخاص، وأصيب أربعة آخرون بينهم طفل عمره سنتان، وطفلة أخرى كانت

تلعب فى حوش منزلها.

وفى يوم الخميس ١٩٩٥/١١/١٩م قامت مجموعتان مسلحتان بإطلاق الرصاص على قطارين سياحيين أثناء قدومهما من أسوان إلى القاهرة، وأدى الحادث إلى إصابة ١٣ راكباً بينهم هولندى وفرنسية.

١٢- جرائم أخرى:

كان حصاد جرائم ذيول الوهابية فى مصر فى سنة واحدة تبدأ من يونيو ١٩٩٢م حتى يوليو ١٩٩٣م كما يلى:

* حصاد الشهداء من رجال الأمن ٨١ والجرحى ٩٨.

* حصاد الشهداء من الأهالى ٧١ والجرحى٢٦١.

* وفى أفغانستان حدث ولا حرج عما فعله حكمتيار الوهابى، وتبعته جماعة الطالبان الوهابية بالاتفاق مع الوهابة الأكبر أسامة بن لادن من تشريد وقتل وتخريب وتدمير لبلد مسلم، استطاع بأبنائه الصوفية أن يقهر القوة العظمى المسماة بالاتحاد السوفيتى سابقاً.

* والجهاد عند (الجماعة الإسلامية) وتنظيم (الجهاد) لتحرير المقدسات يبدأ من تحرير بلاد الإسلام من الحكم الكافر أولاً، ثم بعد ذلك الانطلاق تحت قيادة إسلامية لتحرير المقدسات، وهذه

الفكرة اليهودية الخبيثة أضاعت ثروات البلاد، ومزقت المسلمين فرقاً وجماعات متنافرة، والكل يريد الوصول إلى كرسى الحكم مهما كانت التضحيات، مخالفين أمر الله تعالى: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال: ٦٤).

الوهابية يعترفون بصناعة المتمسلفة:

قامت الوهابية بزرع أبواق لها فى كل البلدان الإسلامية للتخريب والإرهاب والقتل والتدمير.. ولكن تحقق مالم يكن فى حسبان الوهابية حيث قام هؤلاء الخوارج بتنفيذ مخططاتهم ضد الوهابية نفسها، وهنا انبرى كتاب الوهابية الذين كانوا يمدحون هؤلاء الخوارج ويهاجمون من يكشف حقيقتهم، بالهجوم على هؤلاء الخوارج. كان أشهرها هذا المقال الذى نشرته جريدة المسلمون الوهابية فى العدد رقم (٥٦٤) السنة الحادية عشر، يوم الجمعة ٢ رجب ١٤١٦هـ الموافق ٢٤ نوفمبر ١٩٩٥م فى الصحيفة الأخيرة، والمقال لرئيس التحرير د. عبد الله رفاعى حيث يصف الخوارج الجدد قائلاً:

(الخوارج اليوم ليسوا كخوارج الأمس.. خوارجنا يحملون سمة الدخول فى مجتمعاتنا، اليوم عاد الخوارج أشد ضلالاً من أسلافهم لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة.. نماذج شديدة البؤس والقبح، ومع هذا وجدوا فى جسد الأمة الواهن اليوم مجالاً

يرتعون فيه.. ينتشون بسفك الدماء، ويطربون لصوت الرصاص والانفجارات.. يعيشون فى مجاهل الظلام والضلال).

– ثم يعترف بأنهم هم الذين صنعوا هؤلاء الخوارج بقوله: (بعضنا للأسف الشديد ساهم فى إلباسهم ثيابنا، وهناك من لا يزال يوفر لهم الغطاء من خلال مجاملتهم واللين فى الخطاب معهم، وإيجاد التبريرات والأعذار بحجج واهية، ليس من أتفهها حتى لا يستفيد أعداء (الصحوة) من نقد أولئك الفجرة؟!! سبحان الله.. كل من حاول كشف انحرافهم وبذل النصح الشرعى لهم، أدخلوه فى زمرة الأعداء. بالأمس قدمنا نحن أفراد الأمة تنازلاً بالغ الخطورة عندما سمحنا لهم بتكفير المجتمعات، والتلميح بتكفير الإنسان المسلم المعاصر من خلال تكفير الحكومات والأنظمة.. بعضنا تلذذ بهذا، وكأن الله سبحانه وتعالى خلقنا بهدف تكفير هذا وذاك.. وتطاول أولئك على العلماء وسكتت الألسن لطمعنا فى المكانة، ولأننا نطرب لهتافاتهم التى لا تتجاوز حناجرهم، فأوغل أولئك فى الفكر الخارجى، واستساغ الأغلبية طريق القتل وسفك الدماء).

ثم يعترف أيضا بأنهم صنعوهم كمرحلة انتقالية إلا أن العقد انفرط منهم، ويطالب بالرجوع إلى الحق وترك هذا الفكر اللعين

فيقول: (البعض حاول استخدام هـذا الفكـر التكفيـرى بـشكل مرحلى، ولكن انفرط العقد، لأن الغرض سئ والقصد خبيث، إن دماء الأبرياء من المسلمين وغيرهم فى رقـاب مـن يـدعون المفكرين الإسلاميين، مسؤوليتهم فى هـذه الجـرائم مـسؤولية كبيرة، لا تكفرها تمتمات فى الصحف السيارة، يجب على قـادة الرأى فى الأمة أن يعوا خطورة الموقف، ويتقوا الله عز وجـل بالرجوع للمنهج الحق، واتباع سنة نبيه ﷺ).

ثم يحث على ضرورة محاربة هؤلاء الخوارج لأنهم خطـر على الدين والأمن فيقول: (يجب علينا العمل على فضح أولئك، لأنهم بكل بساطة يهددون أمننا واستقرارنا، وبالتالى ديننا).

ولذلك لم تكن مفاجأة أن يخرج كبار علماء الوهابيـة بعـد احتلال الأمريكان للعراق- على شاشات التليفزيون الـسعودى- ويعلنون تراجعهم عن جميع الفتاوى السابقة التى ضـللوا بهـا شباب الأمة، وذلك خشية التهديدات الأمريكية للفكر الوهابى.

ولم تكن مفاجأة أيضاً ما نشرته صحيفة الأخبار القاهرية يوم السبت ٢٠٠٣/١٢/٢٠م تصريحاً لولى العهد السعودى الأميـر عبد الله بن عبد العزيز قال فيه: (إن هؤلاء الإرهابيين أبناء لنـا غرر بهم، ولابد من اجتثـاثهم مـن الجـذور، وأن الحكومـة السعودية مصرة على معاقبة كل من أساء لدينه ووطنه) وتـابع

قائلاً: (نحن لا نربط بين الإرهابيين وعائلاتهم، والمتورطـــون بالإرهاب جهلة غرر بهم).. كل ذلك لأن إجرام الوهابية طـــال الأسرة السعودية!!.

الخاتمة

الدولة السعودية صدفة تاريخية مرحلية

(١)

حين بدأ عبد العزيز آل سعود تكوين الدولة السعودية الثالثة كان يضع فى حسبانه – بتخطيط الإنجليز له – القوى المحلية والقوى الإقليمية والقوى الدولية، تمثلت القوى الدولية فى إنجلترا، وتمثلت القوى الإقليمية فى إيران والشام والعراق ومصر، وكان معظمها تحت السيطرة البريطانية، وكان معظمها أيضاً يدين بالولاء إلى التشيع، سواء فى ذلك إيران القطب الإقليمى فى الشرق، أو أبناء الشريف حسين فى العرق وسوريا وشرق الأردن، وكان الاستثناء الوحيد هو مصر القطب الإقليمى فى الغرب، والذين يدين بالتصوف السنى، وبعد القوى الإقليمية والدولية كانت هناك القوى المحلية فى الجزيرة العربية خارج أملاك عبد العزيز فيما بين اليمن وعمان ودويلات الخليج، والشيعة أيضاً هم أهم القوى فى اليمن وفى الخليج، بالإضافة إلى الشيعة فى المنطقة الشرقية والأحساء– التى ظهرت أهميتها البترولية– والأشراف فى الحجاز.

إذن فالشيعة (العدو التاريخى لآل سعود، وضحايا الغارات

السعودية منذ دولتهم الأولى) هم الذين يحيطون بمملكة عبد العزيز من الشرق (إيران ودويلات الخليج)، والشمال (أبناء الشريف حسين فى العراق والأردن، وفى الجنوب اليمن).. وهم الألغام الموقوتة داخل المملكة.. إذن فلم يبق له متنفس إلا فى مصر التى تدين بالولاء للتصوف السنى، والتى إن انضمت سياسياً للقوى الشيعية فسيتم خنق الدولة السعودية الثالثة.. ومصر هى نفسها أسقطت الدولة السعودية الأولى، وأسهمت فى التنازع الداخلى الذى أسقط الدولة السعودية الثانية.. وإذن فمصير الدولة السعودية الثالثة مرتبط تحديداً بقوتين إقليميتين هما مصر وإيران، بالإضافة إلى إنجلترا القوة الدولية صاحبة النفوذ فى إقليم الشرق الأوسط كله.

لذلك عمل عبد العزيز بالخطة المرسومة له على كسب ود إنجلترا وعلى تحويل العمق المصرى من التدين السنى الصوفى إلى التدين الوهابى ، وساعدته الظروف السياسية المصرية والدولية وظهور البترول، وبالتأييد المصرى والبريطانى استقرت أمور عبد العزيز فى مملكته، واستطاع أن يأمن أعداءه الشيعة داخل مملكته وحولها.

إن منطقة الشرق الأوسط لها قطبان أساسيان هما مصر وإيران.. والأطراف التى بينهما (الجزيرة العربية والشام

والعراق) تقع فى إطار التنافس الدينى والسياسى بين القوتين المصرية والإيرانية.. لذلك جعل عبد العزيز مصر (القطب الغربى) عمقاً له، وتحالف مع القوى العالمية الغربية (إنجلترا ثم أمريكا)، وأصبح ذلك من ثوابت السياسية السعودية الخارجية.

الانفتاح على مصر :

أيقن عبد العزيز- بتخطيط بريطانى ماكر- أن صلاح الأيدولوجية الوهابية فوق طاقة علماء نجد، فآثر أن ينفتح بها على مصر، ليأتى الاجتهاد فى تنقيح وتحديث الوهابية من مصر بعد أن تكون مصر عمقاً استراتيجياً لدولته الوليدة، ولا ريب أن مستشاره المصرى (حافظ وهبة) كان وراء توثيق الصلة بين الجانبين.

وقد كان حافظ وهبة مهتماً بتوثيق العلاقات بين الملك عبد العزيز ومصر، يقول مثلاً فى تأريخه لأحداث الصراع بين الملك عبد العزيز والشريف حسين: (وفى سبتمبر سنة ١٩٢٥ وصل فضيلة الشيخ المراغى وكان رئيساً للمحكمة العليا الشرعية ومعه عبد الوهاب بك طلعت من موظفى السرايا، ومعهما كتاب رقيق من جلالة ملك مصر جواباً لكتاب سلطان نجد بمناسبة عزمه على زيارة مكة)، ويقول حافظ وهبة معبراً عن مشاعره: (إنه ظرف ملائم جداً وفرصة نادرة لتوثيق

العلائق بين مصر ونجد، وسلطان نجد كان ولا يـزال معترفـاً بزعامة مصر من وجهة الثقافة والمدنيـة، ويجـب أن توطـد العلائق بينه وبين مصر)[١].

وطبقاً للمخطط الإنجليزى لعبد العزيز فى التفكير المستقبلى ونشر الدعوة على مهل، فإن نفس العام ١٩٢٦ الذى شهد البديل للإخوان قبل تصفية الإخوان، وهو هيئـة الأمـر بـالمعروف والنهى عن المنكر شهد انفتاحاً آخر فى نشر الدعوة الوهابية فى مصر، ويجمع بين الحادثتين أن عبد العزيز أراد تطوير الدعوة الوهابية وتخليصها من الجمود، وطالما أن ذلك متعذر فكرياً فى العقلية النجدية فإن الفرصة قد تكون فى مصر التى يراها رائدة المدنية والثقافة على حد وصف حافظ وهبة.

ومصر فى حد ذاتها هى المشكلة الكبرى لعبد العزيز، فهـى التى كانت تسيطر على الحجاز فى العصر المملوكى، واسـتمر نفوذها الأدبى فيه إلى أن اصطدم بإخوان عبد العزيز فى حادث المحمل، ومن الطبيعى أن يقوم بتطبيع العلاقـات معهـا بعـد استيلائه على الحجاز، ونلاحظ حرصاً زائداً من عبـد العزيـز ومستشاره حافظ وهبة على استمالة مصر بكـل طريقـة إلـى السلطة الجديدة، فمصر هى أقدم دولة فى المنطقة، وكانت دولة

---

١) حافظ وهبة: جزيرة العرب فى القرن العشرين: ٢٦٨.

عبد العزيز وقتئذ أحدث دولة فى المنطقة (قبل قيام إسرائيل)، ومن الممكن أن يكون العمق المصرى رصيداً للكراهية والحرب ضد الدولة الجديدة يتعامل ضدها مع الأردن والعراق حيث الأشراف (فيصل وعبد الله)، وفى اليمن، بالإضافة إلى الشيعة فى الأحساء وفى الحجاز، فيتم بمصر ذلك الحصار وتختنق دولة عبد العزيز.

ومن الممكن أيضاً أن يكون العمق المصرى رصيداً لدولة عبد العزيز ترتكز عليه فى مواجهة أولئك الخصوم المتربصين بها فى الشرق والشمال والجنوب.. ومن هنا كان لابد من كسب مصر إلى جانبهم بكل وسيلة، وقد حاول عبد العزيز ومعه مستشاره الداهية حافظ وهبة ونجح.. على المستوى الرسمى أمكن تفادى حادث المحمل، وعلى المستوى الشعبى والثقافى بدأ انقلاب خطير منذ سنة ١٩٢٦م تمثل فى بداية تحويل التدين المصرى السنى الصوفى إلى تدين سنى وهابى، ليكون العمق المصرى الشعبى والحضارى امتداداً للدعوة النجدية والدولة السعودية الثالثة، وكان سمسار هذا التحول فى مصر اثنين من الشيوخ الشوام وهما: محب الدين الخطيب، ورشيد رضا.. وعن طريق رشيد رضا بالذات تسلل الفقه الوهابى إلى مصر عبر الطرق الآتية:

١) **الجمعية الشرعية:** أسسها الشيخ محمود خطاب السبكى سنة ١٩١٣م على أساس الولاء المطلق للتصوف، وفى إخضاع الفقه للتصوف كتب الشيخ محمود السبكى أولى مؤلفاته: (أغلب المسالك المحمودية فى التصوف والأحكام الفقهية).. فى أربعة أجزاء، وكتاب (العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق)، وغيرها.. ولكن فى ١٩٢٦م اتخذت مؤلفاته طابعاً جديداً تحت شعار الدفاع عن السنة، وبالطريقة الوهابية أخذ يهاجم التصوف تحت هذا الشعار، وفى هذا الاتجاه الجديد كتب ٢٦ كتاباً إلى أن مات سنة ١٩٣١م، وعلى طريقه سار ابنه أمين السبكى فقد كتب فى الدعوة الوهابية تسعة من الكتب وتوفى سنة ١٩٦٨م، وهكذا:

وبالنفوذ السعودى الذى أرساه رشيد رضا انتشرت مساجد الجمعية الشرعية، وهى الآن أضخم جمعية فى مصر، تسيطر على أكثر من ألفى مسجد وألوف الأئمة والوعاظ، ومئات الآلاف من الأتباع، وكانت ولا تزال الاحتياط الاستراتيجى للإخوان المسلمين، وهم- أى الجمعية الشرعية والإخوان المسلمون- هم مادة الفكر السلفى الوهابى وحركته فى المجتمع المصرى.

٢) **جمعية أنصار السنة:** فى نفس العام ١٩٢٦م أقامها الشيخ

حامد الفقى.. أحد الأزهريين، وقد أنشأ له عبد العزيز منزلاً فى حى عابدين كان مقراً للدعوة الوهابية، وتخصصت هذه الجمعية فى نشر الفكر الوهابى ومؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، كما أنشأ مجلة الهدى النبوى سنة ١٩٣٦م ولا تزال تصدر، وأصدروا مجلة التوحيد لتكفير الصوفية ومحاربة سلطانهم الروحى على ملايين المصريين.

٣) **جمعية الشبان المسلمين:** أنشئت سنة ١٩٢٧م بتخطيط محب الدين الخطيب رفيق الشيخ رشيد رضا الشامى فى الدعوة السلفية، وتولى رئاستها د. عبد الحميد سعيد، والاتجاه الحركى يغلب على هذه الجمعية وانتشرت وسط الشباب، وكان حسن البنا هو أهم الشباب فيها، ومع أنه أنشأ الإخوان المسلمين على غرار جماعة الإخوان التى أنشأها عبد العزيز آل سعود، إلا أن حسن البنا كان دائم التردد على جمعية الشبان المسلمين، وقد قتل أمام أبوابها سنة ١٩٤٨م.

٤) **جماعة الإخوان المسلمين:** أسست سنة ١٩٢٨ وهى الاتجاه الحركى السياسى المسلح، وكان إنشاؤها بعناية رشيد رضا وتوجيهاته، ورشيد رضا هو الذى قام بتقديم الشاب حسن البنا إلى أعيان السعودية وأعمدة الدعوة الوهابية، ومنهم

حافظ وهبة مستشار الملك عبد العزيز، ومحمد نصيف أشهر أعيان جدة، وابنه عبد الله نصيف هو الذى كان يتزعم رابطة العالم الإسلامى، والتى يتغلغل من خلالها النفوذ السعودى إلى العالم الإسلامى حتى اليوم، وهى التى لعبت دوراً فى تجنيد الشباب المسلم من البلاد العربية وغيرها للذهاب إلى أفغانستان وتدريبهم هناك، خدمة للمصالح الأمريكية فى الحرب الباردة مع الروس، وهى الآن تحول دون وصولهم لأفغانستان لتحريرها من الاحتلال الأمريكى!!.

ونعود إلى الشيخ رشيد رضا وجهوده خارج نطاق الجمعيات لنلمح إلى تأسيسه مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج الدعاة فى جزيرة الروضة سنة ١٩١٢م، وكانت تجاوره مؤسسة الزهراء للسلفى الشامى محب الدين الخطيب فى نفس المنطقة، كما كانت مجلته (المنار) ذائعة الصيت متخصصة فى الدعوة الوهابية والسعودية، هذا بالإضافة إلى مؤلفاته المتخصصة (كالخلافة والسنة والشيعة)، وفيها يدعو إلى الخلافة الإسلامية، ويرى فى ابن سعود المؤهل الوحيد للخلافة، وعن طريق مطبعة المنار نشر رشيد رضا الكثير من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، وتوفى رشيد رضا بعد أن قام بتوديع الأمير سعود ولى العهد فى ميناء السويس سنة ١٩٣٥، وترك الراية يحملها

وراءه تلميذه حسن البنا مؤسس الإخوان.

والشيخ حسن البنا اعترف فى مذكراته (الدعوة والداعية) بصلته بالشيخ حافظ وهبة والدوائر السعودية، والأستاذ جمال البنا شقيق حسن البنا يعترف بتلك الصلة بين شقيقه الأكبر ووالده والسلطات السعودية فى كتابه (خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه)، والدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته عن السياسة المصرية يشير إلى معرفته بالشاب حسن البنا فى موسم الحج سنة ١٩٣٦م، وكيف أن حسن البنا كان وثيق الصلة بالسعودية ويتلقى منها المعونة، وكان البنا يمسك بيد من حديد بميزانية الجماعة، ولذلك فإن الانشقاقات عن الإخوان ارتبطت باتهام الشيخ البنا بالتلاعب المالى وإخفاء مصادر تمويل الجماعة عن الأعضاء الكبار فى مجلس الإرشاد، وعن طريق الدعم السعودى استطاع البنا- وهو المدرس الإلزامى البسيط- أن ينشئ خمسين ألف شعبة للإخوان فى العمران المصرى من الإسكندرية إلى أسوان[١].

إذاً استعاض عبد العزيز آل سعود عن الإخوان البدو المشاكسين بإخوان آخرين مصريين يدينون له بالولاء ويعملون

---

١) د. أحمد صبحى منصور: التدين المصرى والتدين النجدى: ٢٦ : ٢٨. منشور فى (الإنسان والتطور العدد ٦١ أبريل ومايو ويونية ١٩٩٨).

فى نشر العقيدة الوهابية فى أكبر عمق عربى وإسلامى يلاصقه، وينتظر منهم أن ينشروا هذه الدعوة إلى آفاق أرحب فى العالم العربى، وهذا ما حدث.. وينتظر منهم أيضاً أن يحولوا دعوتهم الدينية إلى حركة سياسية فى المستقبل، وهذا ما حدث.. وربما ينجحون فى الوصول إلى الحكم، وبذلك تعود الدولة الإسلامية الأولى ليحكمها آل سعود بدون الفتح العسكرى الذى تمنعه الدول الكبرى، وهذا فى حد ذاته يمثل المستحيل الآخر الذى تعامل معه عبد العزيز (موقف القوى الكبرى) وهذا المستحيل يستحق أن نفرد له كتاباً آخر.

سياسة عبد العزيز مع المستحيل الأول.. المناخ الثقافى:

مع الإخوان تخلص من خطرهم العسكرى بأقل قدر ممكن من الخسائر، وحول باقى طاقتهم الحربية إلى جيش دفاعى يلتزم بأوامره، وقام بتضميد الجراح واستمالة الخصوم، ومع العلماء أخضعهم لسيطرته ووضع سقفاً أعلى لحريتهم فى النقد والاعتراض، بما لا يتعارض مع المصالح الغربية، وفى نفس الوقت وضع سياسة للأخذ من الغرب، وبالاستفادة من تقدمه العلمى والتكنولوجى بما يتواءم وحالة بلاده للتطور وما يتلائم والدين الوهابى، وبنفس الطريق انفتح على العرب والغرب، فأنشأ تياراً جديداً متفتحاً، يسعى للخارج للسفر والسياحة

والتعلم.. ويقوم على عاتقه بنـــاء الدولة وتطورها.. الأمر الذى أدى فى النهاية إلى تغيير المستحيل.. وهو التقليد والجمود الذى كان ديناً، فأصبحت ذكرياته القريبة مبعثاً للخجل حين امــتلأت المملكة بالــسيارات وأجهــزة الراديــو والاتــصالات وســائر المخترعات.

ومع المنهج الوهابى انطلق به إلى آفاق أرحب، حين ركــز على مصر فانطلق به الإخوان المسلمون المصريون إلى العــالم العربى والإسلامى، وتحول التدين المصرى من التصوف إلــى الوهابية على مهل خلال النصف الثانى من القــرن العــشرين، خصوصاً بعد أن سقطت الأيدولوجيــة القوميــة والأيدولوجيــة اليسارية.

باختصار صدر عبد العزيز مشكلته فى المنهج الأيــدولوجى الوهابى إلى مصر، فى نفس الوقت الذى قام فيه بتحجــيم دور الفقهاء السعوديين مع الانفتاح على الغــرب، وجــاء البتــرول وعوائده الضخمة فانشغلت مملكته باستهلاك المنتجات الغربيــة التى لم تعد رجساً من عمل الشيطان.. بينما تسلل الفكر الوهابى إلى مصر المنفتحة بطبيعتها على الغــرب، فأصــبح للفقهــاء السعوديين مجال مصرى وعربى أوســع يــسمع لهــم خــارج المملكة، واستعاضوا به عما كان لهم من نفــوذ ســابق داخــل

المملكة، وقد ظهر أثر ذلك التطرف والتعصب والتزمت الوهابى خارج السعودية منذ السبعينيات من القرن العشرين، حين أخذ الإخوان المسلمون الجدد- التكفير والهجرة والجهاد والقطبيون والناجون من النار والجماعات الإسلامية- يكررون- بعد نصف قرن- ما كان يفعله إخوان مطير وعتيبة والعجمان.

إلا أن هذه السياسة تعرضت لخطر الأيدولوجية الناصرية وتوجهاتها الدولية والقومية، وربما تثبت الأيام فى المستقبل أن أصابع السعودية- فى عهد فيصل- لم تكن بعيدة عما حدث من نكسات للناصرية، وتحول مصر إلى الفلك الأمريكى السعودى الوهابى فى عصر السادات، لأن استقراء الأحداث فيما بين ١٩٧٦م وحتى الآن يؤكد أن السعودية هى التى أصبحت مستفيدة سياسياً على حساب مصر، ويكفى أنها كانت قبل ثورة ١٩٥٢م تعتمد على العمق المصرى، ثم جاءها الخطر من ذلك العمق فى الحقبة الناصرية، وبعد القضاء على الناصرية أصبحت ليس فقط تعتمد على العمق المصرى، بل تتسيده وتركب أكتافه لتكون زعيمة العالم الإسلامى والعربى، بعد إخضاع مصر لنفوذها السياسى والثقافى، ويكفى أيضاً أن انتصار مصر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م تمخض عنه نتيجتان متناقضتان.. تضخم أسعار النفط لدى السعودية التى لم تحارب ولكن اقتطفت ثمار النفط وتحولت إلى مليارات الدولارات فى

رصيدها بدون عناء، بينما وصلت مصر التى حاربت إلى حافة الإفلاس، وحين اضطرت إلى سياسة الانفتاح استفاد منه السعوديون فانفتحوا على مصر يشترون به عقول بعض أبنائها وأجساد بعض نسائها، وذلك بأموال جاءت بها دماء الشهداء المصريين فى معركة العبور!!.. وما سمعنا فى التاريخ أن شعباً منتصراً يتحول أبناؤه إلى أجراء وتتحول بعض نسائه إلى ما يشبه السبايا فى زواج عرفى أو بدون زواج.. وأن يكون المشترى أو المستفيد هو من لم يحارب ولكنه جنى ثمار النصر من المنتصر وركب بها على أكتافه!.

والإنصاف الإسلامى يقتضى أن يكون لمصر حصتها فى زيادة سعر البترول لا تقل عن النصف، وذلك بأثر رجعى منذ ١٩٧٤م، والذى حدث هو العكس، اشترت السعودية بعض العقول والسواعد والأجساد المصرية بأبخس الأثمان، وتعاملت معنا بعقلية الاستعباد والاستئجار، وانقلب الحال، فبعد أن كان الحجاز والشام منطقة حيوية لمصر، أصبحت منطقة حيوية لنجد التى لم يهتم بها أحد من قبل.

باختصار تسيدت السعودية العمق المصرى واستغلته فى توسيع الوهابية، وفى حصار المناهج الأخرى الشيعية والصوفية بالتنسيق مع العلمانية اليهودية.. إلا أن هذا الذى حدث مع

فجاجته وغرابته يمثل إحدى الاستثناءات التاريخية التى تشذ عن القاعدة ولا تنفيها. فالأصل أن الجزيرة العربية فى جزئها الشرقى يتبع استراتيجياً إيران القطب الشرقى، وفى جزئها الغربى (الحجاز) يتبع مصر القطب الغربى، وتتأرجح نجد بين هذا وذاك، وتظل نجد فى جدل حضارى مع حدود الشام والعراق، وهما معاً (الشام والعراق) مناطق تخوم تتبع استراتيجياً إيران ومصر، وتعانى من غارات نجد وتخلفها.

إلا أن هذه القاعدة الثابتة تعرضت لنوعين من الظروف الاستثنائية:

الأولى، فى الفتوحات الإسلامية التى قادها الرسول ﷺ وخلفاؤه، وكان عمادها أعراب نجد وغيرها بعد أن أخضعهم المسلمون فى حرب الردة.. والثانية، وكان عمادها فى ظهور البترول أثر توحد معظم الجزيرة العربية تحت حكم عبد العزيز وظهور السعودية.

فى الظروف الاستثنائية الأولى فى عهد الخلفاء الراشدين وغير الراشدين، ناوأهم الأعراب الثوار تحت مسمى الخوارج، ثم الزنج، ثم القرامطة، وفى كل الحالات فإن عاصمة الحكم الإسلامية كانت تنتقل من الصحراء إلى أقرب منطقة حضارية للصحراء (الكوفة، دمشق، بغداد) وينتقل الأعراب الثائرون

أيضاً إلى نفس المناطق الحضرية.. أى لابد من التوجه إلى القطب فى إيران حتى ولو حمل اسم العراق العجمى، ثم لا تلبث مصر (بعد أن تحولت إلى ولاية تابعة لدمشق) أن تصبح ولاية مستقلة فى العصر العباسى الثانى، ثم تستقل بخلافة شيعية فى الدولة الفاطمية، وبذلك ترجع الأمور إلى نصابها فى الحسابات الاستراتيجية وتنافس القاهرة الفاطمية بغداد السنية، وتنجح فى هذا التنافس حتى يصل سلطان الفاطميين إلى العراق وتخطب مساجد بغداد للفاطميين أثناء ثورة البساسيرى، وفى كل الأحوال تنتقل الأضواء والصراعات من الجزيرة العربية إلى ناحية القطبين فى الشرق (إيران) وفى الغرب (مصر) وتترك الجزيرة العربية.. بحيث إن كل الثورات التى قام بها الحجاز لاسترداد مكانته قد منيت بالفشل.. مع أهمية الحجاز الدينية والتاريخية، واتضح سياسياً وتاريخياً منذ الفتوحات العربية والإسلامية أن دور الجزيرة العربية هو أن تكون تابعاً للمناطق الحضارية الغنية فيما بين القطبين مصر وإيران، وأن غاية الطموحين من أبناء الجزيرة العربية هو الوصول بالغارات والغزوات إلى هذين القطبين، فإذا وصلت إلى هناك انقطعت صلتهم بالجزيرة العربية، يسرى هذا على معاوية كما يسرى على أحفاد الأمويين فى دمشق ثم فى الأندلس، وأحفاد العباسيين فى بغداد ثم القاهرة المملوكية بعد سقوط بغداد.

وظل هذا دور الجزيرة العربيـــة بإغاراتهـــا التـــى تحمـــل أيدولوجية دينية أو لا تحمل تلك الأيدولوجية، إلى أن جاء عبـــد العزيز ليقيم دولته السلفية الوهابية، فأراد الإخوان تكرار التوسع الحربى وفشلوا.

وظهر البترول فى المملكة فى صدفة تاريخية، فانتشر النفوذ السعودى سلمياً عبر قطار النفط السريع فى مصر، ومن خلالها إلى العالم الإسلامى والأقليات الإسلامية فى الغرب والـــشرق.. وهذا الظهور الذى ارتبط بالصدفة البترولية لا يغير من الحقائق الاستراتيجية، بل يؤكدها.

تطـور الإنتـاج الـبترولى فـى عـصر سـعود بـن عبـد العزيز:

شهد الملك عبد العزيز فى حياته التضخم الهائل فـــى ثـــروة البلاد من إنتاج النفط، فقد كان ٢٠٠ ألف دولار قبـــل الحـــرب العالمية الأولى، ووصل إلى ١٠ مليـــون دولار قبـــل الحـــرب العالمية الثانية، ليصل إلى ٦٠ مليون دولار فى عـــام ١٩٤٨م، ثم ١٦٠ مليون دولار فى عام ١٩٥٢م، ثم ارتفع ســـنة وفاتـــه ليصل إلى ٢٥٠ مليون دولار. وكانت إيـــرادات الدولـــة ٧٥٧ مليون ريال، جاء منها ٩٠% من عوائد النفط[١].

---

١) الياسينى: الدين والدولة فى السعودية: ٩٣، ٩٤.

وبرغم اتهام الملك سعود بن عبد العزيز بالإسراف ودخـــول المملكة فى أواخر عهده فى متاعب مالية أسفرت عن عزله، إلا أن دخل المملكة فى آخر سنة من عهد سعود وصل إلـــى ٥٠٠ مليون دولار[١]، ومن الطبيعى أن ينعكس ذلـــك علـــى سياســـة سعود وعصره، حتى لقد كان البترول هو المؤثر الحقيقى التـــى تبلورت منه حركة المعارضة.

البترول وترف الملك سعود :

حتى ١٩٥٩م- حين ظهرت أول ميزانية للدولـــة الـــسعودية عمادها البترول- لم تكن هناك تفرقة واضحة بين أموال الدولة وأموال الأسرة الحاكمة، حيث كان عبد العزيز يعتبـــر أمـــوال الدولة ملكاً شخصياً له ينفق منها على أحوال المملكـــة حـــسبما يتراءى له، وفق ما كان سائداً فى تاريخ المسلمين فى القـــرون الوسطى، ثم مع بداية التحديث أنـــشئت وزارة الماليـــة لـــضبط حسابات المملكة، والتفريق بين مالية العرش ومالية الدولة، وفى الميزانية المـــذكورة لـــسنة ٥٨: ١٩٥٩م تخـــصص للعـــرش السعودى ١٧% من الميزانية لإنفاقهـــا وفـــق رغبـــة الملـــك، بالإضافة إلى ١٩% من الميزانية وضعت تحت بنـــد (نفقـــات

---

١) فؤاد الإبراهيمى: مجلة الجزيرة العربية، العدد ١٦ مـــايو ١٩٩٢م ص ٢٨.

أخرى) لتنفق حسب الرأى الشخصى للملك أيضاً.

وخلافاً لوالده عبد العزيز فإن الملك سعود اشتهر بالإسراف خصوصاً مع الطفرة البترولية، وشاع الحديث عن ترف القصور الملكية فى عهده، بما يتناقض مع المحاذير الوهابية السلفية، وما كانت عليه المملكة من تقشف قبل ظهور البترول[١].

وقد بلغ ما أنفقه الملك سعود على الناصرية (وهى مدينة تشمل عشرات القصور ومساحتها ٨ كم) ٨ مليون ريال، وحين أصبحت من الطراز القديم هدمها وبنى أخرى حديثة مكانها بملبغ ٨٥٠ مليون ريال، منها ٤٣ مليون دولار للخدمات الخاصة بالبلدية، وفيها مدارس للأمراء من أبناء سعود وملاعب ودور سينما وحمامات صناعية للسباحة، وجميع وسائل الراحة والمطاعم الأمريكية، ويحضرون له الطعام خصيصاً مقابل ٣٥٠ ألف دولار شهرياً (لاحظ)، كما يشرف الأمريكان على جميع مرافقها وشؤونها (تأمل)، وقد أقيم من أجلها مشروع الخرج الزراعى لسد حاجتها من الحليب والزبدة والدجاج واللحوم والبطيخ، وتكلف مشروع الخرج ٢٧ مليون دولار، واستوردوا له أبقاراً ودجاجاً من الولايات المتحدة كلفت الخزينة

---

١) الياسينى: المرجع السابق، ٩٤، ٩٥.

٢٠ مليون دولار[١].. هذا فى الوقت الذى سرق فيه ثلاثمائة بدوى فى الأحساء بعيرين وأكلوهما بسبب الجوع فأمر حاكم الأحساء سعود بن جلوى بقطع أيديهم جميعاً، وتغريمهم ستمائة ريال ثمن البعيرين[٢].

صحيح أن الملك سعود سار على طريق أبيه فى إعطاء البدو رواتب، إلا أنها كانت هزيلة للأفراد، وجزيلة- نوعاً ما- لشيوخ القبائل[٣]، ولم تتوازن مع حجم الإسراف والترف الذى أحاط بالقصور الملكية، وفى تلك الفجوة بين الترف والفقر لعبت المعارضة للملك سعود، وتحددت أطروحاتها الفكرية والسياسية فى الدعوة للاشتراكية والعدل الاجتماعى مع تنوع المرجعيات.. ما بين ناصر السعيد والرفاق الاشتراكيين والشيوعيين، حيث كان العصر عصر الاشتراكية.

البترول وعلمانية المملكة السعودية :

أدى ظهور البترول ونشأة الاقتصاد النفطى فى المملكة السعودية إلى إقامة هياكل إدارية معقدة اختلفت عن البساطة

---

١) ناصر السعيد: رسالة إلى الملك سعود.

٢) ناصر السعيد: تاريخ آل سعود، ٥٤٧.

٣) الجزيرة الجديدة: الدولة السعودية: ص٢٦، وهى جريدة كان يصدرها الحزب الديمقراطى الشعبى سنة ١٩٧٠م من اليمن الجنوبى.

الإدارية فى عهد عبد العزيز، فحتى عام ١٩٥١ كانت توجد ثلاث وزارات فقط هى الخارجية وأنشئت سنة ١٩٣٠م، والمالية سنة ١٩٣٢م، والدفاع سنة ١٩٤٦م، وكانت تنظيماتها وإداراتها بسيطة، ولكن أصبحت الوزارات أكثر عدداً، وأصبح عملها أكثر تعقيداً، فقد أنشئت وزارات الداخلية والتعليم والزراعة والمواصلات والتجارة والصناعة فيما بين ١٩٥١ و١٩٥٤م، ثم أضيفت ست وزارات أخرى مع ثلاث وزارات دولة بدون حقائب وزارية فيما بين ١٩٦٠ و١٩٦٢م، وأنشئت أقسام مستقلة ومكاتب فى إدارات الدولة، وأنشأ مجلس الوزارات هيئات ووكالات حكومية عامة فى الستينيات للسكة الحديدية والبترول والتعدين والخطوط الجوية..[١] إلخ.

وأسفر هذا التحديث للملكة عن نتائج أربعة هامة:

١) تهميش دور علماء الدين :

كان علماء الدين فى نجد أكثر تأثيراً وتشدداً وأقوى نفوذاً عن زملائهم فى الحجاز- الذى كان أكثر انفتاحاً على العالم وأكثر تأثراً بالتطور السائد فى عصرهم- ومن هنا كان التعليم الوهابى مسيطراً فى نجد فى مقابل ما يمكن تسميته بالتعليم

---

١) الياسينى: المرجع السابق، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١٠١، ١٠٢.

العلمانى[1] الذى عرفه الحجاز من قبل دخولـــه فـــى الـــسيطرة السعودية.

إلا أن علماء الدين فى نجد والحجاز كانوا تـــابعين للـــسلطة الإدارية السعودية التى توازن بين السلطة الأصـــولية الوهابيـــة النجدية والتحديث العلمانى، ومن الطبيعى أن يـــؤثر التحـــديث العلمانى الذى سارت فيه المملكة على السلطة المتوارثة لعلمـــاء الدين الوهابيين، خصوصاً فى نجد والرياض عاصـــمة الدولـــة التى أخذت تتأهب فى عصر سعود لتكون عاصمة عصرية.

لقد صاحب اتساع الهياكل الإدارية تزايد سلطانها على عـــدد هائل من المجالات الاجتماعية بما فيها تلك التى كـــان يـــديرها علماء الدين والمؤسسات الدينية، فالمجلس البلـــدى مـــثلاً كـــان تمثيل العلماء فيه محدوداً، وأصبحت السيطرة فيه على مجالات كانت تخص رجال الدين، مثل إدارة الأوقاف والمدارس الدينية والتعليم، بل إن مناهج التعليم لم تقتصر على العلوم الدينية بـــل أضيفت إليها العلوم الحديثة التى كان يعارضها علماء الوهابيـــة

---

١) العلمانية فى القاموس الإنجليزى هى: النظريـــة القائلـــة: إن الأخـــلاق والتعليم يجب أن يكونا غير مبنيين على أسس دينية.
وفى دائرة المعارف البريطانية: العلمانية تهدف إلى نقـــل النـــاس مـــن العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب.

من قبل.

بل تعدى الأمر إلى القضاء، وهو أهم مجال لعلماء الدين، إذا أن اكتشاف البترول وما تلاه من اتساع الخدمات الحكومية والقضائية وتنوع المشكلات المترتبة على ذلك أظهر عجز المحاكم الشرعية التقليدية عن احتواء قضاياه ومشاكله، وخصوصاً فى التعامل مع الأجانب، وكان عبد العزيز يتولى بنفسه مثل هذه القضايا، ولكنه مع حلول الثلاثينيات أصبح عاجزاً عن التعامل معها كلها، والمحاكم الشرعية أصبحت (خارج القضايا المحلية المدنية والجنائية) عاجزة فى حل القضايا الخاصة بالصراعات الناتجة عن الاقتصاد النفطى وتعقيداته، وهكذا حول عبد العزيز تلك السلطة القضائية إلى لجان ومجالس ومحاكم خاصة متميزة عن النظام القضائى العادى، مثل هيئة المظالم، ولجنة فض المنازعات التجارية، واللجنة العامة لقضايا الغش، ويتحكم فيها خبراء تلقوا تعليماً مدنياً علمانياً، ثم ما لبث أن أدمج عبد العزيز هذه الكيانات فى النظام القضائى للدولة، وعلى سبيل المثال أنشأ الملك سعود فيما بعد هيئة المظالم سنة ١٩٥٥م، ويقوم الملك بتدبير سياستها وتعيين رئيسها ونائبه، وتخضع قراراتها لتصديق الملك، وتتضمن سلطاتها نظر المظالم التى يرفعها المواطنون ضد هيئات ووزارات الدولة، والقيام بالتحرى عن المسؤولين

الحكوميين والتحكيم فى النزاع المتعلق بالمرتبات والأجور والتعاقد والمعاش والتعامل مع الأجانب.. إلخ، ومع سلطاتها الواسعة فإن تمثيل علماء الدين فيها يقتصر على اثنين فقط يمثلان الشريعة[١].

٢) إخضاع علماء الدين للدولة:

ضمن سياسة التحديث والتطوير أحكمت الدولة السعودية قبضتها على علماء الدين، وأدمجتهم فى إدارة الدولة ضمن الهيئات التالية: هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إدارة البحوث الدينية والإفتاء والدعوة، مراقبة تعليم البنات، مراقبة المساجد والأوقاف.

وعلى سبيل المثال كانت هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أقدم وأهم سلطة فى الدولة السعودية، ويكفى أنها بدأت سنة ١٩٠٣ على يد الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ فى الرياض بعد أن استردها عبد العزيز، ثم توسعت الهيئة مع توسعات عبد العزيز فى الجزيرة العربية، إلى أن وصلت بعد ضم الحجاز إلى الأراضى المقدسة، وكانت إدارتها العليا فى يد واحد من أبناء الشيخ، وهو يتلقى تعليماته من الملك، ولم تكن مهمات المطوع فى الهيئة محدودة، وكانت سلطة المطوعين فى

---

١) الياسينى: المرجع السابق، ١١٧: ١١٩، ١٢٠، ١٢١.

البداية تغطى مساحات كبيرة من المملكة فى الأسواق والمساجد والطرقات والملابس واللحى للتأكد من اتباع السنة طبقاً للمفاهيم الوهابية، ولكن ضم الحجاز المنفتح بطبيعته على العالم الخارجى أوجد نوعاً من التخفيف، وأدى هذا التخفيف إلى وجود نوع من المعارضة ضد عبد العزيز، مما جعله يصدر مرسوماً ملكياً فى ١٩٣٠ يقضى بضم هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى المراقبة العامة لقوات الشرطة، وجرد المطوعين من سلطة إلقاء القبض التى كانوا يتمتعون بها من قبل، وحصر وظائفهم فى التبليغ عن ارتكاب المعاصى للشرطة، وبذلك تحول دورهم إلى عمل بيروقراطى إشرافى، واقتصر على حث الناس على الصلاة، وأصبحت مهامهم السابقة تؤديها وزارات الداخلية والصحة والمالية والاقتصاد الوطنى والزراعة والعدل والشؤون البلدية[١]، ومن هنا اقترن تهميش دورهم بتحويلهم إلى موظفين عاديين ذوى واجبات محددة لا يجوز تجاوزها وإلا تعرضوا للفصل.

وينطبق نفس الوضع على هيئة الإفتاء والدعوة والبحوث الدينية والإرشاد التى أصبحت هيئة مستقلة من هيئات الدولة وتخضع للملك مباشرة ولرئيس الوزراء، ومع قيامها بنشر

---

١) الياسينى: المرجع السابق، ١٠٤، ١٠٩.

المبادئ الوهابية فى الخارج وتأكيدها فى الداخل إلا أن صوتها فى معارضة آل سعود لم يكن مسموعاً، وظل كذلك إلى أن علا صوت الحركة السلفية المعارضة فى حركة جهيمان العتيبى الذى كان أكثر سخطه موجهاً للعلماء المنتمين لهذه الهيئة، وكان يسمى علماء الدولة بعلماء الشهادات، لأنهم فى نظره يعبرون عن السلطة ولا يعبرون عن التوجهات الحقيقية الأصيلة للوهابية التى يتحرك هو على أساسها من وجهة نظره.

وبالتالى فإن المنتظر أن تأتى المعارضة فى عصر سعود من جهات خارج نطاق علماء الدين، خصوصاً وأن علماء الدين فى ذلك الوقت انشغلوا بمواجهة منافسين جدد هم العلماء المدنيون أو العلمانيون الذين احتاجتهم الدولة فى تحديثها وتطويرها.

٣) وجود تنافس مدنى علمانى[١] لعلماء الدين:

شهد عصر سعود ظهور نخبة علمانية مدنية تتنافس مع النخبة الدينية فى مجال التوظيف لدى الدولة وأجهزتها الإدارية والسياسية، وأسهم فى إيجاد هذه النخبة المدنية نظام التعليم

---

١) جاء فى القاموس الإنجليزى أن كلمة علمانى تعنى (دنيوى مادى، ليس دينى أو روحانى، ليس بمترهب، أى: ليس بعابد) وتحدثت دائرة المعارف البريطانية عن العلمانية ضمن حديثها عن الإلحاد.

المدنى الذى بدأ رسمياً سنة ١٩٥٢م، عندما أنشأ عبد العزيز الإدارة العامة للتعليم برغم معارضة علماء الدين، ونتيجة إصرار عبد العزيز تحولت إدارة التعليم إلى وزارة للتعليم فى سنة ١٩٥٣م برئاسة الأمير فهد، وأنشئت فيها أقسام للتعليم الابتدائى والثانوى وتدريب المعلمين والتعليم الفنى والبرنامج الدراسى لدراسة الطلاب السعوديين فى الخارج، وأنشأ كليتين إحداهما للشريعة وأخرى للمعلمين فى مكة.

ثم بدأ التوسع فى عهد سعود فى إنشاء المدارس ليشمل مدارس البنات، وليصل الإنفاق العام فيه إلى ١٦٨,٨ مليون ريال سنة ١٩٦٠: ١٩٦١م، وبرغم معارضة العلماء السعوديين انتشرت مدارس البنات منذ سنة ١٩٦٠م بعد الاعتراف الرسمى بحق المرأة فى التعليم سنة ١٩٥٩م، وتم إنشاء مؤسسات جامعية للمرأة سنة ١٩٦٠ : ١٩٦١م فى جامعة الرياض، ثم تزايد عددها بعدها.

وفى عام ١٩٥٧م تأكد التعليم العام الجامعى على أسس علمانية بافتتاح جامعة الملك سعود فى الرياض، وفى الأعوام التالية افتتحت كليات البترول والمعادن وجامعة الملك عبد العزيز، وتخرج فى هذه المدارس والجامعات جيل جديد مختلف فى عقليته وتفكيره عن آبائه وعن الفكر الدينى الوهابى، وهذا

الجيل وجد طريقه فى التوظيف فى إدارات الدولة وقام بدور هام فى تحديثها العلمانى، ووصل إلى أعلى المناصب، وكون ما يعرف بالنخبة العلمانية، وكان لها تأثيرها فى عصر الملك سعود.

وقد انعكس التأثير العلمانى فى زيادة عدد الوزراء العلمانيين الذين تولوا الوزارات الجديدة مع الأمراء فيما بين ١٩٥٤ : ١٩٥٨م، ثم تزايد عددهم أكثر فى سنة ١٩٦٠م حين عين الملك سعود خمسة وزراء خارج الأسرة المالكة، منهم أربعة وزراء تخرجوا فى جامعة القاهرة وكانوا شبابا وقتها، وكان خامسهم فى الخامسة والثلاثين حين تولى الوزارة وتخرج فى جامعة تكساس وتولى وزارة البترول والثروة المعدنية، وبالتالى أصبح للعلمانيين الدور الأكبر فى الإدارات الحكومية باستثناء الحرس الوطنى والهيئات الدينية.. مما يؤكد أن الحكومة اسعودية حتى الآن ليست إسلامية، وإنما هى حكومة علمانية على نفس النمط الغربى، وهى نقطة جوهرية يجب أن يعيها المسلمون فى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، حتى لا تخدعهم الشعارات الدينية التى يروجها أبواق الوهابية هنا وهناك.

وأصبح واضحاً وجود تنافس بين العلمانيين والوهابيين فى إدارة الدولة، يريد العلمانيون الإصلاح والتطوير الاقتصادى

والاجتماعى والسياسى وفق المنظور الغربى، بينما يريد الوهابيون تأكيد الطابع الدينى الوهابى، ولكن يظل الملك هو محور الارتكاز فى التوازن وضبط الصراع بين الاتجاهين، بحيث يحافظ النظام السعودى على الوهابية مع محاولة التكيف مع الظروف المتغيرة [١].. إلا أن سياسة سعود لم تصل بالتحديث إلى إصلاح أحوال الطبقات الفقيرة، وحين انشغلت النخبة الوهابية بالتنافس مع النخبة العلمانية، وبالحفاظ على مصالحها فى إطار التوظيف السعودى، فإن المعارضة جاءت من جانب العلمانيين المنشقين المتأثرين بالأيدولوجيات الاشتراكية، خصوصاً وقد كانت أعينهم على مثالب الواقع المحتاج إلى الإصلاح.

٤) إهمال الإصلاح الاجتماعى والتحديث التحتى:

لم تصل أصداء الإصلاح والتحديث العلمانى إلى البوادى والقرى وسكانها الذين عاشوا فى رتابة التقليد، لولا أن بعض أبنائهم تفتحت عيونهم على التغيرات الجديدة، وطالبوا بوصولها إلى بلادهم وعشائرهم، وإذا كان بعضهم يحمل ثأراً قبلياً ضد

---

١) الياسينى: المرجع السابق : ١٢٣، ١٢٤، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.

فؤاد الإبراهيمى: مجلة الجزيرة العربية، المرجع السابق ص ٢٩.

آل سعود، فما أسهل أن تتحول مطالبه إلى معارضة، وهذا ما حدث مع ناصر السعيد ابن مدينة حائل عاصمة إقليم شمر.

ولعبت شركة (أرامكو الأمريكية للبترول) دوراً كبيراً في تحديث المجتمع السعودى بإشاعة التعليم الحديث أى: العلمانى، إذ أنشأت أول مدرسة ابتدائية لتعليم الكبار سنة ١٩٤٠ ونظمت لموظفيها المحليين بعثات دراسية فى الخارج فى أوربا وأمريكا حيث تعلموا وتعرفوا على مظاهر التقدم العلمى وعادوا بأفكار جديدة عن الحقوق والواجبات[١]، فما لبث أن عانت منهم أرامكو.

وفى خطابه الذى ألقاه ناصر السعيد أمام الملك سعود فى مدرسة حائل فى ١٩٥٣/١٢/١١م، بدأه بقوله للملك: (بسم الله الحق، باسم العمال المعذبين، باسم الفلاحين الذين أصبحوا فريسة للمرابين، باسم البدو المشردين، باسم الشعب العظيم الذى حرم من نور العلم طويلاً طويلاً يا طويل العمر..) أى يحدثه باسم الفقراء من العمال والفلاحين والبدو، ثم يسأل الملك الذى كان يزور حائل بمناسبة بيعته ملكاً، فيقول له: (هل تجشمتم مصاعب الطرقات الوعرة بقصد الدعاية لنفسك أم بقصد الترفيه.. إذ ليس فى مئات المدن والقرى والصحارى التى

---

١) فؤاد الإبراهيمى: المرجع السابق ص ٢٩.

مررتم بها إلا الفقراء الذين رأيتهم يمدون أيديهم ضارعين من الفقر والمرض والجهل اللعين.. وكان بإمكانك أن تقطع هذه المسافة بالطائرات ولكنك قطعتها بالسيارات.. ولهذا نحاول أن نقنع أنفسنا أنك جئت حسب الظن بقصد الإطلاع على ما يلاقيه شعبنا.. وعرفت أنت بنفسك بعد أن انكسرت العديد من سياراتك أنه لا يوجد طريق واحد معبد.. كما لا يوجد علاج ولا معالج، ولا ماء نظيف صحى، ولا دواء، ولا عمل، ولا مساكن تليق بالإنسان، وهذا ما جعلك تسكن فى الخيام فى كل مدينة تنزل بها، بما فيها حائل، لعدم وجود ما يصلح لسكناك كملك من مساكن شعبنا).

أى أن تحديث المملكة العلمانى لم يصل إلى القواعد العريضة للشعب فى عصر سعود (٥٣ : ١٩٦٤).

وأرامكو التى ساهمت فى التحديث عن طريق التعليم العلمانى وإرسال البعثات إلى الخارج، كانت أيضاً لها مساوئها فى التعامل مع العمال، مما جعل الوعى الذى أسهمت فى إيجاده ينقلب عليها ثورة عمالية فى حركة ناصر السعيد، ففى خطبته السالفة أمام الملك سعود يقول ناصر السعيد عما فعلته أرامكو معه ومع العمال الثائرين: (ولهذا فقد شردنا وعذبنا وسرحنا من العمل، حتى أن العمال قد سجنوا سجناً جماعياً خلف

الأسوار الشائكة فى وهج الشمس المحرقة، وقطع عنهم المـــاء ومنع الطعام، ثم سمح لهم أخيرا بالطعام، ولكنه طعام ســـم يـــا سعود، هل تصدق؟ لقد وضع لهم السم فى طعام هـــذا المطعـــم المسمى بمطعم أبو ربع ريال، ومات سبعة عشر من العمـــال، وقد أسعف الباقون بغسيل بطونهم، وادعت الشركة الاستعمارية أرامكو أنه حدث لهم تسمم غير مقصود، لأن قدور الطعام غير نظيفة، ولكنه تأكد من أقوال أحد الأطبـــاء الفلـــسطينيين الـــذين يعملون فى الشركة نفسها، وكشفوا ضمن الأطباء علـــى حالـــة العمال المصابين أن التسمم حادث عن طريق سم حقيقى عثروا على بقيته، وقد ثبت هذا، وعلى أتم الاستعداد أن أثبت لكم مـــا أقول)[١].

وفى الواقع فإن أرامكو كانت محور التحديث العلمانى، فمن عوائد البترول التى خرجت عن طريقهـــا تـــم رســـم الـــسياسة السعودية فى الداخل، وكانت شركة أرامكو تمثل فى نظر جمال عبد الناصر وناصر السعيد والاشتراكيين فى الداخل والخـــارج مركز الاستعمار الأمريكى فى المنطقة كلها، بعـــد أن وضـــع البترول المملكة السعودية فى قلب الاهتمـــام العـــالمى، ومكـــن أبناءها من التأثر بما يجرى فى العالم، وأثر على سياسة ســـعود

---

١) ناصر السعيد: تاريخ آل سعود، ١١٠-١٢١.

الخارجية، مما كان له أثره فى توجيه المعارضة فـــى الـــداخل وجهة اشتراكية.

أثر البترول فى سياسة سعود الخارجية:

بسبب البترول ورث الملك سعود وضعاً مـــستقراً لـــسياسته الداخلية والخارجية تمثل فى التحالف مع أمريكـــا، إلا أن قيـــام الثورة المصرية، واعتناق عبـــد الناصـــر الفكـــر الاشـــتراكى وانضمامه إلى المعسكر الشرقى فى الحرب الباردة ضد أمريكا، كل ذلك عمق الخصومة بين عبد الناصر وسعود، خصوصاً مع اشتعال الخصومة بين عبد الناصر والإخوان المسلمين، وهروب معظمهم إلى ربيبتهم الـــسعودية، فقامـــت الأخيـــرة بتمـــويلهم، وتسخير إمكاناتها الهائلة فى نشر الفكر الوهابى فى جميع أنحاء العالم عن طريق زعماء الإخوان المسلمين. وفى ظل الخـــلاف المعلن بين مصر والسعودية أيدت كل منهما الجبهات المعارضة للأخرى، فبينما أيدت مصر حركة ناصر الـــسعيد ذات التوجـــه الاشتراكى وغيرها، أيدت المملكة السعودية الإخوان المسلمين.

والمعنى المستفاد أن هذا النفوذ السياسى السعودى الخارجى فى مصر وغيرها هو صدفة تاريخية مرحلية.. وأن الأمـــور لا تلبث أن تعود لطبيعتها المستمرة والمستقرة.. وتعود الجزيـــرة العربية إلى وضعيتها السابقة فى التبعية بين إيـــران ومـــصر..

وهناك من الشيوخ المعمرين فى الجزيرة العربية من لا يــزال يتذكر المحمل المصرى وما كان يحمله من صــدقات للفقــراء، وإعانات لشيوخ الأعراب وغيرهم، ثم إن القوة الكبــرى التــى تراهن عليها السعودية (أمريكا) لن تظل هيمنتها إلى الأبد، وتلك الهيمنة مرتبطة بمدى استنزافها للبتــرول، وقــد أفلحــت فــى استنزاف الجزء الأكبر منه خلال حــرب الخلــيج وتوابعهــا.. وخلال عقدين من الزمان تقريباً ستكون قد استنزفت مــا تبقــى منه، واحتفظت بأرصدته النقدية فى بنوكها.. وساعتها لن يكون للأسرة الحاكمة السعودية شأن كبير لدى السياسة الأمريكيــة.. وستضحى بها عند أول أزمة، أو لمجرد الــشعور بالملــل، أو الرغبة فى التغيير.. فما هو الحال إذا تعرض الجنود الأمريكان إلى تفجيرات أخرى على شاكلة ما حدث فى بيروت أو ما حدث فى الصومال؟.. وذلك وارد مع وجــود النقمــة العامــة علــى السياسة الأمريكية وتحالفها مع الصهيونية الإسرائيلية، وتخــاذل الأنظمة السياسية العربية.. فقد يعطى ذلــك زخمــاً لحركــات المعارضة داخل المملكة وتهدد المصالح الأمريكية وقواعــدها، بحيث تتحرك عقدة فيتنام لدى العم سام فيرحل ويترك حلفــاءه يواجهون مصيرهم.

وهكذا فإن ما أرساه الملك عبد العزيز فى سياسته الإقليميــة فى العمق المصرى وفى سياسته الدولية- التحالف مع إنجلترا،

ثم مع أمريكا- وما سارت عليه الدولة السعودية بعده من تأكيد هذه السياسة وما عززه من ظهور البترول.. كل ذلك لا يجدى شيئاً إذا تخلخلت الدولة السعودية من الداخل، وواجهتها معارضات أخرى، خصوصاً المعارضة الشيعية ذات الارتباط بالقطب الشرقى فى إيران وباقى الطوائف الشيعية فى العالم الإسلامى، علاوة على الصوفية والأشراف داخل وخارج المملكة.

(٢)

فى مصر قامت أول وأقدم دولة مركزية فى التاريخ الإنسانى، ولا تزال قائمة، والفضل فى ذلك يرجع للنيل شريان الحياة فيها، وقد استلزم النيل وجود حكم مركزى قوى يرعى الرى والصرف، ويقيم منشئات على النيل، ويحمى حياة الاستقرار الزراعية.

وهذه الحياة المستقرة جعلت الانتماء للأرض وللوطن الذى يبدأ من القرية إلى المقاطعة ثم إلى الوطن الكبير فى مصر فى النهاية.. وفى إطار الانتماء إلى الوطن والبلد والجهة أصبح الانتماء إلى الأسرة محدداً ومحصوراً داخل القرية أو المدينة.. وتولت الدولة بالنيابة عن الأسرة القيام بالدفاع عن الفرد ورعايته.

وامتدت الدولة المركزية فى مصر جنوباً بقدر ما يسمح بـــه نفوذها، ووصل النفوذ المصرى فى العصر الحديث إلى منـــابع النيل وبعض موانئ البحر الأحمر فى أريتريا والصومال، كمـــا وصل النفوذ المصرى شرقاً إلى السيطرة على الـــشام وأجـــزاء من العراق وآسيا الصغرى فى الدولة المملوكية.. ثم فى دولـــة محمد على باشا.

ونفس الحال تقريباً فى إيران.. قبل الفتح الإسلامى توســـعت فى إطار تنافسها مع البيزنطيين لتصل ممتلكاتهـــا إلـــى آســـيا الصغرى وتضم لها العراق والشام.. ثـــم مـــصر فـــى بعـــض الفترات.. وبعد أن أنهكها الصراع مع البيزنطيين أصبحت مثل مصر ولاية ضمن دولة الخلافة الإسلامية.. ثم أسهمت إيـــران فى هدم الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية، وظلـــت الدولـــة العباسية إلى أن سقطت تحت الغزو المغولى.. فانتقلت الخلافـــة العباسية إلى القاهرة.

والمستفاد أن القطبين الإقليميين فى مصر وإيران هما معـــاً أصحاب الدول الحقيقية المستمرة والمستقرة فى المنطقة.. ومـــا بينهما فمشروعات دول تقوم وتسقط فى مناطق التخوم الواقعـــة بين مصر وإيران.. وهذا الاضـــطراب الـــسياسى فـــى الـــشام والعراق ليس مبعثه فقط وقوع الرافدين بين قـــوتين إقليميتـــين

كبيرتين.. ولكن أيضاً لأن الأراضى الخصبة فى الرافدين لا توجد فيها حواجز طبيعية تمنع إغارات البدو النجديين الذين يحترفون الإغارة على المناطق الحضرية والعمرانية فى جنوب الشام والعراق.. بينما تقف جبال الحجاز والبحر الأحمر وجبال البحر الأحمر عائقاً يمنع غارات الأعراب على مصر، ويقف الخليج وسكانه حاجزاً يمنع غارات الأعراب عن إيران، هذا بالإضافة إلى قدرة الدولتين حتى فى عصور الضعف على مواجهة الغارات البدوية إذا أمكن لها أن تتسرب إليهما.. وفى الأغلب فإن الغارات البدوية تستهدف أساساً الشام والعراق معاً حيث يسهل الانسياح فيهما.. وبالإضافة للغارات فهناك هجرة القبائل العربية إلى الرافدين لتسهم فى إقامة الاضطراب، وتزيد من حدة الاحتقان الطائفى فى تلك المنطقة التى تمثل منطقة تلاقى واحتكاك للأجناس والثقافات، ومن هنا تمتلئ منطقة الرافدين بالتعدد العنصرى والثقافى والدينى والمذهبى.

وأسهم هذا كله فى تحويل المنطقة الزراعية فى الرافدين إلى مشروعات دول متحركة سرعان ما تقوم وسرعان ما تسقط حسب الظروف المحلية والإقليمية والدولية، ولنتذكر أن الدول القائمة الآن (العراق وسوريا ولبنان والأردن) قد رسمها ضابطان أحدهما بريطانى يدعى (سايكس)، والآخر فرنسى يدعى (بيكو).. فيما عرف باتفاقية سايكس بيكو.. وحتى بعد

إقامة تلك الدول بحدودها التى أصبحت دولية معترفاً بها، فـــإن عدم الاستقرار لا يزال يصاحبها، من تكرار الانقلابات، وتوزع الولاءات، وذلك يرجع إلى أنها لم تعرف بعد ترســـيخ مفهـــوم الدولة ذات الحدود المستقرة عبر عشرات القرون، والتى يندمج فيها الفرد ويضحى فى سبيلها بانتماءاته العائلية والقبلية والدينية والمذهبية بمثل ما تعود عليه المـــصرى والإيرانـــى. ولبنـــان بديمقراطيتها أصدق مثل على هذا، فالديمقراطية فيه ديمقراطية طوائف، والانتماء لشيخ الطائفة أو القبيلة، وولاء الفرد لقبيلتـــه أو طائفته وليس للدولة، وحين اختلف الزعماء كاد لبنان يـــضيع بأسره.

إن الجغرافية السياسية للرافدين تتمثل فى موقعه بين مـــصر وإيران وموقعه المتاخم لبدو الجزيرة العربية بـــدون فواصـــل مانعة، وموقعه فى طريق الهجرات الأخرى القادمة من الشرق والشمال، وهذه الجغرافية السياسية جعلت الشام والعراق منطقة احتكاك للأجناس والثقافات والمذاهب والقبائل، بغض النظر عن نطق الأغلبية فيها باللغة العربية واعتناق أغلبها الإســـلام.. إلا أن هذه الفسيفساء الجنسية والعرقية والثقافية أدت إلى انقسامات مذهبية داخل الدين الواحد والطائفة الواحـــدة داخـــل المـــسلمين والنصارى.. وأثر أيضاً على الانتماءات العرقية فأصبحت أكثر انقساماً، فتحول الانتماء العربى إلى صراع قبلى بين قبائل قيس

وقبائل اليمن القحطانية، وانقسامات أخرى داخلية، وهناك أكراد الجبل وأكراد المدن والأشوريين والسريان.. إلـــخ.. ثـــم تفـــاقم الأمر بالهجرة الوافدة (الأرمن والشراكسة)، وتفاقم بـــالهجرات المسلحة التى أنشأت دولاً دينية مناوئة مثـــل الـــصليبيين فـــى العصور الوسطى، والصهاينة فى العصر الراهن، وتفاقم باتفاقية سايكس بيكو التى قسمت المنطقة حسب المـــصالح البريطانيـــة الفرنسية الصهيونية، وليس على أساس المصالح الوطنية لأبناء البلاد، مما ترتب عليه سلسلة من الانقلابات والحكـــم المـــستبد والقلق السياسى.

ولكن هذا الاستطراد لم يبتعد بنـــا عـــن موضـــوع الدولـــة السعودية، لأنه يؤكد لنا أن هناك ألغاماً قابلـــة للانفجـــار علـــى حدودها الشمالية، وقابلة للانتقال بين الرافدين والجزيرة العربية، وقد أسهم فى زرع هذه الألغام أعـــراب نجـــد فـــى غـــاراتهم وهجراتهم إلى الشمال ليزيدوه اضطراباً، وذلـــك الاضـــطراب أعاق تكوين دولة مستقرة موحدة مستمرة فـــى تلـــك المنـــاطق الموحدة جغرافياً مثل ما حدث فى إيران ومصر، وبهـــذا تظـــل إيران ومصر قطبا المنطقة، وتظل الجزيرة العربية والرافـــدين من مناطق التخوم التابعة لهما.

(٣)

وإذا دخلنا الجزيرة العربية وجدناها تستعصى أكثر على قيام دولة موحدة إلا بالقهر، فالحجاز بحكم انفتاحه على العالم لا يمكن أن يتكامل مع نجد المنغلقة بطبيعتها، والعلاقات التاريخية بين نجد والحجاز سيئة، وعرب اليمن وعرب الخليج يفضلون الانسياح عبر البحر، وعلاقتهم أكثر اتصالاً مع دول آسيا حتى سواحل الهند وأندونيسيا، أكثر من اهتمامهم بالشام والعراق ونجد.

وفى داخل صحراء الجزيرة العربية تتعدد الانتماءات حسب القبائل وعلاقاتها، وكل قبيلة دولة متحركة تستحوذ على انتماء الفرد، ولا تخضع القبيلة للدولة إلا قهراً.

ويجد القهر مسوغاً تحت لافتة الجهاد لاستحلال التوسع والقتال والسلب والنهب، وتمكنت بذلك الأسرة السعودية مع قلة عدد أفرادها أن تخضع قبائل ضخمة العدد فى ربوع الجزيرة العربية، وأن تفرض عليهم تدينها الوهابى على أنه صحيح الإسلام، ثم ما لبثت أن أطلقت اسمها على ما تسيطر عليه فى الجزيرة العربية، فانطوى تحت اسم السعودية أسماء تراثية تجد الاعتزاز من أصحابها والمسلمين خارجها مثل: الحجاز ونجران وعسير وتهامة والأحساء.

وأضيف للقهر والإكراه على دخول التدين الوهـابى تحكـم الأسرة السعودية فى الثروة البترولية وشموخهم على الرعيـة، وفق المقولة التراثية: إن الخليفة أو الإمام يملك الأرض ومـن عليها.

ثم دخلت الدولة السعودية فى عصر ثقافة حقـوق الإنـسان وهى تحمل أيدولوجية وهابية لم تعد صالحة للاستهلاك الآدمى، وأصبح حتماً عليها أن تقوم ببعض التعديلات الأيدولوجية فـى الفكر الوهابى، ولكن المشكلة أن المعارضة جاءتها من داخـل الفكر الوهابى نفسه الذى تزايد عليه باسم الإسلام، وإن كانـت تتستر به لتسوية حسابات قديمة مع الأسـرة الـسعودية، فمـن الصعب على البدوى أن ينسى ثأره، وكم لأبنـاء القبائـل مـن ثارات لدى آل سعود.

وهكذا فإن الأخطار التى تهدد بتقسيم المملكة تبـدأ بالتنـافر بين أقاليم المملكة الجغرافية (نجد والحجاز والمنطقـة الـشرقية وعسير)، والولاء الذى يكنه الفرد لقبيلته قبـل أن يتوجـه بـه لدولته، خصوصاً إذا كانت تلك الدولة تملكها أسرة واحدة تحتكر الثروة والسلطة وتسمح ببعض الهوامش لأتباعها على أنهم مـن خدمها وعبيدها، ثم إن تلك الدولة تفرض أيدولوجيتها بـالإكراه على من يرفضها من الشيعة والأشراف والصوفية وغيرهم، ولا

تستطيع الدولة أن تفك ارتباطها بتلك الأيدولوجية الوهابيـــة لأن الشائع أنها تستمد شرعيتها السياسية من تلك الأيدولوجية، كمـــا أن التصريح بأن شرعية الدولة مستمدة من الفتح بقوة الـــسيف واستعادة ملك الآباء، بتدريسهم لطلبة العلم أن محمد بن ســـعود هو إمام الوحدة، الذى وحَّد الجزيرة العربية، هذا التصريح يعـــد خطراً على الدولة، لأنه يتضمن حق الآخرين بـــالخروج علـــى الدولة بالسيف لاستعادة ما كان لآبائهم قبل ظهور آل سعود.

على أن أهم خطر يهدد بزوال الدولة السعودية يتمثـــل فـــى الشيعة ضحايا هذه الدولة قديماً وحديثاً، ومعهم الأشراف، ولهـــم انتماؤهم بالقطب الشرقى إيران، ثم البيت السعودى نفسه الـــذى تكاثر أفراده وتضخمت امتيازاتهم ممـــا وســـع مـــن إمكانـــات الخلاف بينهم حول الامتيازات، ثم ضريبة الترف التى تنال من حيوية الأسرة الحاكمة منذ الجيل الثالث. ثم إقامة حدود الشريعة الإسلامية على الضعفاء من أهل الجزيرة العربية أو الأجانـــب فقط، فى حين أن أمراء الأسرة الحاكمة من الزنـــاة وشـــاربى الخمر ولاعبى القمار ولصوص ثروات المسلمين لا تنالهم هـــذه الحدود بسوء.

وبالنسبة للأسرة السعودية فإن البترول قفز بهـــم وبـــبعض المواطنين من مرحلة البداوة إلى مرحلة الترف، دون المـــرور

بمرحلة لالتقاط الأنفاس يتضح فيها النضج الحضارى ويتأقلم فيها المواطن على تعديل ثقافاته لملاحقة التطور الحالى والتطور القادم.. وهذه القفزة المادية جرت بطريقة عجيبة، كان المواطن فى بداية عصر عبد العزيز يعتبر اللاسلكى رجساً من عمل الشيطان، ثم أصبح ابنه فى عصرنا الحالى يستخدم الإنترنت ولا يزال يعتنق أفكار ابن تيمية وابن عبد الوهاب، ولهذا فإن المنتظر أن يساء استخدام تلك الوسائط الحضارية فى عصر امتزج فيه الترف بالتخلف، وتحتدم المشكلة حين تنتقل من المواطن العادى إلى أحد الأثرياء أو أحد الأمراء.. ويسرى هذا على معظم العرب وإن كان يتجلى أكثر فى البتروليين منهم، ولذلك تتحول عوائد البترول فى أيدى الحكام العرب إلى أسلحة يقتل العرب فيها أنفسهم بأنفسهم نيابة عن الرجل الأبيض فى أمريكا وفى إسرائيل، وما ذلك إلا ضريبة الترف حين يقترن بالتخلف الحضارى، وحربى الخليج الأولى والثانية أصدق شاهد على ذلك.

وفى خضم تلك الأخطار التى تهدد مستقبل الدولة السعودية الثالثة من الداخل والخارج فإن أحداً من أحفاد عبد العزيز لا يحمل صفاته التى تَمَكَّنَ بها من إنشاء دولته وسط مستحيلات شتى.. بل إن العصر القادم قد ينبئ بأوجه شبه بين النهاية المرتقبة للدولة السعودية الثالثة على أيدى الآلاف من الأمراء

أحفاد عبد العزيز ونهاية الدولة السعودية الثانيـــة مـــن حيـــث اختلاف الأمراء وصراعهم، هذا إذا لم تتدخل إحـــدى القـــوتين الإقليميتين مصر وإيران لتسقط الدولة السعودية مـــن الخـــارج، كما حدث فى الدولة السعودية الأولى.

وإذا كانت الدولة السعودية الثالثة قد اشترت العمق المصرى بالقليل من أرصدتها النفطية، فإن الخطر لا يزال تحـــت رمـــاد المنطقة الشرقية حيث تكمن الثروة البترولية بالقرب من إيـــران القطب الشرقى للمنطقة.

وإذا كان لهذا الكتاب أن يخرج بتوصية يمكن بهـــا تـــوفير الدماء والأموال العربية والإسلامية، ويخرج بها الإسلام بريئـــاً من تهم التطرف والإرهاب، فإننا نتمنى أن تخرج من آل سعود عقول راشدة تترك الحكم لأهل الجزيرة، وتبادر ومعهـــا كـــل الأنظمة الإسلامية إلى تطبيق العدل الإسلامى وحقوق الإنـــسان التى نادى بها القرآن الكريم قبـــل الغـــرب.. وأن تكـــون إدارة الحرمين تحت لجنة عليـــا مـــشكلة مـــن مختلـــف دول العـــالم الإسلامى.. فبهذا يمكن أن تحمى الأسرة السعودية نفـــسها مـــن القصاص المريع، وانتقام القبائل التى تطلب ثأرها.. وما نظنهم فاعلين.

الفهرس

الموضـــــــوع		صفحة
الافتتاحـــــية		٣
تمـــهـــــيـــد	: فصل الخصومات	١٨
الفصل الأول	: المسلم والكافر	٢٦
الفصل الثانى	: المسلم والدولة المسلمة	٣٧
	الوهابية والخوارج	٤٠
	الوهابية والحشوية	٤٢
الفصل الثالث	: عقيدة الوهابية	٤٥
الفصل الرابع	: التوحيد والعبادة	٨٤
الفصل الخامس	: التحالف بين الإمـــامين ابـــن عبـــد الوهاب وابن سعود	٩٣
الفصل السادس	: أساس المعارضة فـــى عهـــد عبـــد العزيز	١٠٧
الفصل السابع	: التجديد فى فكر الإمامين ابن ســـعود وابن عبد الوهاب	١٢٢
	أولاً: كراهية المسلم	١٢٣
	ثانياً: التكفير للمسلمين	١٢٥
	ثالثاً: اســـتحلال دم المـــسلم ومالـــه ونسائه	١٢٨
	رابعاً: التزمت أو التشدد	١٤٢

الموضـــوع	صفحة
خامساً: آيات القرآن علـــى الكفـــار يطبقونها على أهل الشهادتين	١٤٧
سادساً: كراهية النبى ﷺ وآله	١٥٢
سابعاً: كراهية أهل بيت النبى ﷺ	١٦٠
ثامناً: كراهية الصحابة الكرام ﷺ	١٧٦
تاسعاً: كراهية الصالحين	١٨٣
عاشراً: شغل الأمة الإسلامية بفروع لتضييع الأصول	٢٠٣
حادى عشر: الولاء التام للصهيونية والصليبية	٢١٠
الملف الأسود لذيول الوهابية فى قتل المسلمين	٢٢٦
الوهابية يعترفون بصناعة المتمسلفة	٢٣٩
الخـــاتمـــــة : الدولة الـــسعودية صـــدفة تاريخيـــة مرحلية	٢٤٣
الانفتاح على مصر	٢٤٥
البترول وعلمانية المملكة السعودية	٢٦١
الفهرس	٢٨٦

تم بحمـد اللّه